جمهورية العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج

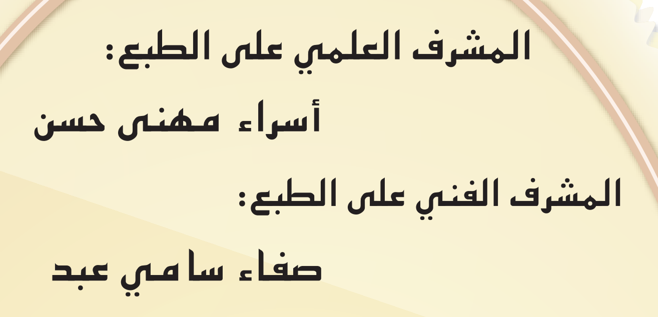
تاريخ الحضارة العربية الاسلامية

للصف الرابع الأدبي

تأليف

د . عبد الجبار ناجي
د . ناجية عبد الله ابراهيم
د . اسراء طالب توفيق
د . داود سلمان خلف
د . محمود تركي فارس
م.م اسراء مهنى حسن

الطبعة الرابعة
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م



المشرف العلمي على الطبع:

أسراء مهنى حسن

المشرف الفني على الطبع:

صفاء سامي عبد

مصمم الكتاب: صفاء سامي عبد

الموقع والصفحة الرسمية للمديرية العامة للمناهج

www.manahj.edu.iq

manahjb@yahoo.com

Info@manahj.edu.iq



manahjb

manahj



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحضارة تعبير عن منجزات الانسان واعماله الفكرية والوجدانية والعمرانية كلها ليحقق ذاته ويتقدم مجتمعه وعليه فأن تاريخ الحضارة العربية الاسلامية يشمل البناء الحضاري للامة العربية الاسلامية فهو يمثل كل انجازات العرب المسلمين في بناء دولتهم وتأسيس مؤسساتها .

كان للتلاقح الحضاري بين الامم والشعوب التي آمنت بالاسلام ودعوته واقبلت تنهل من علومه بحثاً و دراسة و إنتاجاً أثرٌ مهم في ذلك البناء ، فلم تكن الحضارة العربية الاسلامية ذات اثر كبير الا بفضل الاسلام ، إذ اعتمدت المنهج القرآني المشتمل على السنن الكونية المؤسِّسة لعلاقة الإنسان بخالقه و بالمحيط الذي يعيش فيه ، فضلاً عن اعتماد السلوك النبوي الشريف وسير الأوَّلين من المسلمين الذين اسسوا للمشروع الحضاري .

إضافه إلى التراث الإنساني للأمم القديمة في مجالات السياسة والعلوم والأداب والفنون والعمارة فقد ترك العرب المسلمون كمَّاً كبيراً من المصنَّفات في مناحي المعرفة المختلفة سواء أكان منها الدينية أم الدنيوية في علومها النقلية والعقلية.

إن الجيل الحالي عندما ينظر بعين الإحترام والتقدير لجهود المفكرين والعلماء العرب المسلمين الذين خلفوا لنا كلَّ الألق الحضاري يستطيع أن يداوي جراحه التي أصيب بها بسبب إستبداد الحاكميات وعدم قرائتها القراءة الصحيحة لتاريخها.

تناول كتاب الحضارة العربية الاسلامية ثمانية فصول، الفصل الاول بعنوان مفهوم الحضارة والمدنية والثقافة وعوامل قيام الحضارة وخصائص الحضارة العربية الاسلامية وأصولها، والفصل الثاني حضارة العرب قبل الاسلام، والفصل الثالث المؤسسات الادارية، وبحث الفصل الرابع في مؤسسة القضاء أما الفصل الخامس فكان النظام الاقتصادي في الدولة العربية الاسلامية والفصل السادس في اهمية ونشأة المدن العربية الاسلامية، والفصل السابع الحياة الفكرية والعلمية وعوامل ازدهارها، اما الفصل الثامن فعن تفاعل الحضارة العربية الاسلامية مع الحضارات الإنسانية وتأثيرها فيها وعوامل تراجع الحضارة العربية الاسلامية .

كما وتثمن اللجنة جهود الخبراء العلميين واللغويين على اسهامهم في تقويم هذا الكتاب آملين من الاخوة المدرسين والاختصاصيين موافاتنا بالتغذية الراجعة لما يرد فيه من ملاحظات للافادة منها علماً بان مادة الكتاب هي الحد الادنى من المعلومات بموجب المقررات المنهجية راجين اغناءه قدر المستطاع.

والله الموفق المؤلفون

الجزء الاول

مفهوم الحضارة والمدنية والثقافة

نظرا لأهمية المفاهيم والمصطلحات التي تتردد كثيراً، يجدر بنا أن نقف عند ثلاثة مصطلحات لمعرفة مابينهما من صلات وارتباط ، وهذه المصطلحات هي (الحضارة والمدنية والثقافة).

الحضارة :

لفظ الحاضر بمعنى المقيم في المدن والقرى، والحضارة تعني الاقامة في الحضر، والحضر خلاف البدو، والحضارة ضد البداوة،وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني وظاهرة الرقي العلمي والفني والادبي والروحي .

فالأساس الذي تقوم عليه الحضارة (السيادة أو الملك)، فلا حضارة دون ملك واستقرار لكي تنمو وتزدهر الحضارة وتتوسع، فتشمل النشاط الإنساني وتقدمه في الجوانب المعيشية أي نشاطه الإنساني والديني والعقلي والخلقي.

وسنذكر البعض من التعاريف التي عرفّ بها العلماء (الحضارة)، فكلٌ منهم عرفها حسب ما يراه من تفسير فقيل: هي الانتقال من حالٍ إلى حالٍ أفضل وأرقى وأعلى مستوى مما كان عليه، وايضاً تعني التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء وإن طابع الحضارة أخلاقي في أساسه، كما يوجد ارتباط وثيق بين الحضارة ونظرة الإنسان في الكون، وهدف الحضارة إيجاد الظروف المواتية للجميع في الحياة قدر الإمكان، مما يؤدي إلى تحقيق كمال الأفراد روحياً وأخلاقياً، فمتى ما وصل ذلك الكمال تكون الغاية القصوى من الحضارة.

وفي تعريف آخر أن الحضارة هي الرقي في مجال الأفكار النظرية والعلوم التجريبية وهي الإنجازات التي تتحقق للبشرية أو حققتها البشرية، فالكلام عن حضارة أي قوم من الأقوام معناه الإنجازات التي حققها أولئك في زمن معين وإبراز الدرجة التي انتهى إليها أولئك القوم من درجات التقدم والتطور .

فالإقامة في الحضر والاستقرار ينشأ عنه بناء المجتمع ثم الدخول في مجالات التطور

المختلفة لأبنائه، مما يجب عليهم التآزر والتعاون وتبادل الأفكار والمعلومات فيما بينهم في شتى شؤون الحياة من علوم وفنون وثقافة وعمران، وما إلى ذلك مما يتصل بتقدم الإنسان.

العوامل المؤثرة في قيام الحضارة:

١- العوامل الجيولوجية : فعصر الجليد أعاق مسيرة الحضارة، وخصوبة التربة سرعت من خطاها.

٢- العوامل الجغرافية: فالمناخ المناسب يسرع خطاها أما عكس ذلك فلا تهيء للحضارة أسبابها.

٣- العوامل الاقتصادية: إن توفر سبل المعيشة من ماء وطعام تكون مبرراً للاستقرار وإقامة البيوت، فمتى ما توفر الماء والطعام نجد الإنسان يبني الدور والمعابد والمدارس ويخترع الآلات التي تعينه على الإنتاج، ثم تزداد قدرتهُ على نقل تراث الإنسانية من علوم وأخلاق نقلاً أميناً.

٤- العوامل النفسية : إن العوامل الجيولوجية والجغرافية والاقتصادية لا تكّون حضارة ولا تنشئ مدنية من عدم، إذ لابد أن يضاف لها العوامل النفسية، ولابد أن يسود الناس نظام سياسي وحالة استقرار مع ضرورة الاتفاق فيما بين الناس في المثل الأعلى المنشود، إن انعدام هذه العوامل أو واحداً منها، معناه أن الحضارة ستنقرض من أساسها. إذاً خلاصة القول أن الحضارة بمفهومها العام تعني النشاطات الإنسانية المادية والعقلية والروحية، تلك القيم والمفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر من تقاليد وأفكار ونظم وقوانين تتحكم في سير وتوجيه النشاط الروحي والمادي للمجتمع، مما يؤدي في النهاية إلى الوصول به إلى مستوى حياة أفضل وأرقى مما كان عليه في سالف عهده، وإجمالاً يمكن القول ان الحضارة هي مجموعة المنجزات (المادية والثقافية)، التي انجزها ابناء شعب من الشعوب عبر التاريخ، من اجل تحسين مستوى معيشتهم، لذلك فالحضارة ثمرة الجهود الانسانية التي تتراكم عبر العصور المختلفة التي جاءت معبرة عن تفاعل الانسان مع البيئة .

المدنية :

أما المدنية فهي مشتقة من المدينة، منهم من عدها تحصيل الرقي في الجوانب المادية والعلمية وغيرها، او الرقي في العلوم العملية التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والزراعة والصناعة والاختراع الآلي، وأمثلة ذلك لابد للطب من مستشفيات ولابد للهندسة من ورشة عمل وعلى هذا فالمدنية تستهدف السيطرة على الطبيعة وإخضاع ظروف البيئة للإنسان.

الثقافة :

وأما مفهوم الثقافة فهي: الرقي في الأفكار النظرية وأمثلة ذلك الرقي في القانون والسياسة والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، وكذلك في الأخلاق والسلوك، إذن فالإنسان المثقف هو الذي يستطيع أن يفصح عن إنسانيته افصاحاً يتحول به من شخص منساق بالغرائز والتقاليد إلى شخص محرر من عبودية الغرائز والتقاليد للوصول إلى شخص له فكر سليم وناجح، فالثقافة ترمي إلى الكشف عن آفاق الإنسانية المتسامية، ولهذا يمكن الترجيح بأنه لا وجود للتعارض ما بين الثقافة والحضارة والمدنية، لأنها جميعاً مصدر الرقي الإنساني، ودليل مستواه، وكل ما يغذي رقي الحياة من روافد هو ثقافة وحضارة ومدنية، وكل ما يعارضها هو جهل وتخلف، وإن الثقافة تتصل بالناحية الروحية والمعنوية، وإن المدنية تتصل بالنواحي العلمية والعمرانية، وإن الحضارة تشملهما، فالحضارة أصل جامع للثقافة والمدنية، وأن الترابط قائم وقوي بينهما وإن التركيز على جانب وإهمال الآخر يؤدي إلى ضمور الحياة وبداية انهيارها.

الحضارات الإنسانية عبر التاريخ :

لابد قبل أن نتكلم عن الحضارة العربية الإسلامية من المرور بعجالة وإلمام على الحضارات الإنسانية التي سبقت قيام الحضارة العربية الإسلامية، لأن ذلك يكشف الظروف والأحوال التي سبقت ميلاد الحضارة الإسلامية، اذ يرى البعض أن الحضارة الإسلامية تأثرت بالحضارات القديمة الكبيرة أمثال الحضارة الفارسية واليونانية والرومية والهندية

وغيرها من باقي الحضارات التي نشأت عبر التاريخ، وهذا أمر طبيعي في نمط النشوء الحضاري، وأنه ما قامت حضارة من حضارات العالم إلا وقد مرت بدور الاقتباس والتقليد ثم تطورت ونمت حتى أصبحت تعطي وتبدع في جميع ميادين المعرفة.

ويتم الاتصال بين الحضارات، وبالتالي انتقالها عن طريق الغزو والفتح أو الحكم الأجنبي، أو الهجرة والسياحة والتجارة.

وسنذكر فيما يأتي أبرز الحضارات الإنسانية ومنها :

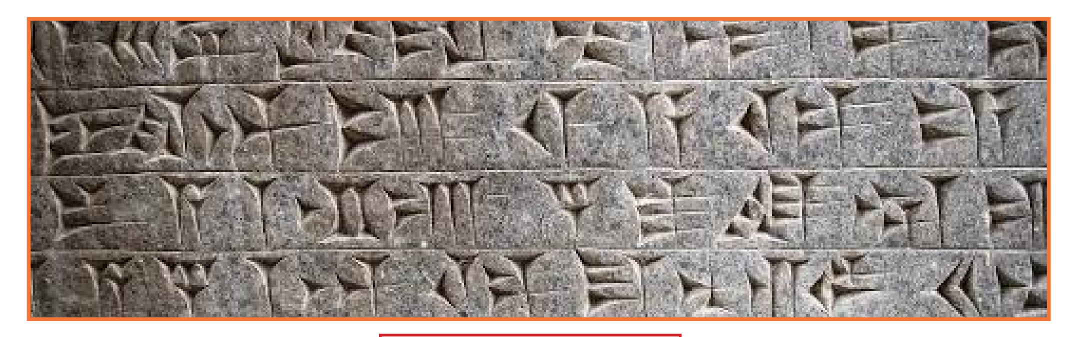


خريطة عن مواقع اقدم الحضارات في العراق

أولاً : حضارة بلاد الرافدين :

حضارة بلاد الرافدين من الحضارات العالمية القديمة، سميت بأسماء الشعوب التي أقامتها ومن أولى هذه الحضارات هي الحضارة السومرية (٣٤٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق . م) موطنها في

جنوب بلاد الرافدين ويبدو ان السومريون أول من سكن بلاد الرافدين بعد الطوفان ولم يتفق الاثاريون والمؤرخون على اصولهم ، وكان نظام الحكم السومري مبني على أساس ديني، فالحاكم ما هو إلا نائباً عن الإله في الأرض.والملك القائد الأعلى للجيش وفي عصر الوركاء أوجدوا قوانين حقوقية وقوانين لتنظيم الضرائب والرسوم، وعمل السومريون بالزراعة وقدموا إلى الحضارة نظام الري المحكم وحفروا الترع والجداول والقنوات وابتكروا المحراث الذي تجره الثيران وفي مجال الصناعة عرفوا بعض المعادن كالنحاس والقصدير والفضة والذهب والبرونز وعرفوا صناعة المنسوجات وفي مجال التجارة كانت لهم مبادرات تجارية واسعة مع من يحيط بهم وعرفوا الصكوك في معاملاتهم التجارية.



الخط المسماري

هذه بعض الجوانب من الحضارة السومرية، فضلاً عن الكتابة أثمن ما قدموه للإنسانية جمعاء، لقد انبثق الخط المسماري عن الكتابة الصورية، هذه الحضارة التي عرفت أول المدارس وأول المكتبات وأول الأدب ففي أدبهم قصص عن بداية الخلق وعن الطوفان ويمكننا القول أن السومريين متطورون علمياً مما ولد حضارة أضاءت بنورها من لحق بها من الحضارات المجاورة، وكان الأكديون ورثة حضارة الشعب السومري، ثم أقام البابليون دولتهم فكانت ذات حضارة عريقة أمدت الإنسانية بالكثير والتي منها قانون الحكم البابلي وكان قيام دولة بابل سنة (٢٠٠٠ ق.م) والبابليون كانوا ورثة حضارة دولتين هما السومرية والأكدية، ثم قامت حضارة الاشوريين في السنوات (١٣٩٢ – ٦١٢ ق.م) ، بعدها جاء الكلدانيون وهم مؤسسو دولة بابل الثانية للسنوات (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م) .

ثانياً : الحضارة المصرية القديمة :

هاجر إلى وادي النيل عدة هجرات فكان يزخر بالسكان، إذ جاءت إليه أقوام من بلاد النوبة وأفريقيا، وعرب من شبه الجزيرة العربية اجتذبهم جميعاً خصب أراضي وادي النيل ووفرة مياهه، فأسس هؤلاء حكومات محلية فكانت في الشمال مصر السفلى وفي الجنوب مصر العليا وهاتين المنطقتين ظهرت في كل منهما دولة إلى أن توحدتا في دولة سنة (٣١٠٠ ق.م) وتعاقب على حكم مصر فراعنة ينتمون إلى إحدى وثلاثين أسرة وذلك حتى سنة (٣٠ ق.م) .



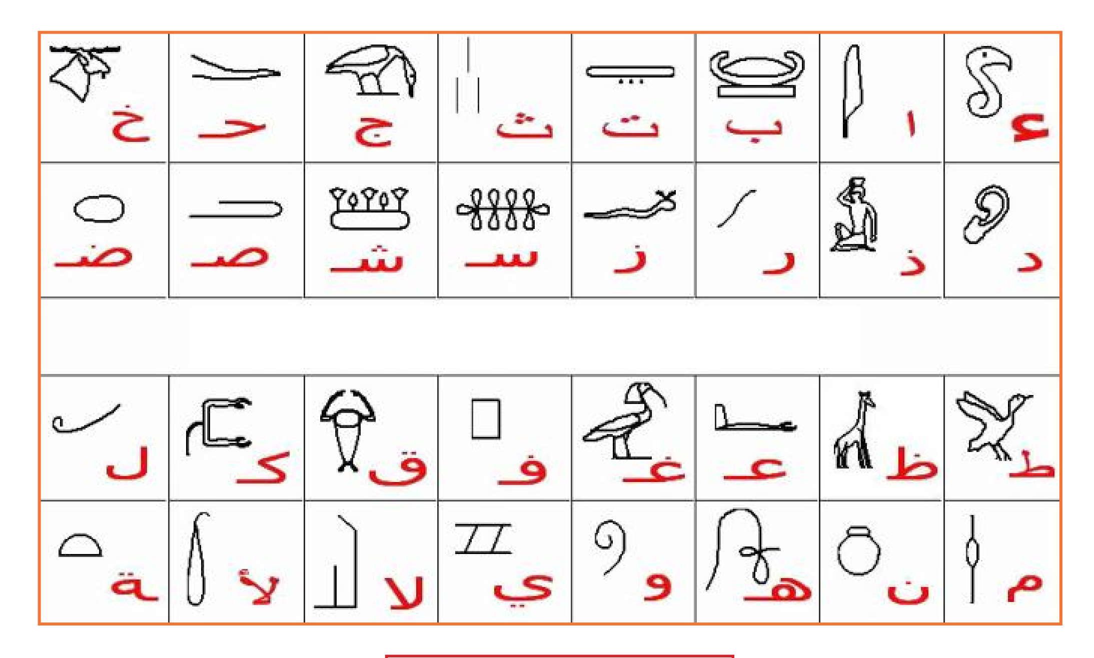
خريطة وادي النيل

كان نظام الحكم ملكياً ويلقب الملك بالإله العظيم، واعتقد المصريون أن الملك يسيطر على شؤون الناس في الحياة الدنيا وفي الأخرة، أما الجيش فلم يكن لمصر جيش منظم وإنما الجيش يجمع في المناسبات ويرسلون للحرب أو الحراسة أو لحماية الطرق التجارية

والمناجم مع العمل في حفر الترع والقنوات المائية، وآمن المصريون بالحياة بعد الموت، وللمصريين أعياد دينية كثيرة.

أما الحياة الاجتماعية فقد اعتاد المصريون القدماء على الزواج المبكر للحاجة الماسة لليد العاملة لأنهم كانوا أناس مزارعين مما يتطلب منهم زيادة النسل وعرفوا تعدد الزوجات.

وأسس المصريون المدارس التي كانت ملحقة بالهياكل وعلموا أولادهم الكتابة للعمل في دواوين الدولة كتاباً، والتي عرفت بالكتابة الهيروغليفية وكانت لهم مكتبات.

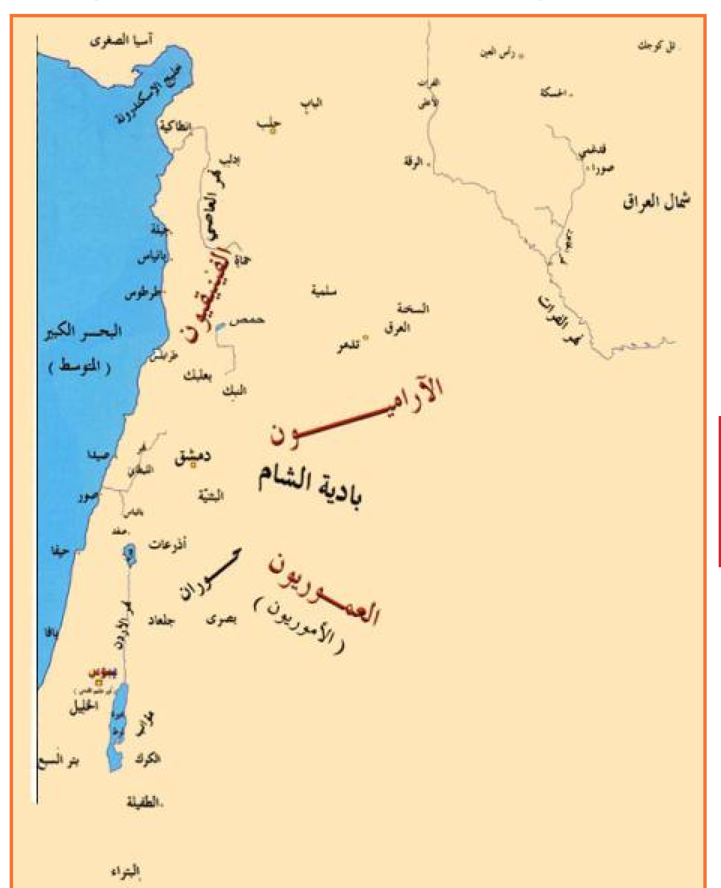


الكتابة الهيروغليفية

أما الحياة الاقتصادية فاعتمدت على الصناعة والتجارة والزراعة اما أستخراج المعادن والنحاس والقصدير والبرونز فكان يتم عن طريق مناجم سيناء .

وتميزت الحياة العلمية بأن العلوم استخدمت لفوائدها التطبيقية بالدرجة الأولى فبنوا السدود الصغيرة، وذلك لرفع منسوب مياه الري حتى يتم سقي أكبر قدر ممكن من الأراضي الزراعية، ومن منجزاتهم الهامة تحويل مجرى النيل وبناء مدينة (منف).

ثالثاً: حضارة بلادالشام (سوريا ولبنان وفلسطين والاردن):



خريطة بلاد الشام

ظهرت في بلاد الشام حضارات عديدة، وعثر في كهوف متعددة في سوريا على أدوات حجرية يرجع عهدها إلى حوالي مئة وخمسين ألف سنة، ثم سكن الإنسان في الأكواخ بدل الكهوف وعمل بالزراعة وتدجين الحيوانات، هذه الحياة التي أستقر فيها الإنسان أدت إلى ظهورالمجتمعات وملكية الأراضي وانتشار المعتقدات الدينية وصنع الشاميون آنذاك أواني الفخار والخزف الذي تميز بدقته ونعومته ، واستعمل السوريون النحاس والبرونز الذي أنتشر في بلادهم فكانت حضارة أوغاريت أو ما يعرف براس شمرا وظهرت إلى جانب ذلك مراكز أخرى مثل تل حلف وتل براك، وسنذكر أنموذجاً للحضارة في سوريا (الأموريون) أو الشعوب العربية القديمة التي هاجرت من شبة الجزيرة العربية باتجاه سوريا وذلك حوالي (٢٥٠٠ ق.م) ، واستوطن الأموريون أواسط وشمال ومشرق سوريا وأسسوا عدة ممالك.

رابعاً : حضارة الفرس :

قامت في بلاد الفرس حضارات، ومن تلك الحضارات حضارة الفرس الاخمينيين (٥٥٩ – ٣٣٠ ق.م) هذه الامبراطورية أسسها كورش، امتازت بتنظيم إدارة البلاد، وحكم الولايات من قبل المرزبان، وإلى جانبه قائد عسكري يرفع إلى الملك الأخبار، مع توفر طرق للمواصلات وهناك محطات للبريد لتسهيل نقل الأخبار، كان للأمبراطور سلطة مطلقة، فقراراته كانت قانوناً يحكم المجتمع وأحكامه لا ترد.

كان آخر الدول الفارسية الدولة الساسانية (٢٢٦ – ٦٥٠م) أسس حكم هذه الأسرة بابك ابن ساسان واعقبه أردشير الأول (٢٢٦ – ٢٤١م)، الذي جعل من الديانة الزرادشتية المجوسية الديانة الرسمية للبلاد هذا في الجانب العقائدي، وبعدها أنتشرت الثنوية وهي الاعتقاد بوجود قوتين علويتين: اله الخير واله الشر ثم انتشرت المزدكية (أسسها مزدك المتوفي نحو ٥٢٨ م) كما ظهرت النصرانية بمذهبيها النسطوري واليعقوبي .



خريطة الدولة الساسانية

وفي الجانب الاقتصادي سيطرت الدولة على طرق التجارة وأعادت بناء القرى وحفرت الترع والقنوات، وأعطت الفقراء أرضاً وبذوراً ومواشي، وعملت في الجانب الإداري على تقسيم البلاد إلى أربع أقسام مع مسح شامل لأراضي الدولة، لكنها أرهقت شعبها بالضرائب

مما أدى إلى ثورة غايتها إشاعت الأرض والمواشي والنساء، مما دفع الفلاحين بالسيطرة على تلك الأموال وجعل القرى مشتركة، أما مكانة المرأة فقد كانت جيدة نسبياً، وتمتعت ببعض الحرية في المجتمع .

خامساً : حضارة الروم :

إن الحضارة الرومانية من أعظم الحضارات التي عرفتها أوربا بعد الحضارة اليونانية، فهذه الحضارة عرفت نظماً إدارية ومدنية جديدة على البشرية، ففلاسفة ومفكروا روما أوجدوا قانوناً يدل على مدى علمهم وخبرتهم ومن ذلك قانون الأحوال الشخصية الذي بين علاقة الفرد بالمجتمع، وما له من حقوق وما عليه من واجبات.



خريطة الامبراطورية الرومانية

لم تدم حضارة الرومان بالرغم مما وصلت إليه من حضارة ومدنية، وما بلغته من قوة وصلت إلى اقتسامها حكم العالم مع الفرس، إلا أنها إتجهت قبل البعثة النبوية الشريفة إلى أحط درجات الفساد في كل النواحي الحضارية، هذه الأمبراطورية المترامية الأطراف في أوربا استولت على سوريا ثم مصر.

ولما ظهرت الديانة المسيحية ظل الرومان وثنيين حتى عهد قسطنطين الذي أدخلها أواخر أيامه، مما أفسح المجال أمام رجال الدين المسيحي من الحصول على بعض الامتيازات الدنيوية، وبمرور السنوات سيطرت الكنيسة على الكثير من الشؤون وفي مقدمتها الاتجاهات الفكرية.



خريطة شبة الجزيرة العربية

سادساً: حضارة العرب قبل الإسلام :

عرفت الحقبة التاريخية التي سبقت الإسلام بـ (الجاهلية) وذلك لتخلفهم عمن حولهم في الحضارة فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل آثروا البداوة على المدنية ولكن هذا لا يعني عدم اتصالهم بالعالم الخارجي، فقد كانت لهم صلات وثيقة مع جيرانهم عن طريق التبادل التجاري، ومكة المكرمة أهم المراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية، وكانت شبه جزيرة العرب هدفاً للتيارات الثقافية الأجنبية، فانتشرت في بعض أرجائها الديانتين اليهودية والنصرانية، مع صراع لمد النفوذ ما بين أكبر أمبراطوريتين شهدهما العالم آنذاك وهما الفارسية والرومانية ولكن تلك المحاولات فشلت في أغلبها.

أمتاز العرب ما بين شعوب العالم آنذاك بأخلاق ومواهب تفردوا بها عن غيرهم من الأمم كالفصاحة وقوة البيان، وحب الحرية والآنفة، والفروسية والشجاعة، والصراحة في

القول، وجودة الحفظ، وقوة الذاكرة، وحب المساواة، وقوة الإرادة، وسبب جاهليتهم بعدهم عن عهد الأنبياء (ع) وانحصارهم في شبه الجزيرة العربية وتمسكهم بدين الأباء وتقاليد أمتهم، ابتلوا لأجل ذلك بانحطاط ديني ووثنية مقيتة.

من الناحية الدينية انتشرت عبادة الأصنام حتى صار لكل قبيلة صنم إن لم يكن في كل بيت صنم، ويضاف لعبادة الأصنام معبودات أخرى كعبادة الملائكة والجن والكواكب، فكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، مع انتشار بسيط للديانة اليهودية والنصرانية.

ومن ناحية الأخلاق، فقد كانت ظاهرة شرب الخمر ووأد البنات وأنتشار الأمية منتشرة في شبه الجزيرة العربية ودلت على ذلك أشعارهم وتاريخهم وأدبهم، وتعاملوا بالربا والميسر مما أوجدوا فقراً مدقعاً في المجتمع .

بالرغم من التخلف الديني إلا أنه قامت حضارات في شبه الجزيرة العربية وأسباب نشؤها في المنطقة يعود لأسباب منها ظروف المناخ وطرق المواصلات البرية والبحرية المناسبة وغير ذلك من الأسباب، فالحقيقة أن العرب قبل الإسلام أوجدوا حضارات لهم ومنها حضارة اليمن في الجنوب وكانت ثلاث دول الدولة المعينية والدولة السبأية والدولة الحميرية وفي شمال الحيرة العربية قامت الدولة اللخمية وفي الحدود الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية قامت دولة الغساسنة.

كما شهدت شبه الجزيرة العربية حضارة حجازية ونشوء مدن فيها مثل مدينة مكة المكرمة ويثرب (المدينة المنورة) والطائف، هذه هي أهم المراكز الحضارية في شبه جزيرة العرب قبل أن يشرق عليها نور الإسلام، وقبل أن تحدث تلك النهضة الرائعة التي غيرت أوضاع شبه الجزيرة العربية تغيراً جذرياً كاملاً من جميع نواحي الحياة.

الحضارة العربية الإسلامية :

سنلقي نظرة عامة على مجمل أوضاع العالم الإنسانية وحال البشرية قبل المبعث النبوي الشريف، إذ كانت الأرض قبل البعثة الشريفة لا ينتشر فيها مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء (ع) إذ حرفت الديانات السماوية وسادت

قيم الغلبة والقهر والإستبداد وظلم الرعية في نواحي كثيرة من انحاء الأرض، والأحوال متردية والفساد ضارب في كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على السواء، وكان هذا وضع العالم قبل الإسلام وتحديداً في القرن السادس الميلادي، فبزغ فجر الحضارة الإسلامية وأشرق نورها، فكانت هدية للبشرية وهداية للإنسانية.

فالحضارة الإسلامية تطلق على الجوانب الروحية والخلقية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية والتقنية التي سادت الحياة بعد ظهور الإسلام وقيام دولته وما طرأ من تطور خلال القرون المتعاقبة.

فالإسلام دين شامل ينظم جوانب الحياة، والعقيدة الإسلامية الدافع الرئيسي للأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فالدين يحث على استثمار طاقات العالم ويأمر الإنسان بعمران الحياة ويجعل له الأجر في الأخرة.

والحضارة العربية الإسلامية او العربية فلا تناقض بينهما، فهما توأم حضاري لا ينفصل، فالمسلمون من العرب وغير العرب، كما أن العرب من المسلمين وغير المسلمين، كلهم ساهموا في تكوين وتفعيل هذه الحضارة.

ونخلص إلى القول أن الحضارة العربية الإسلامية حضارة عريقة استمدت جذورها من الدين الإسلامي، فالإسلام ينظم علاقة الإنسان بالله تعالى، كما ينظم علاقة الفرد بالجماعة ويقيم نظام الحكم على أساس العدل والشورى والمساواة ومن هنا جاءت أصالتها وعراقتها، وهذا لا ينفي عدم استفادة الحضارة العربية من الحضارات الإنسانية التي سبقتها، بل وجد العرب حضارة عريقة في الأمم التي جاءتهم وفتحوها ثم نشروا دينهم بين شعوبها ولكنهم أخذوا ما يريدونه من إنسانيتها ومزجوه مع تراثهم فأسسوا حضارة أنارت أفق الأرض في مشرقها ومغربها واقتبس منه العالم جذوة حضاراتهم فيما بعد، والحضارة العربية الاسلامية مع ابداعها في جوانب العلم والتقنية اشتهرت بقيمها الرائعة وتحقيقها السعادة والطمأنينة للانسانية.

اصول الحضارة العربية الاسلامية:

إن أصالة الحضارة العربية الإسلامية تنبع من أصول عدة أبرزها :

١- القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٢- ما بناه المسلمون في ظل فهم صحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
٣- ظهور الاجتهادات التشريعية التي تبلورت عنها المذاهب الفقهية بأجمعها .
٤- ما كسبته الحضارة الإسلامية من روافد ثقافية وعلمية وعمرانية نتيجة الاختلاط والامتزاج الحضاري والثقافي .
٥- عدم وقوف المسلمين عما أخذوه من الحضارات الأخرى، بل طوروه وأضافوا عليه زيادات كثيرة وإبداعات وسعتُه وقوتهُ.

خصائص الحضارة العربية الإسلامية :

هناك خصائص عديدة للحضارة العربية الإسلامية تبين لنا أصالة تلك الحضارة وتميزها عن باقي الحضارات التي قامت في العالم سابقاً وأن الحضارة العربية الإسلامية كبقية الحضارات الأخرى لم تنشأ من العدم بل سبقتها حضارات أخرى، قد نجحت في اختيار العناصر الصالحة منها ثم مزجتها في بودقة واحدة وأكملت الناقص منها، فبرزت بذلك لها شخصية مميزة ومن أبرز خصائصها :

١- أنها حضارة ربانية مصدرها الوحي، وهي حضارة إنسانية ومتسامحة.
٢- حضارة عقل وعلم وأخلاق مطلقة.
٣- حضارة حق وعدل ورحمة ومساواة وتكامل معنوي ومادي بين كل الناس.
٤- حضارة توازن بين الدين والدنيا والفرد والمجتمع والمرأة والرجل والروح والمادة والوحي والعقل.
٥- حضارة حيوية وإيجابية ترفض الزهد اليائس من الحياة، وتتسع نظرتها للعمل على تحقيق السعادة في الدنيا والأخرة .
٦- حضارة تفاعل مع الحضارات والعقائد الأخرى، فهي حضارة شمول وترابط تضم الدنيا والأخرة،والإنسان والكون.
٧- حضارة تكامل لا تصادم، لا بين الرجل والمرأة، أو الفرد والمجتمع ولا بين مقتضيات الروح ومقتضيات المادة والجسد والعقل.

نستخلص مما مضى أن الحضارة العربية الإسلامية حضارة أصيلة، والأصالة لا تعني الانقطاع والانغلاق والعزلة، وإنما تعني أنطلاقها من أصول ثابتة وقواعد واضحة، تشكل المنطق الداخلي الرابط بين أجزاء حضارتنا تعطيها سمتها، وتسبغ عليها ملامحها المتميزة، وهي حضارة مفتوحة أمام الحكمة والحق والخير والجمال في هذا العالم.

اسئلة الفصل الأول

س١) عرِّف الحضارة لغةً وأصطلاحاً، وما عوامل قيام الحضارة ؟

س٢) مامفهوم المدنية والثقافة؟ وهل هناك تعارض بينهما ؟

س٣) كيف يتم أنتقال الحضارات الإنسانية عبر التاريخ ؟

س٤) قامت حضارة بلاد الرافدين بأسماء الشعوب، وضح ذلك .

س٥) مانوع نظام الحكم في الحضارة المصرية القديمة ؟

س٦) مامميزات أمبراطورية الفرس في العهد الاخميني ؟

س٧) بماذا تميز العرب عن شعوب العالم ؟

س٨) ما خصائص الحضارة العربية الإسلامية ؟ عددها

س٩) ما أصول الحضارة العربية الإسلامية ؟ عددها

س١٠) ماأقدم حضارة في العالم القديم هل هي حضارة وادي النيل أم حضارة بلاد الرافدين؟ ولماذا.



نشاط

- يشارك الطلبة بحلقة نقاشية وبأشراف المدرس / المدُرّسة لمناقشة تعاريف الحضارة، المدنية، الثقافة، وايهم أفضل تعريفاً بنظرك.
- يقوم الطلبة بجمع صورٍ تمثل المنجزات الحضارية لبلاد الرافدين ووادي النيل.
- يقوم الطلبة بزيارة مكتبة المدرسة لمعرفة الكتب التي تبحث في الحضارة العربية الإسلامية، وكتابة بحثٍ موجزٍ عنها .

الفصل الثاني

حضارة العرب قبل الاسلام

اولاً: المراكز الحضارية في شبه جزيرة العرب:

للعرب قبل الاسلام مساهمات فعالة في البناء الحضاري الانساني اذ لم تكن بلادهم معزولة عن المراكز الحضارية الاخرى بل كانت متصلة معها ومتفاعلة ، فضلاً عن ان غالبية شبه جزيرة العرب كانت بلاداً صحراوية،الا انها شهدت توزيعاً طبيعياً للنبات والماء والمعادن فظهرت في وسط الصحراء عيون وواحات وشهدت امطاراً موسمية وتوزعت فيها معادن الذهب والفضة التي مهدت للاستقرار من خلال الاستيطان واتخاذ الزراعة مهنة في مناطق تتوفر فيها المياه وتربة صالحة للزراعة ، وايضاً فان البحار التي كانت تحيط بشبه جزيرة العرب قد شكلت لسواحلها موقعا تجارياً وحضارياً مهماً اتاح لسكانها انشاء مراكز حضارية نمت وازدهرت وتواصلت حضارياً مع حضارات العالم المعروفة آنذاك في آسيا وافريقيا و اوربا مستفيدة من البحر وسيلة للتواصل الحضاري باستخدام السفن البحرية وكذلك الطرق البرية التي تربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .

كل تلك المقومات كانت قد مهدت السبيل لقيام دول ذات مظاهر حضارية سياسية ودينية وعمرانية واجتماعية في جنوب ووسط وشمال شبه جزيرة العرب ، ومن ابرز هذه الدول:

١- اليمن:

تقع على الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب ، واليمن بلاد جبلية تمر بها سلسلتان جبليتان تحصران بينهما هضبة عريضة تنحدر نحو البحر مخلفة سهلاً ساحلياً ضيقاً يقطعه عدد من الوديان التي تصب في البحر ، من ممالكها مَعين ، وسبأ ، وحمير، وقد عاصرتهم دول صغرى او امارات، نظام الحكم في ممالك اليمن ملكي والحكومة غالباً عندهم وراثية تنتقل الى الابناء او الاخوة وكان لملوكهم ألقاب

الخط المسند

وكان الملك يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية، وقد ضرب اليمنيون النقود ونقشوا عليها صور الملوك وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالخط المسند الذي كانوا

يكتبون به وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية، تألف المجتمع اليمني من طبقات عدة هي: الطبقة الحاكمة ، الكهنة ، الجند، الفلاحون، الصناع والتجار .

كانت مدن اليمن عامرة مسوّرة لها حصون وقلاع وتنظيمات حكومية ومؤسسات دينية ترعى المسائل الروحية والروابط التي تربط بين البشر وخالقهم ، واليمن من أكثر مناطق شبه جزيرة العرب سكاناً، وسكانها ثروة مهمة مولت بلاد العرب بموجات من القبائل على شكل هجرات الى العراق وبلاد الشام .

مثلت الاودية في اليمن موطناً مهماً من مواطن الحضارة وفيها وجدت كتابات دونها اصحابها بالخط المسند ووجود هذه الكتابات دليل ناطق على وجود الحضارة في اليمن قبل الاسلام .

دلت المكتشفات الآثارية ان في اليمن أنظمة وقوانين مكتوبة ، وأبنية عالية مرتفعة ، وفنون راقية ، إذ تميز اهل اليمن بالعمارة والبنيان الذي أولوه عناية خاصة اذ كانوا يبنون بيوتهم بالحجارة والمرمر وقد أشارت المصادر الاسلامية الى قصورهم الفخمة وأشهرها قصر غمدان الذي كان مبنياً من طوابق عدة وهو مبني بالمرمر الشفاف وقد ظل بناؤه قائماً حتى ظهور الاسلام. وما يزال في اليمن بقايا عدد غير قليل من المعابد الفخمة كما عرف اهل اليمن حرفة النقش على الصخور وتزيينها بطرق فنية جميلة وشواهد تطور الفن المعماري كثيرة لديهم.

احد قصور اليمن

وقد أدى توافر المياه واعتدال المناخ وخصوبة التربة في اليمن الى ازدهار الزراعة وتقدم الحضارة، وكانت وديان الهضبة وسفوح الجبال والسهول الساحلية تنتج مختلف اشجار الفاكهة ، كما كانت وديانها الساحلية تنتج الحنطة والذرة، غير أن اشهَر المنتوجات الزراعية في اليمن قديما هو البخور الذي كان يستعمل بكثرة في المعابد والطقوس الدينية، والبهارات، والعطور، وتنتج اليمن أيضاً انواعا كثيرة من النباتات التي تستخدم في الادوية والعلاجات الطبية كما كانت تنتج القطن ، وكانت اليمن قد اشتهرت بدباغة الجلود وتصديرها الى البلاد الأخرى .

وقد أنشأ اهل اليمن السدود وبنوا القناطر لتوصيل المياه الى المدن ومن أشهر السدود سد

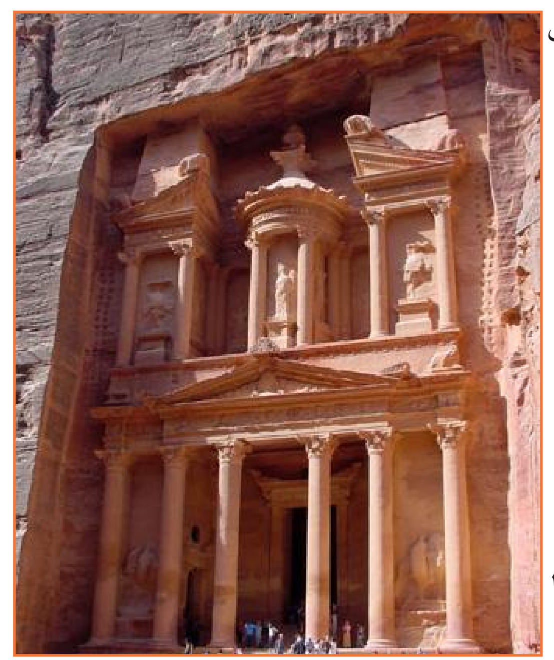


سد مآرب

مأرب وقد اشتهرت اليمن بوجود بعض المعادن لاسيما معادن الذهب والفضة والحديد ولمعرفة اهل اليمن سير الرياح الموسمية فقد احتكروا الملاحة في المحيط الهندي وسيطروا على الملاحة مع بلاد الهند والشرق الأقصى وموانئ البحرين وكانت بلادهم مركزاً مهماً تمر فيه السلع التجارية نحو مختلف البلدان .

٢- بطرا (البتراء):

قامت في أطراف شبه جزيرة العرب الشمالية الغربية وتحديداً في القسم الجنوبي الشرقي من فلسطين والأردن (جنوب الاردن)، وقد اسست عام٣١٢ق م. كعاصمة لمملكة الانباط ، وبمرور الزمن محيت معالمها الى أن اكتشفها المستشرق السويسري بركهارت عام ١٨١٢م، وقامت منظمة اليونسكوا في العصر الحديث بأدراجها ضمن مناطق التراث العالمي عام ١٩٨٥م، وقد اتخذ اهل الأنباط (البتراء) عاصمة لهم وكانت محطة للقوافل التجارية ، إذ كانت تقع على الطرف الشمالي لطريق التجارة الرئيسي الذي يربط قديما اليمن ببلاد حوض البحر المتوسط ، (سوريا ، فلسطين ومصر) ومنها بلاد اليونان والرومان وعبرها يتم الاتصال بين شمال أفريقيا والشرق. استعمل أهل الأنباط في كتاباتهم الخط الآرامي ثم طوروه إلى الخط النبطي فأسماؤهم عربية خالصة، نظام الحكم فيها ملكي وراثي وكان ملوكهم يسمون على



البتراء

الغالب باسم (الحارث) وقد اصطبغ الملك بصبغة الألوهية في بعض الأحيان وكانت عبادتهم وثنية ويقدمون لألهتهم القرابين .

يتألف المجتمع عندهم من طبقات عدة: العائلة المالكة ، الكهنة ، المزارعون ، التجار، أصحاب الحرف والعبيد .

دلت الكشوفات الآثارية على وجود الكثير من المسكوكات المضروبة وكذلك تطور فن النحت والتصوير والبناء والنقوش وقد استخدموا الألوان في تزيين أبنيتهم ونقشها .

والبتراء عاصمة الأنباط مدينة صخرية قائمة في مستوى مرتفع من الأرض تحيط بها الجبال وتكثر فيها المياه العذبة، واهتموا بالعمران ولاسيما الأبنية المنحوتة من الصخر.

استمدت دولة الأنباط مقومات حضارتها من موقعها على طريق التجارة، إذ لم تكن تمر تجارة في ايامهم بين الشرق والغرب إلا على أيديهم .

٣- تدمر:

من مدن القوافل المشهورة تقع في شمالي بادية الشام في وسط المسافة بين الفرات من جهة وبين دمشق وحمص من جهة اخرى، وقد نشأت في وسط الصحراء و ازدادت أهميتها عندما ساد السلم ونشطت التجارة، كانت محطة مهمة للقوافل التي تحمل تجارات الهند والصين لتصل الى العراق، ومنها الى مدن البحر المتوسط وقد انشأ ملوك تدمر نظاماً سياسياً ملكياً مستقراً وشيدوا المعابد والابنية الفخمة .



تدمر

كانت عبادتهم وثنية وقد عرفوا بتعدد الالهة وما زالت آثار معابدهم قائمة ومنها هيكل الشمس، استعمل اهل تدمر أمهر الصناع والنحاتين لتشييد المعابد والقصور، وقد عثر على

الكثير من المسكوكات التدمرية التي تدلل على انهم سكوا العملة التي كانت تحمل كتابات وصور.

حمل اهل تدمر من شبه جزيرة العرب الذهب، اللبان، الصمغ والصبر ومن العراق لآلئ البحرين ومن السند أنواع المنتوجات كالقرنفل، البهار والحرير الصيني وكانوا ينقلون هذه الحاصلات وغيرها الى مصر والشام والعراق وإلى روما وبيزنطة وقد ازدهرت التجارة في تدمر بعد أن تحولت طرق التجارة عن بطرا .

وكانت تدمر تشهد خليطاً حضارياً اذ كانت تعج بالناس من مختلف الأجناس والديانات، يتكون المجتمع التدمري من طبقتين: طبقة الخاصة وتشمل الاغنياء وطبقة العامة وهم بقايا المجتمع التدمري إشتهر عن الزباء (زنوبيا) ملكة تدمر إنها كانت تتكلم اليونانية، وتحسن اللاتينية وتتقن اللغة المصرية فضلاً عن لغتها العربية، كما كانت تهتم بقراءة وتدوين تواريخ الأمم القديمة وقد إستقدمت مشاهير رجال الفكر انذاك الى عاصمتها .



أمير حضري

٤- الحضر:

مما لاشك فيه أنَّ حضارة عربية اصيلة نشأت وازدهرت في العراق وبلاد الشام قبل الاسلام إذ تدفقت اليهما القبائل العربية مع نهاية (القرن السادس ق.م)، ومن اقدم الدول التي تشكلت في العراق هي دولة الحضر الممتدة من نهر دجلة شرقاً الى نهر الفرات غرباً ومن جبال سنجار شمالا الى مشارف مدينة المدائن جنوباً، نظام الحكم فيها ملكي جمعت فيه السلطتين الدينية والدنيوية، قدس اهل الحضر اله الشمس والنسر، وكوكب الزهرة، احتوى المعبد الكبير في الحضرعلى تماثيل للملوك والامراء وكبار رجال الدولة وكبار التجار، وكان اهل الحضر قد استخدموا الحجر، والجص ، واللبن في البناء ومما ساعد على ازدهار الحضارة فيها كونها محطة تجارية مهمة بين الشرق والغرب ، وكانت كتابتهم مدونة بالخط الآرامي .

٥- الحيرة:

تُعد من المراكز الحضارية المهمة في القسم الوسطي من العراق وعلى ضفاف الفرات، وتعني بالسريانية مخيماً، اتخذها التنوخيون الذين سمّوا بالمناذرة عاصمة لهم وهي منطقة ذات موقع ممتاز وتربتها ومناخها ملائمان للاستيطان ، وقد اشتهرت الحيرة بنقاء هوائها لكونها واقعة على طرف الصحراء .

نظام الحكم فيها ملكي وراثي وكان من نظامهم (الرادفة) وهي بمنزلة الوزارة، كانت ديانة ملوك الحيرة الوثنية أواسط القرن السادس للميلاد الا انهم تنصروا بعد ذلك على المذهب النسطوري .



خريطة دولة المناذرة

تميز بها قوم تمت تسميتهم بـ (العباد) والمراد بهم نصارى الحيرة وهم في الاصل من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية، ولما تنصر ملوك الحيرة بنوا البيع (الكنائس)، وقد بنت هند الكبرى ام الملك عمرو بن المنذر المعروف بعمرو بن هند ديراً سمي (بدير هند الكبرى)، كما اشتهر بها ايضا (دير هند الصغرى) بنت النعمان بن المنذر، و بنيت في الحيرة وبقربها اشهر القصور منها الخَورنق والسدير والابيض وقصر ابن بقيلة وقصر العدسيين، وقد استعملوا لبنائها أمهر المهندسين والمعماريين والبنّائين من الفرس والروم وغيرهم، وقد اكتشفت رسوم لقساوسة ورسوم صلبان وكتابات سريانية في

كنائس الحيرة وكذلك سجلات محفوظة ، والخط النبطي الذي تعلمه العرب واطلق عليه بعد الفتح الاسلامي (الخط الكوفي) نسبة الى الكوفة التي أُنشِئَت بجوار الحيرة ومنها انتشرت



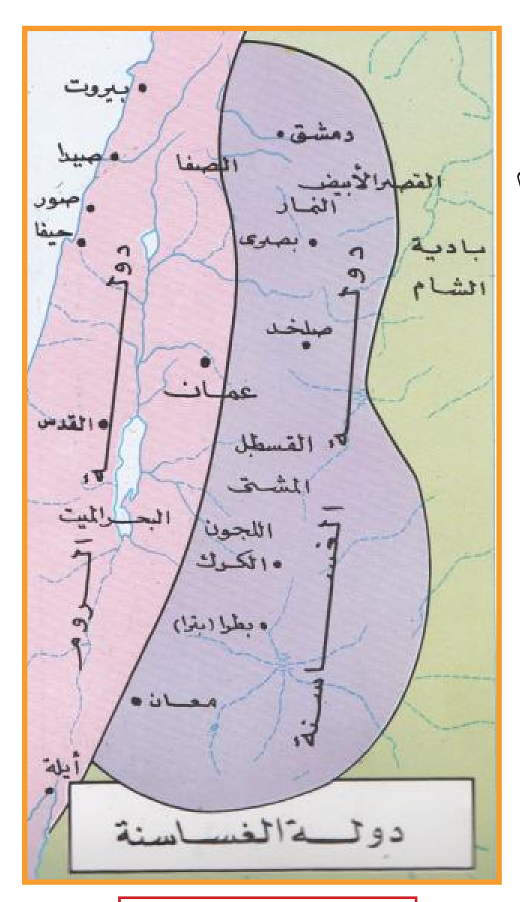
الخط الكوفي

الى شبه جزيرة العرب ، ومعه انتقلت مؤثرات الثقافة الآرامية النسطورية وبذلك شكل النساطرة (المسيحيون) فيما بعد حلقة الاتصال الحضاري بين الثقافة الهيلينية (اليونانية) وبين الثقافة الاسلامية ، كما كانت مجالس ملوك الحيرة مرجعا للمستنجدين وميدانا للشعراء.

٦- بصرى:

مركز حضاري مهم في أطراف بلاد الشام شمال غرب شبه جزيرة العرب خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي، وهي مركز دولة الغساسنة الذين ينسبون الى عين ماء تسمى (غسان) وأصلهم من اليمن ينتسب ملوكهم الى جدهم الأعلى (جفنة بن عمرو) وهو اول ملوك الغساسنة، تشير المصادر الاسلامية الى أنَّ الغساسنة كانت لهم مدن عامرة وقرى وقصور قد بنوها في مناطق مختلفة واتخذوا لهم عواصم عدة في فلسطين والأردن وأطراف الشام .

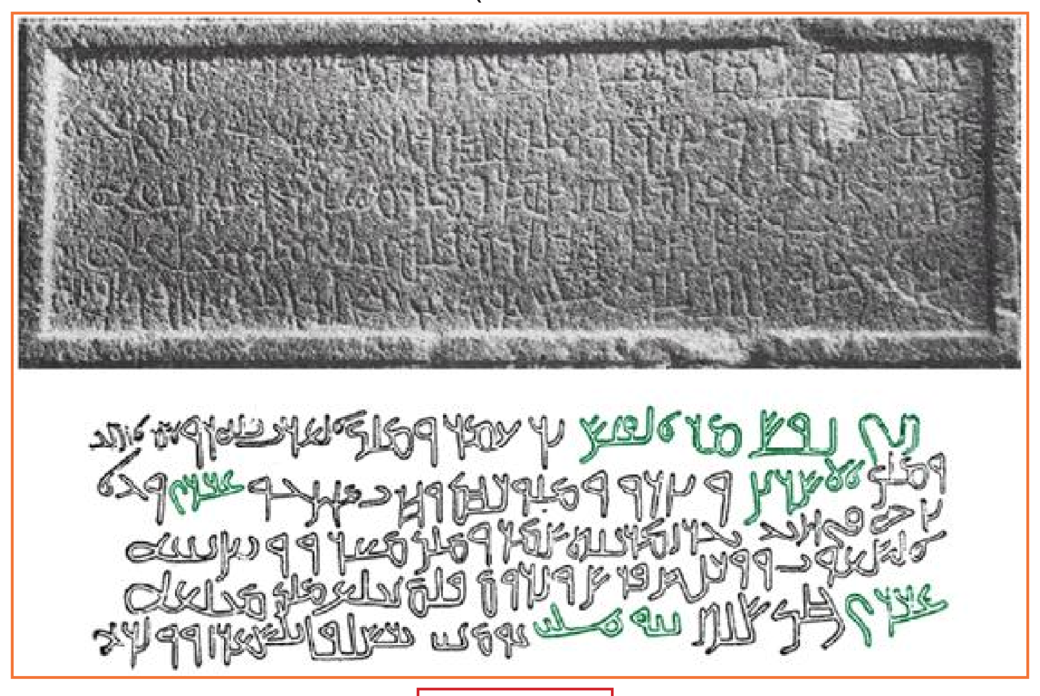
كانت بصرى محطة حضارية مهمة التقت



خريطة دولة الغساسنة

فيها اللغات الآرامية والعربية والسريانية والإغريقية لذلك كان الغساسنة كإخوانهم المناذرة في الحيرة قد شكلوا الواسطة لنقل التراث اليوناني والروماني وتطويره .

وبنى الغساسنة القصور والمعابد الفخمة ومن قصورهم (صرح الغدير، القصر الابيض، القلعة الزرقاء ، قصر النمّارة وغيرها)



نقش النمارة

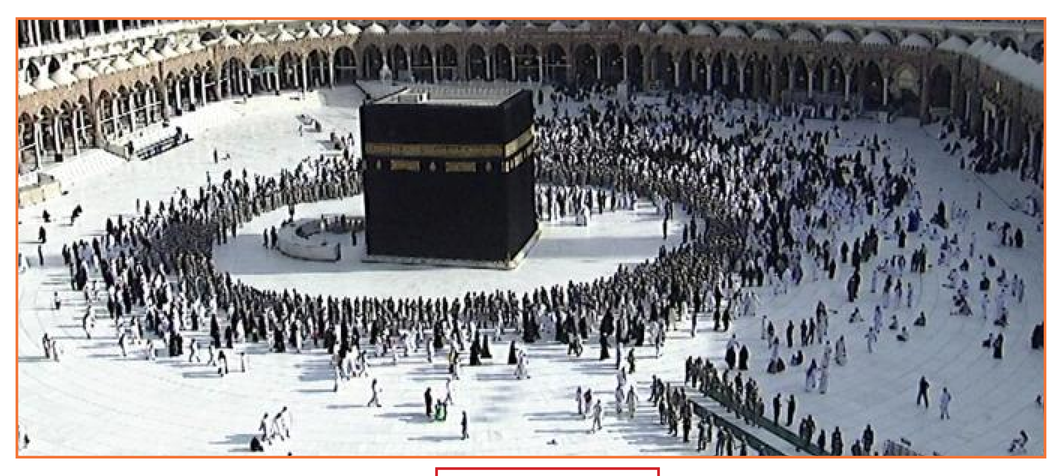
ومن الأديرة (دير حالي ، دير الكهف ودير الراهب)، وقد امتازت قصورهم بالنقوش الجميلة وفيها صور الطيور والخيول والفهود والأسود والفيلة .

وقد عثر في انقاض النمارة على اثر عربي مكتوب بالحرف النبطي سنة (٣٢٨م) عن أمير لخمي.



لكل فرد حرية الفكر والضمير والعقيدة .

دستور جمهورية العراق



الكعبة المشرفة

٧- مكة المكرمة:

بلد في واد غير ذي زرع تشرف عليها جبال جرداء فتزيد من قساوة مناخها ، ليس بها ماء، غير ماء (زمزم) وهي بئر محفورة وآبار اخرى مجة حفرها اهلها.

يعود الفضل في بقاء مكة المكرمة وبقاء اهلها لوجود الكعبة المشرفة وموقعها الجغرافي فهي حلقة تتجمع بها القوافل التي تَرد من اليمن تريد بلاد الشام ، او قادمة من بلاد الشام تريد اليمن، ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سرَّ السفر وفائدته فسافروا على هيئة قوافل تجارية من مكة المكرمة ، ينقل موادها التجار الآخرون من أهل اليمن ، ومن اهل بلاد الشام .

احتكر اهل مكة المكرمة التجارة في شبه الجزيرة العربية وسيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن ببلاد الشام والعراق .

وللبيت الحرام فضل كبير على أهل مكة المكرمة ، وبفضله يقصدها الناس وقد عرف البيت بـ (الكعبة المشرفة) ويقال له البيت العتيق ، وكانت عناية أهل مكة المكرمة بأشهر الحج فائقة حتى أنهم قدسوها وحرموا القتال فيها وسموها الأشهر الحرم وهي (ذو القعدة، ذو الحجة ، محرم ، رجب) وقد أقرّها الاسلام .

والبيت من أسماء مكة القديمة وهو اسم الكعبة المشرفة عند العرب وذلك يدل على قدم هذه المدينة، أول من سكنها العماليق، خلفهم عليها جرهم وهم من نازحي اليمن قديماً ثم جاءها بنو اسماعيل (عليهِ السلام) ثم الازد، فكنانة ، فقريش .

وصارت قريش فرقتين: قريش البطاح وهم ولد قصي بن كلاب وسائر ولد كعب بن لؤي، وقريش الظواهر من سواهم وهم من كانوا على اقل مسافة من مكة المكرمة.

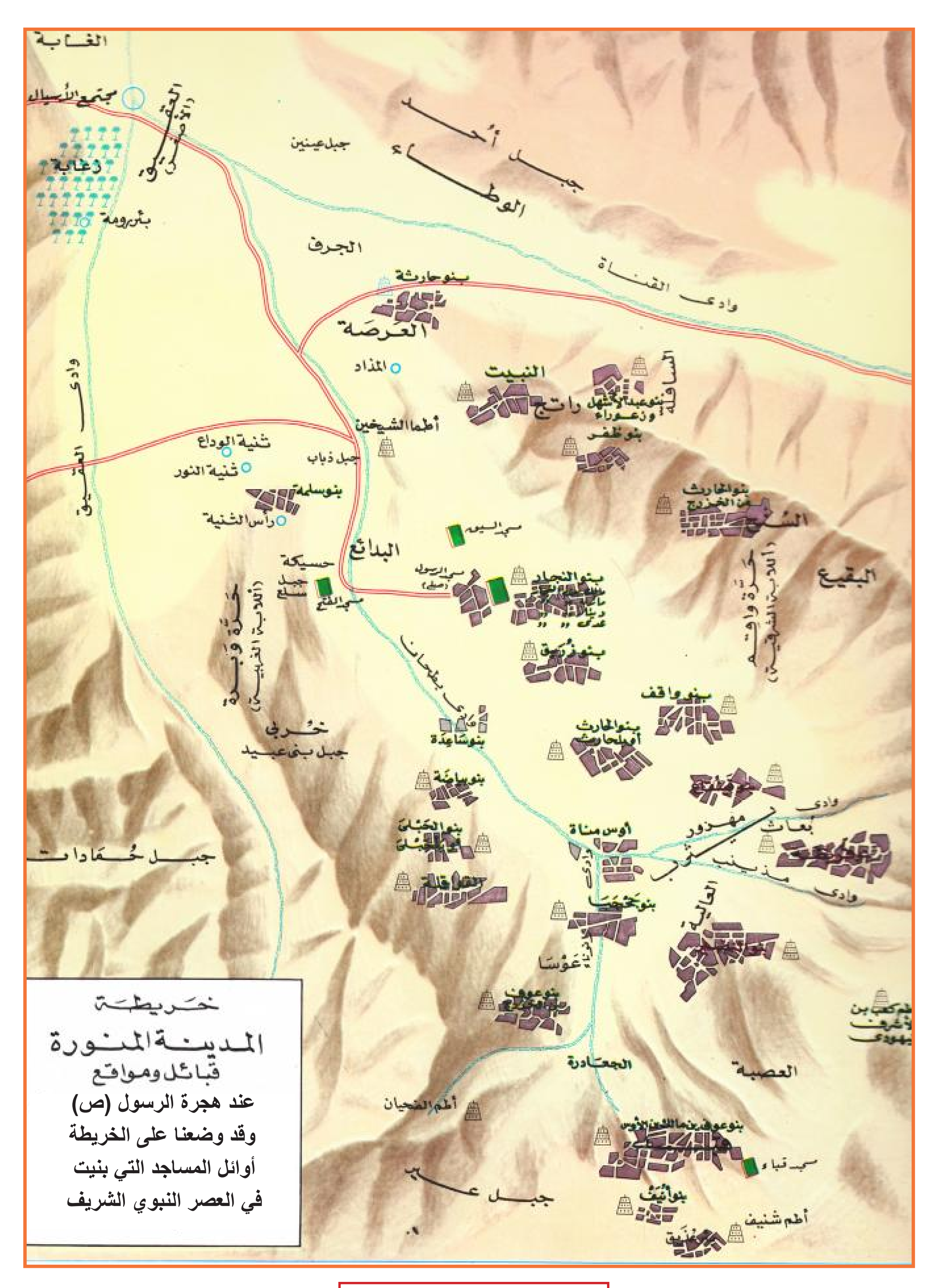
ونظراً لتحضر كنانة وقريش في مكة المكرمة واستئثارها بمكان الحج كان لها التقدم على سائر مضر، وكانت كنانة قبل قريش وكان التقدم في قريش كله لبني لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك، وسيدهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، الذي كان له شأن كبير في إدارة مكة المكرمة لأنه احدث فيها أموراً مهمة، إذ أنُّه أول من أصاب من قريش مُلكا أطاعه به قومه، فصار له لواء الحرب وحجابة البيت وتيمنت قريش برأيه فصارت مشورتهم اليه فاتخذوا (دار الندوة) إزاء الكعبة المشرفة في مشاوراتهم وجعلوا بابها الى المسجد فكانت مجتمع (الملأ) من قريش في مهماتهم ثم اخذ على عاتقه اطعام الحجيج وسقايتهم لأنهم ضيوف الله وزوار بيته ، وفرض في قريش خراجاً يؤدونه اليه ، فحاز شرفهم كلهم وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء.

والحكم في مكة المكرمة لا مركزي، حكم رؤساء وأصحاب جاه ونفوذ ومنزلة تطاع بها الاحكام وتنفذ الاوامر وبلد مثل مكة المكرمة فيه تجارة ورقيق وغنى وفقر وراحة وأصنام وعبادة وحجاج يأتون للتقرب الى الاصنام لا بد أن يضع أهله لهم وللقادمين اليه انظمة وقوانين لتنظيم الحياة وتأمين الأمن وحفظ الحقوق، كانت تجارة مكة المكرمة مع اليمن شتاءً وتجارتها مع الشام صيفاً وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ سورة قريش (١-٤).

وكانوا يستوردون من اليمن الجلود والعطور والأقمشة والأسلحة ويصدرونها لبلاد الشام ويستوردون الزيت والحبوب والأسلحة والمنسوجات من بلاد الشام، كما كانت لهم علاقة قديمة مع الحبشة عبر البحر إذ كانوا يصدرون لها (الجلود) عن طريق البحر ولهم اتفاقيات تجارية مع رؤساء القبائل التي تمر بها قوافلهم التجارية وتسمى (الإيلاف).

وقد اشتهر أهل مكة المكرمة بالصيرفة وكانت تردها العملة الذهبية من الروم والفضية من الساسانيين وقد وفدت على مكة المكرمة جاليات أجنبية .



خريطة المدينة المنورة

٨- يثرب (المدينة المنورة):

من مدن الحجاز العامرة نزلها الأوس والخزرج وهم بطون من الأزد النازحين من اليمن بعد سيل العرم .

وقد انتصروا على اليهود ممن سكن يثرب هرباً من بطش الرومان في بلاد الشام، وكان الاوس والخزرج قد استعانوا بإخوانهم من الغساسنة فنصروهم فصارت العزة لهم في يثرب وبنو القصور، وكانت بيوتهم من طابقين وهم الذين عرفوا بعد الاسلام بالأنصار .

اشتهرت يثرب بكونها منطقة زراعية وتعد من حواضر العرب قبل الاسلام، كما اشتهرت ديار بني سليم الى الشمال من يثرب بوجود المعادن (المناجم) فيها، ومن جملتها معادن الذهب (مناجم الذهب) وكان يعمل بها صناع من غير العرب .

٩- الطائف:

من المراكز الحضارية المهمة في شبه جزيرة العرب مدينة الطائف في الحجاز التي كانت مركزاً زراعياً، اذ كانت بلد بساتين وحدائق وكانت قريش قد امتلكت فيها بساتين وكانت مصيفاً لها ، وقد سميت الطائف طائفاً ًبحائطها المُطيف بها، وقد اشتهرت بدباغة الجلود وذكر ان مدابغها كانت كثيرة وان مياهها كانت تنساب الى الوادي، وقد اشتهرت بفواكهها وعسلها، وقد عثر الباحثون على كتابات مدونة على الصخور المحيطة بمدينة الطائف وفي مواقع غير بعيدة عنها تبين أنّ بعضاً منها قد كتب بالنبطية وبعضاً آخر بالثمودية وأنّ بعضها بأبجدية اخرى وأنّ بعضاً منها كتب بقلم اسلامي .

ثانيا : مظاهر حضارة العرب قبل الاسلام:

١ـ نظام الحكم:

اتسم نظام الحكم في الممالك والدول العربية المتحضرة في جنوب شبه جزيرة العرب قبل الاسلام بكونه نظاماً ملكياً وراثياً في الأعم الأغلب ، وقد استغل الملوك الديانة لدعم سلطانهم إذ مارس بعض ملوك اليمن الكهانة والملوكية، في آن واحد (مزواد معين) وقد اعتمد الملوك على رجال الدين وملاك الاراضي والتجار في إدارة شؤون المملكة .

وقد شهدت بعض ممالك اليمن قيام مجالس للمدن والتي كانت تدير شؤون المدن وما يخصها اثناء السلم والحرب والحكم بين الناس والتي كانت تسمى (مسود)، وهي مشابهة لدار الندوة عند قريش في مكة المكرمة ، ونصب بعض ملوك سبأ أنفسهم وسطاء لدى الالهة .

أمّا شمال شبه جزيرة العربية فقد كانت دولة تدمر والانباط التي خضعت انذاك لنفوذ الرومان، وكانت تتمتع بنوع من الاستقلال وكان لها مجالس للشيوخ ومجالس للعشائر، وكان الغالب على باقي مناطق شبه جزيرة العربية سيادة النظام القبلي، الحكومة فيه لرئيس القبيلة وكانت الرياسة وراثية وكانت كل قبيلة لها بيوتات تمتاز بالشرف وتكون الرئاسة فيها لأل هاشم بن عبد مناف في قبيلة قريش وقد امتازت هذه القبائل بالشرف، والسؤدد، وكان لرؤساء القبائل نفوذ على سائر القبيلة ، وكان الغالب ان رئيس القبيلة يستشير الملأ من اهل قبيلته ، وكانت العلاقات السياسية في القبيلة تستند إلى المنافع المشتركة والتقاليد المتوارثة والمثل الاجتماعية .

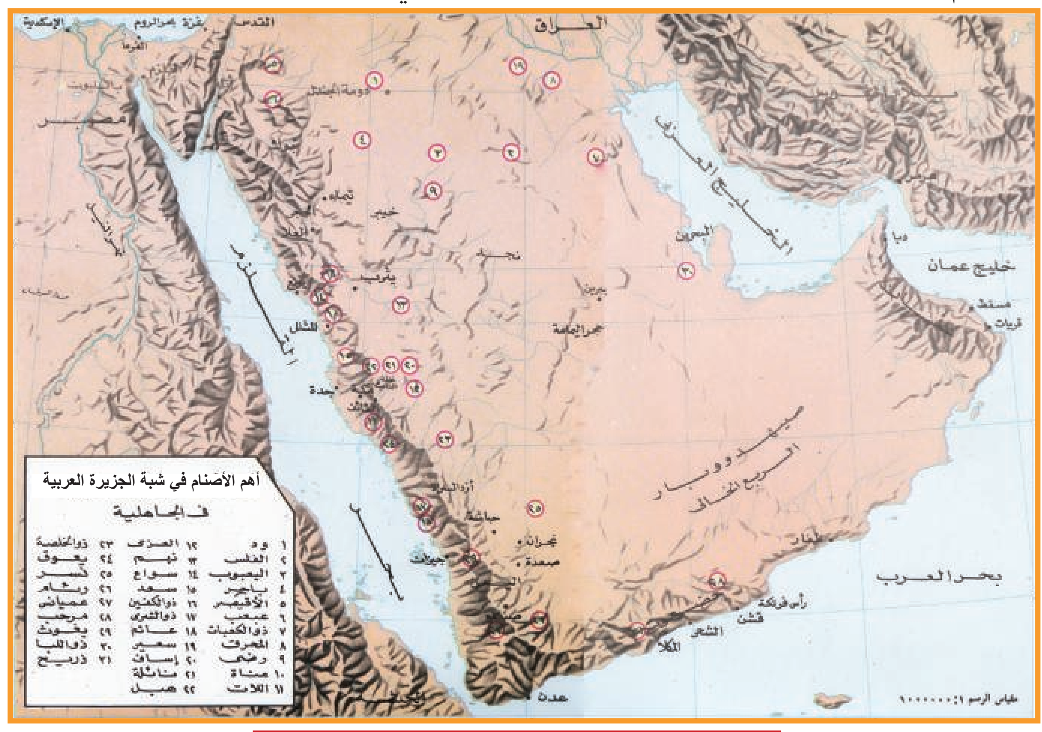
٢ ـ الدين والعقيدة:

كان العرب قبل الاسلام على اديان ومذاهب فمنهم من آمن بالله واعتقد بالوحدانية، ومنهم من آمن بالله وتعبد بالأصنام، ومنهم من آمنوا بالخالق وانكروا البعث، ومنهم من دان باليهودية والنصرانية، ومنهم من تزندق ومنهم من آمن بالملائكة ومنهم من آمن بعبادة الاسلاف، ومنهم من انكروا الخالق والبعث وهؤلاء عرفوا بالدهرية، ومنهم من تعبد بالكواكب والنجوم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة الجاثية آية (٢٤).

وكان اول من غير دين اسماعيل (ع) عمرو بن لحي الذي تروي الاخبار انه شاهد

تماثيل في بعض اسفاره الى الشام فاستحسنها واتى بها الى مكة المكرمة ، فشاعت عبادة الاصنام، وكان لسادات القبائل والامراء والملوك اثر في ظهور الشرك.



خريطة أهم الاصنام في شبة الجزيرة العربية

وعلى الرغم من كل ما تقدم فقد كان هناك من العرب من عاب وكره عبادة الاصنام واشار الى انها لا تنفع ولا تضر ولا تشفع ودان بديانة التوحيد، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي شك في الأوثان ورحل لبلاد الشام طالباً دين ابراهيم الخليل (ع)، وقد اشتهر في شبه جزيرة العرب عدد من البيوت المقدسة اشهرها الكعبة المشرفة .

٣ ـ التجارة :

من مظاهر حضارة العرب قبل الاسلام، اذ كانت من اهم وسائل الاتصال بين العرب والامم الاخرى ، وكان للطرق البرية الرابطة بين شمال شبه جزيرة العرب وجنوبها داخلية كانت ام ساحلية، فضلا عن الموانئ المنتشرة في جهات بلاد العرب الثلاث دورٌ مهمٌ في هذا الاتصال، اذ كانت مسارات للترابط الحضاري اضافة لكونها اداة للتواصل التجاري فكانت وسيلة من وسائل تواصل العرب حضارياً مع الهند والبنغال حتى انهم بلغوا سواحل الصين عن طريق التجارة البحرية معتمدين على الرياح الموسمية الغربية في ذهابهم نحو

الشرق وعلى الرياح الشمالية الشرقية في عودتهم نحو الغرب .

وقد ذكر المسعودي أنّ سفن التجارة العُمانية كانت تأتي بالطيب ولاسيما المسك من مناطق التبت، كما قصدت السفن بلاد السند، ووصلت سفن الصين والهند الى موانئ البحرين والأبلة على الخليج العربي، وكانت الابلة وسيلة اتصال الحيرة بالهند والصين.

٤ . تشييد السدود :

اهتم أهل اليمن قبل الإسلام بالزراعة وتنظيم الري من خلال أقامة السدود لخزن المياه لأجل استصلاح الاراضي واستغلالها للزراعة وقد اقام العرب السدود لقلة المياه في بلادهم فلم يدعوا وادياً يمكن استثمار جانبيه بالماء إلا وحجزوا سيله بسد فتكاثرت السدود بتكاثر الاودية حتى تجاوزت المئات، وقد ذكر الهمذاني ثمانين سداً في منطقة واحدة من اليمن.

وكانوا يسمون كل سد باسم خاص، او ينسبونه الى البلد المقام فيه ومن أعظم هذه السدود وأشهرها سد مأرب .

٥ . الأسواق:

ادت الأسواق الدائمية والموسمية في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام دوراً حضارياً مهماً في حياة العرب، فضلاً عن دورها الاقتصادي وكما هو معروف فان البناء الحضاري من نتاج الرفاه الاقتصادي لأي مجتمع من المجتمعات واذا كانت السمة السائدة عن شبه جزيرة العرب التصحر والبداوة الا ان النشاطات الاقتصادية والثقافية التي كانت اماكنها أسواق العرب قبل الاسلام كان لها الأثر الكبير في تطورهم الفكري والحضاري من خلال اسهامها في المحافظة على الوحدة اللغوية والهوية الحضارية والإنسانية للعرب آنذاك، اذ شهدت مواسم الأسواق حركة أدبية واسعة النطاق شكلت بفنونها المتعددة مظهراً حضارياً مهماً في حياة العرب قبل الإسلام .

واذا كانت آداب العرب مرآة الامة والمعبر عن مُثلها مظهراً من مظاهر معتقداتها وعاداتها والمتحدث عن صلة الافراد والجماعات بعضها ببعض وعن صلة الامة بغيرها من الأمم ، فان الأسواق كانت محطة من المحطات المهمة لإبراز سمات آداب العرب وفنونها .

وقد تميزت من أسواق، العرب الكثيرة ولاسيما أسواق (عكاظ ومجنة وذو مجاز) وهي أسواق موسمية تقام في الحجاز متزامنة مع موسم الحج ، اذ كان العرب يتوافدون اليها بأعداد كبيرة، وكانت تمثل اندية، ومجالس ثقافية، تشهد مباريات الشعر والخطابة وتداول الأخبار.

شكلت الأسواق مظهراً من مظاهر وحدة القيم والعادات والمعارف بالنسبة لعرب ما قبل الاسلام ، كما شكلت موقعاً مهماً للاطلاع على أنماط الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية للبلدان التي كان التجار العرب يصلون اليها براً وبحراً، إذ تناقل العرب معلوماتهم عن معارف الأقوام الأخرى في مجالات الطب وغيره .

كما شهدت أسواق العرب الكثير من المناظرات العقلية بين الحكماء وتشير المصادر الاسلامية الى إن المرأة العربية قبل الاسلام كانت من المشاركات في هذه المناظرات ومنهن هند بنت الخمس ، وأروى بنت الحارث ، والخنساء وغيرهن الكثير.

٦ ـ اللغة والكتابة :

ترجع لغات العرب على تعددها واختلافها الى لغتين أصيلتين لغة الشمال ولغة الجنوب وقد تغلبت لغة الشمال على لغة الجنوب ، وتغلبت منها لغة قريش لأسباب دينية ، واقتصادية وكان لموقع مكة المكرمة أَثر بالغ في وحدة اللغة ، لأنها كانت محطاً للقوافل ، وكانت أَسواقها التجارية آمنة لحرمة البيت ومكانة قريش ، ورياستها في عكاظ وهو إشهر إسواق العرب و أقواها اثراً في تهذيب اللغة العربية.

وقد أسهمت الرحلات التجارية في تهذيب لغة العرب من خلال سماع سكان المناطق المختلفة وأختيار افصح اللغات وابلغها اسلوباً واوسعها مادة وقد أسهم الشعر والخطابة والامثال في حسن العبارة والنطق .

وقد أسهم الشعراء العرب بانتشار اللغة العربية متخذينها وسيلة من أهم وسائل التواصل الحضاري بين العرب انفسهم .

اما الكتابة عند العرب فهي مشتقة من الخط الفينيقي الذي أشتق منه الخط الآرامي ومنه اشتق الخط النبطي بأنواعه الثمودي واللحياني والصفوي والمسند الحميري .

والكتابة من صنائع الحضارة وقد نقل أهل الحجاز الكتابة الى بلادهم عبر رحلاتهم

التجارية إذ تعلم أهل مكة المكرمة الخط من أهل الحيرة السريانيين (سكان العراق) برواية ومن أهل الإنبار برواية أخرى ، وكانت العرب تسمي من يتعلم الرماية والكتابة والسباحة (كاملاً) وقد استخدمها العرب في تدوين اشعارهم، إذ تشير المصادر الإسلامية الى ان ملوك الحيرة كانوا يكتبون انسابهم وقصائد الشعر ويحفظونها في كنائس الحيرة .

وقد تطورت المعرفة بالكتابة عند العرب قبل الإسلام مقترنة بالازدهار التجاري اذ تشير المصادر الى أنّ قيصر الروم كان قد كتب كتاباً لهاشم بن عبد مناف الذي يعزى اليه أزدهار تجارة مكة المكرمة فضلاً عن عهوده مع قبائل العرب التي كانت تمر بها تجارة قريش ، فضلاً عن ذلك فأن العرب كانوا يستخدمون الكتابة في معاملاتهم التجارية وحساباتهم وعهودهم وفي معابدهم .

٧ ـ العلوم والمعارف:

شكلت معارف العرب العلمية على بساطتها مظهراً مهماً من مظاهر الحضارة لديهم، اذ كان لموقعهم الجغرافي اثرٌمهمٌ في اهتمامهم بالتنبؤ بحدوث الامطار وهبوب الرياح قبل حدوثها، وايضاً اهتمامهم بقيافة الاثر تجمعت لهم معارف عن الكهانة والعرافة وزجر الطير وخط الرمل وتعبير الرؤيا من خلال الاقتباس وألاستنباط والتواتر.

وقد اخذ العرب علم النجوم عن الصابئة والكلدانيين وكانوا كثيرين في بلاد العرب فاخذوا عنهم معرفة النجوم ومواقعها، لأنها كانت دليلهم في اسفارهم وأكثر احوالهم وربما استعانوا ايضاً بهبوب الرياح .

اما الانواء عندهم فهي ما يقابل علم الظواهر الجوية مما يتعلق بالمطر والرياح وكانوا اذا أمطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط في ذلك الوقت ، وقد وضعوا لمهاب الرياح اسماء كالصبا ، الشمال ، الدبور والجنوب .

ومن أهم معارف العرب في شبه جزيرتهم علم الأنساب الذي كان من مستلزمات النظام القبلي الذي تسود فيه الروابط القبلية ، والانتساب الى القبائل أمر ضروري وسط الصحراء وقد عُني العرب القدماء بحفظ أنسابهم .

كذلك أهتم العرب برواية تاريخهم على شكل روايات قصصية شفهية، كما أهتموا برواية أيام العرب والتي تمثل حروبهم ووقائعهم المهمة قبل الإسلام وقد عرف العرب قبل الإسلام

بقوة الذاكرة .

اما الكهانة والعرافة فالمراد بها التنبؤ واستطلاع الغيب ومن اشهر الكهان والعرافيين الكاهنان (شق وسطيح).

كما اشتهر العرب أيضا بالفراسة والقيافة، والفراسة استدلال بأمور ظاهرة على أمور خفية، كالاستدلال بشكل المرء ولونه وقوله على خُلقه، فيستدلون باتساع الجبين على الذكاء.

والقيافة قسمان : قيافة ألاثر: وهي ألاهتداء الى الهارب بآثار قدمه ، وقيافة البشر: وهي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكل أعضائه على نسبه .

وكان التطبيب عندهم على طريقتين: الطريقة الاولى طريقة الكهان والعرافين، والثانية طريقة العلاج الحقيقية ، فالكهان كانوا يعالجون بالرُّقي والسحر أو بذبح الذبائح في الكعبة المشرفة والدعاء فيها، اما معالجاتهم بالعقاقير فكانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة أو الاشربة ولاسيّما العسل، وقد عرفوا الحجامة ، والفصد والكي وفي مجال الصيدلة استعملوا الاعشاب ومن اشهر اطبائهم (الحارث بن كلدة) ، وقد عرفوا الحساب وأخذوا من الهنود الارقام والمراتب العددية التي لم تكن موجودة فوحدوها .

٨ ـ فن العمارة والنحت:

شكل تقدم فن النحت أو المعمار المعيار الأساسي لمعرفة تقدم الأمم ورقيها الحضاري، وامة العرب كغيرها من الأمم كانت قد أهتمت قبل الإسلام بالعمارة والشواهد والمخلفات الاثارية الكثيرة والمتعددة في مختلف مناحي شبه جزيرة العرب، تدلل على ذلك بقايا آثار مدنهم التي كانت عامرة قبل الاسلام في جنوب وشمال شبه جزيرة العرب، اذ شيدوا فيها القصور والقلاع والاسوار وتفننوا في هندستها مستخدمين أمهر المهندسين والبنائين من العرب والروم والفرس .

ومن جملة قصورهم قصر غمدان الذي بقيت شواخصه قائمة للعصر الاسلامي كما تشير المصادر الإسلامية ، وقصر سلحين وبينون في جنوب شبه جزيرة العرب وقصر الزباء في تدمر وقصر الصفا والنّمارة والسويداء في بلاد الشام وقصور الخورنق والسدير والزوراء والقصر الأبيض في الحيرة .

كذلك أهتم العرب بعمارة معابدهم مستعملين طراز الأواوين (الإيوان مكان متسع من البيت، له سقف وثلاثة حيطان يجلس به كبار القوم عادة) في البناء وغيرها من الطرز الهندسية، وقد استورد العرب الخشب من افريقيا ومن الهند لاستعماله في بناء معابدهم وقصورهم ومنازلهم ، كما استخدموا المرمر و الحجر والجص واللبن مواداً للبناء.

كما أن العرب قبل الاسلام كانوا قد أستخدموا التصاوير والنقوش والزخارف لتزيين القصور والمعابد، وقد دلت المكتشفات الاثارية في شبه جزيرة العرب على ذلك، وقد عثر على تماثيل لأُسود مصنوعة من البرونز مما يدل على تقدم صناعة النحت عند العرب قبل الإسلام .

وقد أشارت المصادر التاريخية الإسلامية الى وجود رسوم جدارية كانت تزين جدران الكعبة المشرفة ومن هذه الرسوم صورة تمثل ابراهيم الخليل (ع) ورسوم عديدة للملائكة ورسوم اشجار وصور للعذراء مريم (ع) وفي حجرها المسيح عيسى بن مريم (ع)

٩- النقود والمسكوكات:

تشير المكتشفات الاثارية الى وجود الكثير من المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية المستعملة في التداول عند العرب قبل الإسلام، وقد كان العرب يصورون ملوكهم وزوجات ملوكهم على المسكوكات وقد عُثر على صورة النخلة وسعفها على النقود القديمة .

١٠- الحياة الاجتماعية:

كانت العائلة هي الوحدة المهمة في المجتمع العربي قبل الإسلام، وكانت شديدة التماسك وتقوم على روابط قوية بين أفرادها أساسها التزاوج.

وقد كانت المرأة عند العرب قبل الإسلام تتمتع بمكانة محترمة، ويظهر ذلك من الاشارات الواردة في المصادر الإسلامية والتي تشير الى دورها السياسي والاجتماعي والثقافي وإسهاماتها في التجارة والحروب والمشاركات الادبية .

كانت السمة السائدة في المجتمع العربي البدوي هي رابطة القبيلة القائمة على النسب والدم والولاء للقبيلة، وكان العرف القبلي هو القانون الذي يحكم المجتمع البدوي .

وقد تميزت قريش في مكة المكرمة عن سواها لما لها من أهمية دينية واقتصادية كونها كانت قبلة القبائل العربية بسبب وجود البيت فيها إذ كانت تحج اليه قبائل العرب.

اسئلة الفصل الثاني

س١) ما أهم المراكز الحضارية في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ؟

س٢) ما عوامل ازدهار الحضارة في اليمن قبل الإسلام ؟

س٣) تكلم عن أهمية التجارة والاسواق في تطور حضارة العرب قبل الإسلام ؟

س٤) ما طبيعة نظام الحكم في شمال شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام ؟

س٥) تكلم عن مذاهب وأديان العرب قبل الإسلام ؟

س٦) ما أهم معارف وعلوم العرب قبل الإسلام ؟

س٧) بماذا اشتهرت كل من: مكة المكرمة، الطائف قبل الإسلام ؟

س٨) ما أهمية اللغة العربية في التكوين الحضاري للعرب ؟

س٩) ما الشاهد التأريخي في سورة قريش ؟

س١٠) أذكر أهم الأسواق التجارية في المراكز الحضارية في شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام ؟

نشاط

- يشارك الطلبة في رسم خريطة تمثل المواقع الحضارية للعرب قبل الاسلام .
- أجمع صوراً تمثل الميزات الحضارية لدولتي الانباط وتدمر وعلقها في جدارية مع كتابة بحثٍ موجزٍ عنها .
- يشارك الطلبة في حلقة نقاشية بأشراف المدرس / المدرسةَّ لمناقشة المنجزات الحضارية لدولة الحضر.

الفصل الثالث

المؤسسات الإدارية

أولاً- الـوزارة :

الوزارة أحدى النظم السياسية والادارية الهامة في الإسلام، بل يمكن القول أنها أهم النظم السياسية التنفيذية على الاطلاق، ذلك أنها ولاية عامة. والوزير لغة مشتقة من الوزر، والوزر أو العبء، لأن الوزير يتحمل أعباء الحكم وأثقاله، أو من الوزر، وهو المعتصم، وفي القرآن الكريم ورد بمعنى الملجأ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة القيامة (آية ١١-١٢)

لأن الناس يلجأون إلى الوزير في أمورهم المعاشية. ثم أن اللفظة وردت في القرآن الكريم في قول موسى (ع) مخاطباً ربه :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة طه (آية ٢٩- ٣٢).

ويقول بن خلدون في معنى الوزارة: (مأخوذة) إما من المؤازرة وهي المعاونة، أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل أوزاره وأثقاله ، وهو راجع إلى المعاونة المطلقة.

أما مهام الوزارة فكانت كما يأتي :

١- النظر في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة.

٢- النظر في أمور جباية الأموال وانفاقها وضبط ذلك من جميع وجوهه وهو يعرف بأسم صاحب المال والجباية.

٣- النظر في أمور الناس لمعرفة مشاكلهم ومطالبهم وحجبهم عن الخليفة .

٤- النظر في قيادة وحماية الثغور (الحدود) وولاية الجبايات الخاصة والنظر في حسبة الأسواق والنظر في السكة.

والحقيقة فإن النظام السياسي في عهد الرسول (ص) لم يعرف نظام الوزارة بمفهومها الواسع بالرغم من إن الصحابة كانوا يساعدون الرسول (ص) في مهامه السياسية والعسكرية والأقتصادية والأجتماعية،غير أن منصب الوزارة بدأ يتبلور منذ العصر الأموي، وازدادت

أهميتها في العصر العباسي وازداد نفوذ الوزير بشكل بارز.

ويلاحظ أن معظم وزراء العباسيين كانوا من عائلات فارسية كأسرة البرامكة وبني سهل وبني طاهر، وبني الفرات، وبني الجراح، وبني خاقان وبني وهب وسواهم.

ولا شك بأن الوزارة تطورت وتباينت مهامها ما بين بلدان المشرق وبلدان المغرب والأندلس، وتداخلت معها مناصب الحجابة.

أما أنواع الوزارة الإسلامية فقد كانت على نمطين : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ.

١- وزارة التفويض: وهي أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده.

أما فيما يختص بشروط تولي وزارة التفويض، فهي تماثل شروط الخليفة باستثناء النسب، غير أن الوزير يحتاج إلى شرط إضافي على شروط الخلافة، وهو أن يكون من أهل الكفاءة فيما وكل إليه من أمر الحرب والخراج.

ومن واجبات وزارة التفويض إطلاع الخليفة على ما قام به من أعمال وما أنجز من مهام لئلا ينفرد بالأمور.

وبالتالي فإن على الخليفة الإطلاع ومراجعة أعمال الوزير للموافقة على الصواب واستدراك الأخطاء ((لأن تدبير الأمة إليه موكول وعلى اجتهاده محمول)).

٢- وزارة التنفيذ: إن وزارة التنفيذ حكمها أضعف وشروطها أقل، لأن النظر فيها مقتصر على رأي الخليفة وتدبيره، ووزير هذه الوزارة هو الواسطة بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عن الخليفة ما أصدر من أوامر وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم، وينفذ بتقليد الولاة المناصب وتجهيز الجيوش، ثم يعرض على الخليفة ما ورد من أمور هامة، وبكلمة فإن وزير التنفيذ هو مساعد في تنفيذ الأمور وليس والٍ عليها أو متقلد لها، ويراعي في من يتولى هذا المنصب سبعة أوصاف : الأمانة، صدق اللهجة، قلة الطمع، عدم العداوة مع الناس، أن يذكر للخليفة ما رآه وما سمعه، الذكاء والفطنة، أن لا يكون من أهل الأهواء، وإن كان هذا الوزير مشاركاً في الرأي أحتاج إلى وصف ثامن وهو الحنكة والتجربة.

أما عن صفات الوزير وواجباته فقد تحدث عنها بن الربيع في كتابة (سلوك المالك في

تدبير الممالك) الذي ألفه للخليفة العباسي المعتصم عن صفات الوزير فشرط فيه أن يكون :

- حَسنَ العلم بالأمور الدينية، لأن الدين عماد الملك .
- حَسنَ العقل، لأن العقل ملاك كل شيء وبه تدبر الأمور .
- شديد الحلم، جميل الصفح، ما لم يضر بالسياسة .
- حلو اللسان، بليغ القلم، ليخاطب الملوك .
- حميد الأخلاق، تام القبول، أديب النفس .
- سهل الحجاب، مبذول الإنصاف، ظاهر البشر .
- معمور القلب بالنصيحة، معتقد الخير والصلاح .
- قليل اللهو، بطيء الغضب، كريم الطبع، كتوم السر، صبوراً محتملاً .
- صحيح الجسم والرأي، جيد الفكر .

أما عن واجبات الوزير فأهمها :

أن يكون خبيراً بأدب التدبير والسنن والفرائض والأحكام، وأن يكون ناصح للملك وأمين وصادق، وأن يوصل إلى الملك كل كلام يخاف عاقبته على المملكة، وأن يطيل النظر في سير الملوك وتدابيرهم وتجاربهم، وأن يجعل نهاره للنظر في الأمور العامة، وليله للنظر في الأمور الخاصة، وأن يكثر عيونه على الخاصة والعامة حتى يعرف أخلاقهم وأحوالهم، وأن يحسن اختيار مَنْ يستعمله في أعمال الملك ولا يسامح أحداً في جنايته.

وبصفة إجمالية فإن قوة الوزير وضعفه وحجم سلطانه لا تحددها القوانين بقدر ما تحددها قوة الخليفة وضعفه، وأيضاً قوة الوزير وضعفه.

ثانياً - الدواوين :

من الأنظمة التي أخذها العرب من الفرس والروم نظام الدواوين الذي كان أداة لتنظيم أمور الدولة في كافة المجالات، والديوان ما تعلق بحفظ حقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، وقد استعمل العرب كلمة (ديوان) في نظامهم الإداري بعد أن عربت عن الفارسية وهو يعني مكان محدد فيه عدد من الكتاب ومعهم السجلات وغير ذلك .

الدواوين في عهد الرسول (صلى الله عليهِ واله) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم):

وجد الديوان منذ عهد الرسول (ص) دون أن يتسمى بهذه التسمية، وللدلالة على صحة هذا القول، أنه كان للرسول (ص) كَتَبة وقرّاء من الصحابة بلغ عددهم أكثر من اثنين وأربعين شخصاً، فقد كان عثمان بن عفان (رض) يكتب له أحياناً، وأحياناً الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وكان أول من كتب له أبي بن كعب وإذا غاب كتب له زيد بن ثابت.

ويكفي هذا العدد من الأشخاص لأن يؤلفوا ديواناً للكتابة والإدارة والانشاء وتميز زيد ابن ثابت بكونه ترجمان الرسول (ص) بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية والعبرية، يترجمها إلى اللغة العربية.

ومن الدلائل على وجود المفاهيم الديوانية عند المسلمين، أن النبي (ص) أراد مرة إحصاء المسلمين فقال : اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس، فكتبوا له ألفاً وخمسمائة رجل، ولم يكن قبل ذلك يجمع المسلمين كتاب حافظ في ديوان مكتوب، بالرغم من أن الرسول (ص) أحصى المسلمين وسجل عددهم.

لقد كان إحصاء المسلمين الأول خطوة أولى نحو التدوين إذ بمثل هذه الطرق تم الإحصاء وأعداد من أعتنق الإسلام، والظاهر أن الرسول (ص) أتخذ هذه الخطوة ليقف على أعداد من أعتنق الإسلام، وذلك لدفع أموال الزكاة ولصرفها على المحتاجين من المسلمين، والأخذ ممن يتوجب عليهم الدفع، وللتأكد أيضاً من أعداد المسلمين الذين يمكن لهم الاشتراك في العمليات القتالية.

وقد أقتدى الخليفة أبو بكر الصديق (رض) بما ساد في عصر الرسول (ص) من أنظمة أولية، إذ أن من كتب للرسول (ص) كان يكتب أيضاً للخليفة أبي بكر الصديق (رض)، على أنه مما لا شك فيه أن نواة (بيت المال) وجدت في أيام الخليفة أبي بكر الصديق (رض).

ولما تولى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الخلافة، طور الأنظمة السائدة في الدولة، وأضاف إليها أساليب إدارية متبعة في بلاد فارس، ففي (١٧هـ) فرض على المسلمين الفروض ودون الدواوين، ومنح العرب المسلمين العطايا من وارد الأراضي التي فتحت من قبل المسلمين .

ولما أراد وضع الدواوين لتوزيع الأموال على المسلمين، قال له الإمام علي بن أبي طالب (ع) وعبد الرحمن بن عوف : أبدأ بنفسك، قال : لا، بل أبدأ بعم رسول الله (ص) وآل البيت (ع) ثم الأقرب فالأقرب، ومن الذين دونوا للخليفة عمر (رض) عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم ، وكانوا من نبهاء قريش لهم علم بالأنساب وبالناس.

وكان الديوان (الدفتر) أو مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية، وأول ديوان أنشأ في الإسلام هو ديوان الجند، ويطلق عليه أيضاً ديوان العطاء، وغايته الحفاظ على الأموال الفائضة الواردة إلى بيت مال المسلمين، مثل الزكاة والعشور وغيرها، وتسجيل أسماء الجند لصرف العطايا لهم، وقيل أن أول ديوان وضع في الإسلام هو ديوان الإنشاء.

ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان(رض)، أقر الأوضاع الإدارية السائدة التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) من قبل، وسار الإمام علي بن أبي طالب (ع) على النمط الإداري السابق لأنه لم ير موجباً لتغييره أو الإضافة عليه.

وكانت الدواوين في الدولة العربية الإسلامية تنقسم الى خمسة اقسام هي:

١- ديوان الجند :

وهذا الديوان أسسه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لتحديد العطاء لجميع المسلمين ولاسيما الجند منهم، غير أنه قد مر بتطورات عديدة على أيدي الأمويين، لما اقتضته الظروف الجديدة للحياة الإسلامية في العصر الأموي، نتيجة ازدياد عدد الجند، واحتكاك المسلمين بحضارات أخرى، وتشعب المسائل المالية وما شابه ذلك من نظرة الجند إلى العطاء على أنه معاش أكثر منه راتباً لقاء خدمة حربية أمر بها الإسلام.

وكان المجتمع العراقي المتعدد الاجناس اقل البلدان عطاءً رغم ان النسبة ألاكبر من الأموال كانت تأتي الى الدولة الأموية من أرض العراق الخصبة وسكانها المزارعين.

٢- ديوان الخراج :

ويعدّ أهم الدواوين جميعاً، لأنه يشرف على شؤون الجبايات وجميع القضايا المالية

للدولة، ويتولى تسجيل ما يرد وما ينفق من الأموال في الوجوه المختلفة، ويقال لكاتب الخراج قلم التصريف، وأول ما دون هذا الديوان في الإسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الإسلام، وقد أقتبسه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) من الإدارة الفارسية.

وكان هذا الديوان يعد بمثابة وزارة المالية حالياً، إذ نظم تنظيماً دقيقاً حيث أعدت فيه إيصالات الاستلام والصرف، التي كانت تحفظ في سجلات خاصة بها.

وكان الفائض من الولايات يرسل إلى هذا الديوان ومع ذلك فإن مبالغ طائلة أبقيت في خزائن الولايات للأغراض المحلية والحوادث الطارئة.

٣- ديوان الرسائل :

كان الرسول (ص) يستعين في أمور دولته بكتاب يكتبون له الرسائل والوثائق، وحذا الخلفاء الراشدون (رض) حذوه فكانوا يتخذون الكتاب لتدوين الكتب والرسائل، واستمر الحال كذلك حين أتخذ الأمويون ديواناً خاصاً بالرسائل يخدم الإدارة المركزية والإدارات المحلية.

وكان من أعمال هذا الديوان تنسيق العمل أيضاً بين جميع الدواوين الأخرى، نظراً لما يرسله الخليفة من ملاحظات على سير الأمور في هذه الدواوين وما يتوجب عمله.

وكانت المراسلات السياسية في عهود الخلفاء المتقدمين قصيرة جداً ومقصورة على ما يراد منها.

ويتولى هذا الديوان مشرف عام يقوم بالإشراف على الرسائل الواردة من الولايات الإسلامية، أو الموجهة من الخليفة إلى عماله.

٤- ديوان الخاتم :

وكان من مهام هذا الديوان تسجيل ما يصدر عن الخليفة ثم يختم سواء كانت رسالة أم وثيقة قبل أن يرسل إلى الولايات والأمصار والأقاليم، كانت الرسائل – قبل إنشاء ديوان الخاتم- تصدر غير مختومة بتوقيعات الخليفة، وأصبحت الرسائل تصدر مختومة، بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع، ثم تختم بخاتم صاحب هذا الديوان، كما هو الحال اليوم في قلم (الأرشيف) أو السجلات، بحيث لا يعلم أحد ما تشتمل عليه، ولا يستطيع فضها أيضاً، ولو

حاول حاملها ذلك لاكتشف أمره فوراً.

وقد اتبع ولاة الأقاليم الأسلوب نفسه، فأعتاد زياد بن أبيه أن يختم الرسائل، وأن يحفظ نسخاً من جميع أوامره، حتى إذا ما تقاعس البعض عن تنفيذ أوامره، أو شذوا في تحقيقها، كانت هناك نسخة ثبوتية إضافية تدينهم.

وفي عهد عبد الملك بن مروان تقدمت إدارة ديوان الخاتم، كما نشأت انذاك دار للمحفوظات في دمشق، وكان الخلفاء الأمويون عادة لا يولون ديوان الخاتم إلا أوثق الناس عندهم، وأول من رسم هذا الديوان معاوية.

٥- ديوان البريد :

أن كلمة (بريد) مأخوذة من الكلمة الفارسية (بريدن) لأن أذناب خيل الرسل وأعرافها كانت مقطوعة، لتميزها عن الخيل الأخرى، ولتميز راكبها بأنه رسول الدولة.

وقد استحدث نظام البريد، بعد أتساع الدولة العربية الإسلامية، وضرورة الاتصالات بين مركز الخلافة وسائر الأقاليم للوقوف على الأحداث ومجريات الأمور، وإعطاء الأوامر وتلقيها أيضاً، إذ أصبح من الضروري نقل الرسائل في سرعة متناهية لتسهيل ألاتصال السريع بين الخليفة وعمال الأقاليم.

وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أنشأ نظاماً للبريد، وكان في نشأته الأولى مختصاً لتصريف شؤون الدولة فقط، وبعد التيقن من فائدته وضرورته أتيح للناس الانتفاع منه في نقل رسائلهم، فضلاً عن أنه يزيد دخل الدولة المالي، من جراء إجرة النقل أو الرسوم المترتبة على ذلك.

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان تقدم نظام البريد تقدماً ملموساً، فلم يعد نظاماً يعتمد على طريقة تبادل الخيل في المحطات البريدية فقط ، ولنقل الرسائل، بل أصبح نظاماً يستفاد منه في الحالات العسكرية، والحربية والرحلات السريعة، فقد كانت وسائل البريد تستخدم أحياناً في نقل القوات العسكرية على وجه السرعة، حيث كانت تستطيع أن تحمل ما بين خمسين ومائة رجل في الرحلة الواحدة.

وللدلالة على أهمية البريد والوظيفة التي كان يقوم بها، عبد الملك بن مروان يمنع حاجبه

من الوقوف في طريق حامل البريد إذا أراد الدخول إليه، في الحالات الطارئة وأيام الحرب.

وكان وجود هذه الدواوين الخمسة، ضرورة مهمة لإقامة دولة متكاملة، بحيث تستطيع أن تنظم أمورها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، وقد استطاعت الدولة العربية الإسلامية أن تستكمل شروط إقامة مثل هذه الدولة.

ثالثاً - الـولاة :

الولاة هم حكام الأقاليم، الكبيرة أو الصغيرة، حسب كفايتهم وثقة الخليفة فيهم، ويشترط في الوالي الإسلام ، العدالة، الذكاء، الفطنة، الأمانة والرحمة بالناس، فقد رفض الرسول (ص) تولية الأقرع بن حابس بعد أن استدعاه ليوليه احدى المدن ليكون حاكماً عليها - وعندما عرف الرسول (ص) أنه ليس رحيماً بأولاده العشرة، ولم يُقبِّل واحداً منهم، فرفض توليته فمن لم يرحم أولاده لن يرحم الناس .

والولاة نوعان :

النوع الأول: ذو السلطات المطلقة في ظل خضوعه ومن معه لشريعة الله، وهذه كانت سائدة في عهد الرسول (ص) والخليفة أبي بكر(رض) وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فقد كان الولاة في هذه المدة لا يقومون بشؤون الحكم فحسب، بل كانوا يمثلون الرسول (ص) أو الخليفة في الشؤون الدينية، وإلقاء خطبة الجمعة في المسجد الجامع، ويأمون المصلين، بحيث يمكن تسميتهم ممثلي أو نواب الخليفة.

النوع الثاني: في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) اتسعت الدولة العربية الإسلامية عبر عدد من البلدان المتباعدة، فظهرت فكرة فصل الشؤون الدينية عن الشؤون الزمنية، وبدأت حكومة الولاية – في الأقاليم – تنقسم إلى فروع، وهي الولاية التي نسميها (الحكومة ذات السلطة المحدودة)، فأصبح هناك إدارة للشؤون المالية، وإدارة القضاء، وهي فروع تفرعت كلها عن الحكومة، وكان لكل فرع منها هيئة خاصة من الموظفين، وبعد انفصال الإدارات الحكومية المختلفة نلاحظ الفرق بين الوالي المحدود السلطة أو المطلق السلطة، فالوالي المطلق السلطة يعينه الخليفة مباشرة، فيقود الجيش ويتولى القضاء، ويجمع الضرائب والزكاة، ويقوم بنفقات الحكومة، ويمارس الشؤون الدينية ويعاقب المخالفين

للشريعة، ويأم المسلمين في الصلاة ويتولى قيادة الجيش.

وجدير بالذكر أن كافة الولاة كانوا من العرب طوال عصر الخلفاء الراشدين (رض) والأمويين، وقد ازدادت أعدادهم في خلافة عثمان بن عفان(رض) نظراً لفتح اقاليم جديدة مثل أذربيجان، ولما جاء الإمام علي بن ابي طالب (ع) بادر إلى عزل بعض الولاة منعاً لاستمرار التذمر والشكوى، فقد عزل بعضهم منعاً لاستمرار الفتنة، وأهتم خلفاء بني أمية في أختيار ولاتهم من العناصر العربية الموالية لهم ومن أفراد البيت الأموي نتيجة لاتساع الدولة العربية الإسلامية، فكان لابد لهم أن يسندوا إمارة الولايات إلى العناصر المخلصة والقوية والكفوءة.

وقُسمت الدولة إلى عدد من الولايات هي :

الولاية الأولى: وتشمل الحجاز واليمن وأواسط بلاد العرب.

الولاية الثانية: وتشمل مصر والنوبة.

الولاية الثالثة: فقد ضمت العراق وعُمان والبحرين وكرمان وسجستان وكابل وخراسان وبلاد ما وراء النهر والسند. وكان الوالي يقيم في الكوفة ويبعث عماله على شتى هذه النواحي.

الولاية الرابعة: بلاد الجزيرة وتتبعها أرمينية وأذربيجان وبعض نواحي آسيا الصغرى.

الولاية الخامسة: فهي إفريقية وتشمل سائر بلاد المغرب والأندلس، وكانت تتبع والي مصر أولاً ثم انسلخت عنه وأصبحت مستقلة بذاتها، كما استقلت الأندلس بعد ذلك أيضاً عن ولاية أفريقية بعد أن كانت تابعة لها.

وفي العصر العباسي تقلصت أعداد هذه الولايات بعد أن استقلت معظم بلاد شمالي إفريقية عن بغداد ولاسيما في العصور العباسية المتأخرة .

وقد تقلصت صلاحيات الوالي في العصر العباسي وضعفت منزلته بسبب أستحداث منصب الوزير في العصر العباسي، وأصبح الوالي يأتي بالمرتبة الثانية بعد الوزير، وقد تعرض الولاة بين الحين والآخر إلى العزل واستخدمت الرشوة في اختيارهم، منذ فترة النفوذ التركي والبويهي، وأدى الوضع إلى تداعي نظام الإدارة.

وكان حكام الولايات يسمون أول الأمر بالعمال، وقد تطورت صلاحيات (العامل) وتوسعت سلطاته بمرور الزمن فسمي بالوالي، ثم لقّب بالأمير.

رابعاً - الحسبـة :

أما فيما يختص بنظام الحسبة والمحتسب في الإسلام فهو يعُد من أرقى الأنظمة الإدارية المحلية التي كانت مرتبطة بالنظام القضائي وقد أنشئ نظام الحسبة تبعاً لتعاليم الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويقال لصاحبها (المحتسب) أو(صاحب الحسبة) أو(متولي الحسبة) أو(ناظر الحسبة) أو(والي الحسبة).

والحسبة في الشريعة الإسلامية إزالة المنكر إذا ظهر فعله، والأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ويمثل نظام الحسبة بذلك، نظاماً رقابياً يتكامل مع النظام الاجتماعي والسياسي في المجتمع الإسلامي.

والمعروف ما أمر الشرع بعمله، والمنكر ما نهى الشرع عن فعله، لكن مع التطور الحضاري للدولة والمجتمع قد تظهر بعض السلوكيات والعادات والأمور العُرفية فتخضع لتحسين الشرع وتقبيحه، ولا يخضع الشرع لها.

وللحسبة الرقابية العامة والوظيفية في هذا المجال الفضل الأول، وأول من احتسب هو رسول الله (ص) فقد كان يمر على الأسواق ويقول للناس: ((من غشنا فليس منا)).

ويعد الخليفة عمر بن الخطاب(رض) أول من مارس الحسبة، وكان يستخدم الدرة أو السوط في معاقبة المخالفين.

وقد استمرت الحسبة في العصر الأموي، ونقلها الأمويون إلى الأندلس، وكانت من أهم الوظائف الشرعية عندهم.

وقد صارت وظيفة المحتسب في العصر العباسي من الوظائف الثابتة الوطيدة الأركان في جميع ارجاء الدولة العربية الإسلامية.

وكان المحتسب يُختار من بين علماء الدين والعلم الملمين بأحكام الشريعة، والأشداء في الحق وذوي الثقة والأمانة، وربما كان من القضاة، وتضاف أعمال الحسبة في بعض

الأحيان إلى القاضي أو إلى الوالي أو صاحب الشرطة، وقد يجمع المحتسب بين نظر الحسبة ونظر الوقف. وكان المحتسب يولي عنه نواباً في سائر المدن والأقاليم التابعة له.

وكانت اختصاصات المحتسب توجب مراقبة ما يتعلق بتأدية العبادات لاسيما تأدية صلاة الجمعة، والمحافظة على الصلاة جماعة، وأداء الزكاة وردع أهل البدع، ومراقبة الأسواق، ومعاملة التجار للناس، ومراقبة النقابات والحرفيين.

ومن مؤهلات المحتسب التي هي شروط القيام بالحسبة :

١- أن يكون المحتسب مسلماً، لأن الحسبة تهدف إلى إصلاح الناس وحماية الدين، وفق الشريعة الإسلامية .

٢- أن يكون المحتسب عاقلاً، عادلاً، يميز بين الخير والشر والحلال والحرام، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

٣- أن يكون بصيراً بالأمور وعواقبها، فيعرف ما يترتب على أمره ونهيه، وهل يؤدى أمره ونهيه إلى منكر أكبر فيحجم، فيدرأ السيئة الكبرى بالسكوت عن الصغرى.

خامساً - الحجابـة :

الحجابة ومفردها حاجب، ويقصد به الشخص الذي تكون مهمته الوقوف على باب الخليفة ليحجب الناس عنه ويمنع الدخول إليه إلا بإذن خاص، فهو إذن همزة وصل بين الخليفة والناس يقدم السفراء ويأذن لمن يشاء الدخول على الخليفة أو يمنعه، والحاجب منصب كبير يشبه رئيس التشريفات في عصرنا الحالي، كان الرسول (ص) يجلس في المسجد النبوي فهو مقر الحكومة يستقبل الناس والوفود، وفيه كان مسكنه في حجرات خاصة، ولم يكن النبي (ص) يحتجب على الناس عندما يكون في المسجد، وكذلك لم يكن للخلفاء الراشدين (رض)حجّاب ولم يحتاجوا إلى حاجب قط، لأنهم ببساطتهم وحسن عشرتهم للرعية لم يكونوا يمنعون أحداً من الدخول عليهم ليلاً أو نهاراً، لقد كانت أبوابهم مفتوحة لذوي الحاجة ويحلون مشاكل الناس مباشرة مقتدين بذلك بسيرة الرسول (ص).

وقد تطورت وظيفة الحاجب في العصر الأموي فقد أفرد الخليفة معاوية بن أبي سفيان لها مكانة واسعة، إذ أتخذ لنفسه حجاباً يقفون على بابه يمنعون الناس من الدخول إلا

بإذن وسؤال بعد حادثة الاغتيال التي تعرض لها، الإمام علي بن أبي طالب (ع) من قبل الخوارج، وذلك خوفاً على نفسه.

وكانت من مهمات الحاجب إدخال الناس على الخليفة مراعياً في ذلك مقامهم وأهمية أعمالهم وعدم إدخالهم إلا بإذن خاص، لكن الخلفاء الأمويين استثنوا من تلك المراسيم ثلاثة أشخاص، صاحب البريد وصاحب الطعام وطارق الليل.

واقتدى العباسيون بالأمويين في بداية دولتهم فاتخذوا حجاباً ونصحوهم بعدم التشدد في مقابلة الراغبين بمقابلتهم من الرعية.

وفي العصور العباسية المتأخرة أسرف الحجّاب العباسيون في منع الناس من المقابلات الرسمية، استغل بعضهم مكانتهم العالية ومنزلتهم لدى الخلفاء وقربهم منهم، فأخذوا يتدخلون في شؤون الدولة، مما أدى الى أضعاف سلطة الوزير والخليفة .

لم يكن مفهوم وواجب الحجابة واحداً في كل أقاليم العالم الإسلامي فكان الحاجب في الأندلس يتمتع بسلطات رئيس الحكومة، وهو بذلك أقرب الوزراء إلى الخليفة في دار الخلافة في الأندلس، فقد تعززت مكانته بحكم سيطرته على مقاليد السياسة والجيش في الدولة، وتلقب ملوك الطوائف بلقب الحاجب كما فعل المنصور بن ابي عامر وأبناؤه.

وعرفت الحجابة في دولة الفاطميين، على حين لم تعرفه دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، وإنما تولاها عندهم (المقدم) في حين أختص الحاجب في دولة بني (عبد الواد) بعمله في دار السلطان، وأرتفع شأن الحاجب في دولة الحفصيين بتونس فجمع سلطة السيف والحرب وتولى الحجابة في دولة المماليك من أهل القوة والشوكة، وقد وصل عددهم أوآخر الدولة إلى عشرين حاجباً ينظمون أعمالهم في مقابلة السلطان والحكم بين الأمراء والجند وغيرها من المهام.

سادساً - الكتابـة :

ظهرت وظيفة الكاتب في الدولة العربية الإسلامية منذ أيام الرسول (ص) في المدينة المنورة، فقد ذكر من جملة كتّابه عدد من الصحابة، أمثال: الامام علي بن أبي طالب(ع)، والخليفة الراشدي عثمان بن عفان(رض)، وزيد بن ثابت... كتبوا له سور القرآن الكريم

والكتب التي خاطب بها الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

واستمرت وظيفة الكتابة في العهد الراشدي، فعندما تولى أبو بكر الصديق(رض) الخلافة كان عثمان بن عفان (رض) كاتباً له، واتخذ عمر بن الخطاب (رض) أثناء خلافته



ادوات الكتابة

سبحان الله
لا اله الا الله
محمد رسول الله
لا شريك له
له الملك وله الحمد

خطوط عربية



دواة (محبرة)

زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم كتاباً له.

وقد أوصى الإمام علي بن أبي طالب (ع) كاتبه بقوله: (أبعد دواتك، وأطل شباه قلمك (سن القلم)، وفرّج بين السطور، وقرمط بين الحروف (دقة الكتابة وتقريب الحروف) .

وفي العصر الأموي أرتقت وظيفة الكتابة فكان لمعاوية طائفة من الكتّاب : كاتب على الرسائل، وكاتب لديوان الخراج، وكاتب على ديوان الجند، وعلى ديوان الخاتم، ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء كاتب القضاء، وآخر للشُرطة وثالث للمظالم.

لقد كان لهؤلاء الكتّاب مكانة خاصة للذين أتقنوا صنعتهم في تحرير الرسائل الرسمية في السياسة الداخلية والخارجية، وأعلنوا للناس مراسيم وقرارات وبلاغات المؤسسات الإدارية على اختلافها، وقد ذاع صيت زياد بن أبيه وعبد الحميد الكاتب في العصر الأموي.

وفي العصر العباسي أصبح الكاتب من أهم موظفي الدولة، ويمثل هذا العصر القمة في ازدهار فن الكتابة ووظيفتها وضبط أصولها، ولقد حرص الخلفاء العباسيون على أن يتولى كتابة الرسائل من ينتمون إلى نسب رفيع، ومن أتاحت لهم ظروفهم أن يتمتعوا بسعة العلم وعمق الثقافة، وأن يتميز بقوة الشخصية والدهاء والذكاء، لأنه هو الذي يحرر الرسائل الرسمية والسياسية والداخلية والخارجية، وهو الذي ينشر بين الناس المراسيم والقرارات والبلاغات والتراتيب الإدارية، وكان الكتَّاب حقاً تراجمة الملوك في العصر العباسي، مثلما

كانوا من قبل تراجمة للملوك في عصر الأكاسرة الفرس، واشتهر في العصر العباسي يحيى بن خالد بن برمك والفضل والحسن ابنا سهل وأحمد بن يوسف في عهد المأمون.

ومن جهة أخرى فقد خصصت الدولة رواتب شهرية للكتّاب قدر في زمن المنصور بثلاثمائة درهم، وبقيت كذلك حتى خلافة المأمون الذي رفعها إلى ثلاثة آلاف درهم، وكان منصب الكتابة يؤهل صاحبه إلى الوزارة أو إلى المناصب الهامة الأخرى .

ويبدوا أن الكتّاب كانوا يجمعون أموالاً ضخمة عن طريق الاختلاس والرشاوي نظراً لمكانتهم عند الخلفاء وتوليهم رئاسة بعض الدواوين الخاصة بالمالية ولا سيما ديوان الخراج منها، فقد ذكر أنه في سنة (٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م) حبس الواثق الكتّاب وألزمهم أموالاً عظيمة بسبب سرقتهم للأموال العامة وأخذهم الرشاوي.

سابعاً - الشرطة :

كانت مؤسسة الشرطة في عهد الرسول (ص) قائمة على المركزية الإدارية في المدينة المنورة واللامركزية الإدارية في الأقاليم المفتوحة، فكان أول جهاز أسس للشرطة في المدينة المنورة، ومنها انتشرت أجهزة الشرطة في الولايات الإسلامية، وأتسع نظام الشرطة فشمل العسس (الحراسات الليلية) وإقامة الحدود والتعزير.

وأهتم الخليفة أبو بكر الصديق(رض) باستتباب الأمن ونشر الطمأنينة فأمر عبد الله بن مسعود بالطواف ليلاً، أما الخليفة عمر بن الخطاب(رض) فكان يخرج ليلاً بنفسه، ويرتاد منازل المسلمين بعد استئذانهم، ويتفقد أحوالهم، ويطوف شوارع المدينة المنورة ليتأكد من استتباب الأمن في أسواقها وطرقها.

ويعد الخليفة عثمان بن عفان(رض) أول من أتخذ صاحباً للشرطة، فكان على شرطته عبد الله بن قنفذ التيمي، واعتنى الإمام علي بن أبي طالب (ع) بتنظيم الأمن، فعهد بالشرطة إلى رجال أكفاء عرفوا بالتقوى والصلاح، أقوالهم في موضع القوة، وأرحمهم في موضع الرحمة أمثال : قيس بن سعد الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وأبي الهياج الأسدي وغيرهم.

كان صاحب الشرطة في عصر ولاة الأمويين والعباسيين يسهم مع الوالي وعامل

الخراج في تحصيل الجزية والخراج، وكان صاحب الشرطة يتولى نيابة عن ديوان الخراج إصدار الدنانير، وكان صاحب الشرطة في عصر الولاة في مصر ينوب عن الوالي، كما يقوم أيضاً بالإشراف على الأوقاف وتنظيم مرتبات الجند.

وكان صاحب الشرطة يشترك في عصر الولاة في أعمال الحسبة، التي كانت موزعة في عصر الخلفاء الراشدين (رض) والأمويين وأوائل العباسيين بين القاضي وصاحب الخراج وصاحب الشرطة إلى أن اجتمعت أعمال الحسبة للمحتسب في عهد المهدي العباسي.

وكانت دار الشرطة تعرف في مصر باسم الشرطة، بينما كانت تعرف في بغداد وسامراء ودمشق حتى نهاية القرن الرابع الهجري باسم (مجلس الشرطة) أو مجلس صاحب الشرطة.

وقد عرف في مصر نظام الشرطتين : العليا والسفلى في عصر الولاة، وظل معروفاً في عهد الفاطميين، وكانت الشرطة العليا تقيم قريباً من مسجد بن طولون، والسفلى تقيم في الفسطاط، غير أن صاحب الشرطة العليا كان يقيم بالقاهرة، وكان صاحب الشرطة يسمى أيضاً في عصر الفاطميين باسم حاكم القاهرة.

وفي الأندلس عظم أمر صاحب الشرطة في دولة بني أمية (١٣٨ – ٤٢٢هـ) وانقسمت الشرطة إلى شرطتين : شرطة كبرى وشرطة صغرى.

ومهمة الشرطة الكبرى النظر في أمر الخاصة والطبقة العليا من أقارب السلطان، أما صاحب الشرطة الصغرى فكان مخصصاً للنظر في أمر العامة، وقد أطلق على صاحب الشرطة في أوآخر العصور الإسلامية (بصاحب المدينة) كما عرف عند العامة (بصاحب الليل).

واتخذت الشرطة العديد من الإجراءات والتدابير لتقليل الجريمة ومكافحتها وذلك عن طريق مراقبة الأماكن المشبوهة كالحمامات وأماكن اللهو، ومراقبة الأشخاص الخطرين كالمنحرفين وأصحاب البدع، والمخالفين، فكان للشرطة عيون لنقل أخبار الآخرين.

وكانت الشرطة تقوم بإجراء التفتيش للتأكد من صحة المعلومات أو الشبهات، كما استمرت أعمال الدوريات الليلية أو ما تعرف بالعسس للقبض على المجرمين، ومنع حدوث الضوضاء، وقد عرفوا في بلاد الأندلس (بالدرابين).

ومن مهام الشرطة أيضاً الاهتمام بأمن الطرق، لذا وجدت نقاط للرصد والتفتيش

والحراسة خارج المدن، ويشرف عليها رجل يُعرف باسم (صاحب المسلحة). وتخضع السجون لإشراف الشرطة، ويختار لذلك أكمل العمال أمانة، وأحسنهم معرفة، وأكثرهم حزماً.

ثامناً - الجيش :

لم يكن للعرب قبل الإسلام نظام خاص بالجيش كمؤسسة فكان رجال القبيلة مدعوين كلهم للقتال عند الحاجة بسيوفهم ورماحهم، وعند انتهاء القتال يعودون إلى ممارسة أعمالهم السابقة.

وجاء الرسول محمد (ص) بدعوته الإلهية سالكاً سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، وكان يدعو الناس إلى اتباع ما أمره الله فدخل في دينه نفر من المستضعفين الذين لقوا من الكفار شراً كبيراً، فلم ير الرسول (ص) وسيلة لحماية أصحابه سوى أن يطلب منهم الهجرة، ثم اضطر إلى مجابهة قوة الكفار عندما نزلت آية تحثه على قتالهم،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾

سورة الحج (آية ٣٩ - ٤٠).

ويمكن تلخيص مشروعية الرسول (ص) في قتال المشركين بأمرين:

١- الدفاع عن الدعوة الإسلامية وحفظ أرواح المسلمين.

٢- الدفاع عن المجتمع الإسلامي ضد العدوان الخارجي والفتن الداخلية.

إمارة الجيش وقيادته :

لمس الرسول (ص) الحاجة منذ أول غزوة غزاها إلى جنود يحمون الدعوة المباركة ويردون عنها كيد المعتدين، إلا أن وقائع سيرته الطاهرة لا تشير إلى إلزامه نفراً من أصحابه بالتجنيد، فقد كان الرسول (ص) يحض المؤمنين ويفضل أن يصحبه في المعركة من أقبل على القتال طواعية وعن رضى، فكان التطوع إذن هو الصفة الغالبة على جيش المسلمين في عهد النبي (ص).

تولى الرسول (ص) قيادة الجيش بنفسه لما حباه الله من شجاعة وبأس وذكاء، فقد كان

شجاعاً لا يهاب الموت يسير بين أصحابه ويمارس الحرب ممارسة تدل على علو شأنه فيها، وتجلت مواهب الرسول (ص) العسكرية وقيادته الفذة في معركة بدر ثم تولى قيادة المسلمين في ست وعشرين غزوة.

وعندما كان الرسول (ص) يختار قائداً عسكرياً يدعوه إليه ويعقد له لواء على رمح طويل ينشره أثناء سيره إلى المعركة، وغالباً ما كان القائد يستلم اللواء من يد الرسول (ص) ثم يركزه في المسجد النبوي لينضوي حوله الراغبون في الجهاد، وقد عد الخلفاء الراشدون(رض) عقد اللواء بمثابة تعيينه لأمرة كتيبة معينة من الجنود وعلى ذلك مضى الأمويون.

وفي عهد الخلفاء الراشدين (رض)، كان الخليفة بحكم ولايته العامة هو القائد العام للجيش لكن الخلفاء لم يقوموا بهذه المهمة دائماً بل أنابوا عنهم أهل الكفاءة والشجاعة في القيادة العسكرية، وفي الولايات الإسلامية كانت قيادة الجيش بيد الولاة أو نوابهم، وكان الخليفة على علم بأخبارهم بوساطة عمال البريد، وفي بعض الأحيان كان الخليفة يقود الجيش بنفسه كما فعل هارون الرشيد، ولما ضعفت الخلافة العباسية وتعددت الدويلات المنفصلة ظهرت ألقاب جديدة تدل على قائد الجيش مثل : أمير الأمراء وأمير الجيش وقائد القوات، وبقي الخليفة نظرياً هو القائد الأعلى لجيش المسلمين.

تشكيلات وأقسام الجيوش العربية الإسلامية :

اختار الرسول (ص) من بين المقاتلين افراداً مميزين اطلق عليهم اسم (العرفاء) ليتعرف بهم على أحوال المقاتلين، وعريف كل قوم هو الزعيم والواسطة بينهم وبين الأمير، وقد حذر الرسول (ص) العرفاء من الوقوع في الخطأ والتعدي وظلم الرعية فكان على العريف أن يكون أميناً صادقاً عادلاً، وكان لكل عريف عشرة جنود، كما جعل الرسول (ص) النقباء ليشرفوا على العرفاء ويحلون مشاكلهم .

أضفى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على الجيش تنظيمات كثيرة أخذ أكثر أصولها عن الرسول (ص) وأدخل عليها بعض التعديلات وأقتبس بعضها عن الفرس والروم مما يلائم حاجات المسلمين، فاستمر على نظام (العرافات) ثم جمع عدد من (العرافات)

في (سُبُع) وجعل عليهم (أمير الأسباع) الذي يأخذ العطايا ويدفعها إلى النقباء والعرفاء ليعطوها بدورهم إلى الجنود، كما وضع (أمير الكردوس) على كل ألف جندي، و(أمير الجيش) على العشرة آلاف أو يزيد وكان العرب يسمون الجيش خميساً لأنهم كانوا يقسمونه إلى خمسة أقسام الميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة والقلب والأخير (هو المكان الذي يكون فيه الخليفة أو الأمير)، وقد قسم الرسول (ص) جيشه على هذا التقسيم، فعندما فتح الرسول (ص) مكة المكرمة فرق جيشه فجعل الزبير بن العوام على الميسرة وسعد بن عبادة على الميمنة.

ومنذ العصر الأموي ترك العرب تنظيم الجند في صفوف تجري في مقدمتها المبارزات الفردية التي كانت مجالاً لإبراز الشجاعة والمفآخرة، مع الاحتفاظ بتقسيم الجيش إلى خمسة أقسام، الميمنة والميسرة والقلب والمقدمة والمؤخرة، وكان على كل قسم مواجهة ما يقابله لدى العدو، أي أن الميمنة تواجه ميسرة العدو وهكذا، وأحياناً يقع خلل في أحد هذه الأقسام دون البقية، وكثيراً ما يحاول الفرسان الوصول إلى القلب لإحداث بلبلة في قيادة العدو وجيشه، ويحمل كل قسم من الأقسام الخمسة راياته الخاصة مع راية كبرى تتقدمهم كدليل تتجمع حوله الصفوف وتتراجع إليه عند الضرورة، ثم استبدل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين نظام الصفوف بنظام الكراديس.

وهناك الى جانب المقاتلين من الفرسان والرجالة طوائف أخرى كثيرة وموظفين يقومون بخدمة الجيش وتسهيل مهمته، منهم النفاطين وضاربي المنجنيق والقضاة والأطباء والمؤذنين والقراء والحماليين والنجارين والخزنة والمترجمين والوعاظ وغيرهم، كما برع العرب في العصر الأموي في النقل العسكري فنقلوا الجند وعوائلهم ومؤنهم وآلات الحصار على ظهر الجمال والبغال في حين خصصت الخيول للقتال، وأقاموا وحدات شبه نظامية خفيفة تتألف من الخيالة في الربط والحاميات والحصون التي رابطت في المراكز الأمامية للدولة العربية الإسلامية.



فارس عربي مسلم

واستمر تقسيم الجيش العربي في العصر العباسي بأقسامه الخمسة، ولكن ضرورات المعركة وطبيعة أرضها كانت تحتم بعض التعديل في شكل التعبئة ففي المناطق الجبلية ينظم الجنود في مجموعات صغيرة تعرف بالكراديس.

تاسعاً - البحرية :

كان للعرب اتصال بالأمم المجاورة منذ العصور القديمة فقد ازدهرت التجارة البحرية بين شبه الجزيرة العربية ومصر والهند، واشتهر أهل عمان والبحرين بالملاحة البحرية، كما تعامل العرب تجارياً مع الأحباش عن طريق البحر، وعرف أبناء الشمال الإفريقي التجارة مع الأمم الأخرى وبخاصة أيام الفينيقيين.

ولما ظهر الإسلام وبلغت حركة الفتوح الإسلامية سواحل البحر المتوسط شعر المسلمون بأهمية الأسطول لحماية شواطئهم من غارات الأسطول البيزنطي الذين كانوا يشنون غارات على المسلمين بين الحين والآخر، فكانت العناية بالأسطول إذن ضرورة أملتها الصراعات المتوالية مع الروم من أجل نشر الإسلام والدفاع عن كيان الأمة الإسلامية.

أبدى بعض العرب المسلمين ميلاً لركوب البحر، وكان عثمان بن العاص الثقفي والي البحرين أول من قام بغارة بحرية على ساحل الهند، كما قام خلفه العلاء بن الحضرمي سنة (١٧ هـ/ ٦٣٨م) بالعبور إلى بلاد فارس ومعه اثنا عشر ألفاً من المسلمين وعاد بغنائم كبيرة رغم فقدان بعض سفنه، وقد أغضب عمله الخليفة عمر بن الخطاب (رض) غضباً شديداً فعزله لأنه لم يستأذنه، كما لام الخليفة عمر(رض) عرفجة بن هرثمة البارقي لقيامه بغزو عُمان.



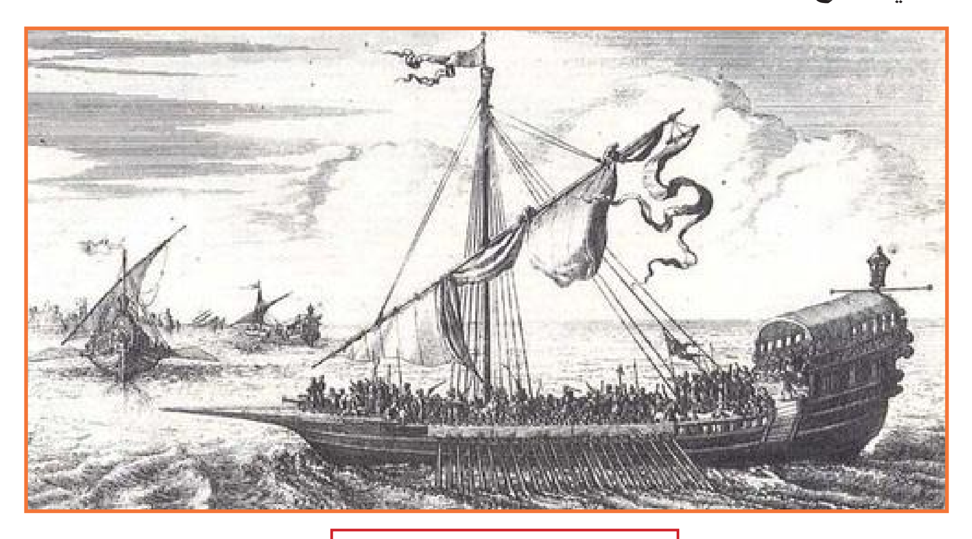
سفينة عربية اسلامية

ولما شاهد والي الشام معاوية بن أبي سفيان أسطول البيزنطيين رغب أن يكون لدى المسلمين مثله، فطلب من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أن يأذن له بغزو الروم بحراً لقرب سواحلهم من الشام، ولم يشأ عمر بن الخطاب (رض) السماح لمعاوية في ذلك قبل أن يتعرف على البحر.

وكان لرفض الخليفة عمر بن الخطاب(رض) ما يبرره وهو خوفه على أرواح المسلمين الذين لم يعهدوا ركوب البحر والقتال فيه، وقوة أسطول الروم وتفننهم في علومه وممارستهم القتال في البحر، لكن تلك الأسباب لم تثن عمر بن الخطاب (رض) عن الاهتمام ببناء أسطول حربي إسلامي، فأتخذ سياسة بحرية دفاعية لمواجهة خطر البيزنطيين على ثغور(حدود) المسلمين فحصن السواحل، ورتب المقاتلة، وأقام الحرس، ورمم الحصون واستخدم النيران للإنذار عن اقتراب العدو من السواحل.

وقام معاوية في ولايته وخلافته بإنشاء دور لصناعة السفن في الإسكندرية وصور

وصيدا بعد أن أحضر لها الأخشاب من لبنان واستعان بخبرات أهل الشام وأقباط مصر، كما أتخذ معاوية بموافقة الخليفة عثمان بن عفان(رض) قراراً بتعيين إمرة للأسطول العربي الإسلامي يتولى صاحبها الإشراف على الموانئ والمنائر ودور الصناعة والحملات الحربية البحرية، وطبق معاوية مشروعه عملياً فاستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي الذي أبحر سنة (٢٧هـ / ٦٤٧م) لغزو قبرص فصالح أهلها على أن يدفعوا الضريبة للمسلمين إذ بلغت قيمتها حوالي سبعة آلاف دينار سنوياً، واشترط عليهم الوقوف على الحياد في الصراع العربي البيزنطي وأن يبلغوا المسلمين بنوايا البيزنطيين، فكانت تلك أول غزوة بحرية في تاريخ العرب المسلمين.



معركة ذات الصواري

شجع انتصار معاوية البحري عندما كان والياً على الشام الوالي عبد الله بن أبي سرح عامل الخليفة عثمان بن عفان (رض) على مصر على حرب الروم والانتصار عليهم في معركة ذات الصواري سنة (٣٤هـ /٦٥٤م)، التي تحطم فيها الأسطول البيزنطي وتشجع العرب على ركوب البحر بثقة عالية وغدت سيطرة العرب الملسمين واضحة في البحر المتوسط.

صناعة السفن العربية الإسلامية :

صنع العرب سفناً بأنواع مختلفة وأسماء متعددة تبعاً لأشكالها وحجومها وهياكلها ومن أشهرها : البغلة، والقنجة، والجهازي، وتفنن العرب في صنع سفنهم وزخرفتها وكانت

لها أشكال الحيوانات كالأسد والفيل والفرس، ويتكون هيكل السفينة الأمامي من المقدمة التي وضعت فيها حديدة طويلة حادة تسمى اللجام أو الفأس لتهشم مركب العدو إذا صدمته وتغرقه، وصدر السفينة (الجؤجؤ) والدقل وهو سهم السفينة، والمرساة (الأنجر)، والدفة، وهي التي تسيرها وتحركها، وتلون الأشرعة بعض الأحيان باللون الأزرق لتنسجم مع لون الماء كي لا تظهر من بعيد للعدو.

وصنعت هياكل السفن من خشب أشجار الصنوبر أو البلوط واللبخ والأرز اللبناني وبعد بنائها تكسى ألواحها بالقار أو الشمع، كما علقوا حولها من الخارج الجلود واللبود المبلولة بالخل والشب لمقاومة اشتعالها بالنفط.

واختلفت طريقة صنع السفن تبعاً للبحار التي تستخدم فيها فجعلوا لكل بحر ما يناسبه من أنواع الخشب لتقاوم التيارات والأمواج والصخور، فسفن البحر المتوسط كانت كبيرة وصنعت من شجر الأرز الذي جلب من لبنان والأناضول، وكانت ذات دفتين واستخدموا المسامير في صنعها لتثبت ألواحها وربط أجزائها، كما صنعوا سفناً خاصة تعمل في البحر الأحمر والمحيط الهندي من خشب الساج وهو من أحسن الأنواع وأكثرها مقاومة للمؤثرات البحرية وجلبت أخشابها من مصر وعمان وبلاد فارس، واستخدم الفراء والليف والحبال في تثبيتها، ولم تستخدم المسامير لأن مياه البحر المالحة تؤثر في الحديد وتصدأ بسرعة، ولضمان عدم تحطيمها في حالة ارتطامها بالصخور المرجانية الكبيرة.

ضرورة الاسراع في اصدار احكام بحق مهربي الآثار، وترويجها عن طريق مختلف وسائل الاعلام لتكون رادعاً لكل من تسول نفسة العبث بالأرث الحضاري للعراق.

اسئلة الفصل الثالث

س١) كانت مهام الوزارة في عصر الدولة العربية الإسلامية عدة مهام عددها .

س٢) ما الفرق بين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ ؟

س٣) تحدث عن أهم واجبات الوزير.

س٤) (من الانظمة المهمة التي اتخذها العرب من الفرس والروم نظام الدواوين) ناقش ذلك ؟

س٥) كانت الدواوين في الدولة العربية الإسلامية تنقسم الى خمسة ؟ عددها

س٦) عرف الولاة، وذكر الشروط التي يجب توافرها في الوالي ؟

س٧) ما هي أهم مؤهلات المحتسب ؟ عددها .

س٨) (لم يكن مفهوم وواجب الحجابة واحداً في كل اقاليم العالم الإسلامي) ناقش ذلك .

س٩) (أتخذت الشرطة في الدولة العربية الإسلامية العديد من الاجراءات والتدابير لتقليل الجريمة ومكافحتها) ناقش ذلك .

س١٠) (برع العرب في صناعة السفن في الدولة العربية الإسلامية). ناقش ذلك

نشاط

ـ يقوم الطلبة بزيارة مكتبة المدْرّسة للاطلاع على ما فيها من كتب (المصادر والمراجع) العربية التي تبحث في نشأة الحسبة مع كتابة بحثٍ موجزٍ عنها.

ـ يشارك الطلبة بحلقة نقاشية في شروط صفات الوزير في الدولة العربية الإسلامية مع مطابقتها مع مبادئ النزاهة والشفافية في الوقت الحاضر.

ـ اكتب بحثٍ موجزٍ عن الدواوين في الدولة العربية الإسلامية .

ـ يقوم الطلبه بجمع صورٍ تمثل اسلحة الجيش العربي الإسلامي. مع كتابة بحثٍ موجزٍ عنها.

الفصل الرابع

القضاء

تعريف القضاء لغة واصطلاحاً:

القضاء في اللغة هو القاطع في الامور المحكم لها، واقضى القاضي بين الخصوم، اي قطع بينهم في الحكم او بمعنى الحكم والالزام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾

سورة الشورى (آية ١٤).

ويعني اصطلاحاً، الفصل في الخصومات، والانسان لم يستغن عمن يفصل في قضاياه منذ وجوده على شكل مجتمعات بشرية، فقد احتكم الى العادات والتقاليد والاعراف، اما في الشرع الاسلامي، فيقول القلقشندي (قيام القاضي بالاحكام الشرعية وتنفيذها على اوامر الشرع وقطع المنازعات)، ويعرفة بن خلدون (انه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع).

القضاء عند العرب قبل الإسلام:

كانت القيم والاعراف هي المرجع الاساسي للاحتكام والفصل بين افراد القبيلة او بين القبائل، فقد كان المتخاصمون يلجأون في عرض قضاياهم الى شيوخ قبائلهم او كهنتهم او الى اشخاص معروفين بالحكمة والتجربة اطلق عليهم الحكام، والاحكام التي يصدرها هؤلاء مستنبطة من العرف والتقاليد الموروثة وذلك لعدم وجود نصوص محددة اقرها المجتمع القبلي، وكانت عقوبة الجريمة في المجتمع القبلي لا تقع على ذات المجرم، اذا كانت الضحية من قبيلة أخرى، بل انها تقع على جميع افراد القبيلة التي كانت متكافلة في السراء والضراء، وقد تؤدي الجريمة التي تقع داخل القبيلة الى الخلع، وعندئذ يصبح المجرم فاقداً انتمائة للقبيلة، اذ كان زعماء قريش بحكم موقعهم الديني والسياسي والاقتصادي يحتكم اليهم القريشيون وغيرهم من القبائل العربية فيما كان يقع من خصومات، وممن تولى القضاء قبل الاسلام في قريش جد الرسول (ص) هشام بن عبد مناف وقيس بن ساعدة وأمية بن ابي لهب والشاعر زهير بن ابي سلمى وعبد الله بن جدعان وكان هدف الحكم قبل الاسلام هو قطع دابر خصومه والحد من الظلم ، ولعل ابرز الاعمال القضائية قبيل الاسلام هو حلف الفضول الذي عقد لنصرة المظلوم واخذ حقه من الظالم مهما علت منزلته.

القضاء في عصر الرسالة:

في عصر الرسول (ص) تطور القضاء تطوراً جذرياً في مفاهيمه عن قبل البعثة فاصبحت الجريمة تخص ذات المذنب لا القبيلة التي ينتمي اليها وجمع الرسول (ص) بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، فكان يفصل في الخصومات وكان قاضياً في المدينة المنورة بموجب الحلف الذي عقد فيها بين المهاجرين والانصار واليهود والمشركين (وثيقة المدينة) جاء فيه (وانه ما كان بين اصل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فأن مرده الى الله والى محمد رسول الله (ص)، على ان النبي محمد (ص) كان ينيب عنه احياناً احد اصحابه للفصل في الخصومات كما علم اصحابه اساليب النظام والشكوى بقوله (البينة على مَنْ ادعى واليمين على مَنْ انكر)، وكان حكم الرسول (ص) حكماً قطعياً لا حاجة معه الى التمييز، ولما انتشرت الدعوه الاسلامية خارج الحجاز اذن الرسول (ص) لبعض الصحابة بالفصل في الخصومات.

ومن ذلك انه قلد الامام علياً(ع) قضاء اليمن وكان حديث السن علمه الرسول (ص) اداب القضاء قائلاً: اذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول فانه احرى ان يتبين لك القضاء، وقد نبغ في عصر الرسول (ص) ستة قضاة آخرون من كبار الصحابه: الامام علي بن ابي طالب (ع) عمر بن الخطاب (رض) وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، اما الذين اشتهروا بالقضاء والفتيا في عصر الرسول (ص) الامام علي بن ابي طالب (ع) بفتياه وحكمتهِ ومعاذ بن جبل وابو موسى الاشعري وزيد بن ثابت، ولم يكن النبي (ص) يقلد القضاء من طلبه ولاسيما اذا كان ضعيفاً لا يقدر على قضاء شيء من الخلاف واقامة الحق. وكانت عقوبة المذنبين في بداية دولة الخلافة، هي بتقييد المذنب اجتماعياً وذلك بوضعهِ في بيت منعزل او في المسجد ومنع الناس من الاختلاط به الى أن استحدث الخليفة عمر ابن الخطاب (رض) السجن.

وكان العصر الراشدي امتداداً طبيعياً الى عصر النبوة، فاتصف بالتمسك الثابت لتعاليم القرآن والسنة النبوية، وقد اسند الخليفة ابو بكر(رض) مهمة القضاء الى عمر بن الخطاب (رض) من دون ان يلقبه بالقاضي، ولما تولى عمر(رض) الخلافة، توسعت، الدولة

العربية الإسلامية واختلط العرب مع الأمم الآخرى، التي كانت تحمل قيماً واعرافاً مختلفة، وادى هذا التطور الى ضرورة ايجاد صيغ جديدة للقضاء تتلائم مع الاوضاع الجديدة للدولة العربية الإسلامية ، مما ادى الى استقلال القضاء عن الولاة، وجعل القاضي مخيراً فيما يجتهد ويحكم، فقد قال الخليفة عمر(رض) لقاضي الكوفة شريح الكندي:(ما في كتاب الله وقضاء النبي (ص) فما قضى به ائمة العدل فأنت بالخيار، ان شئت ان تجتهد رايك وان شئت تؤامرني، ولا ارى في مؤامرتك اياي الا اسلم لك)، ومن القضاة الذين ولاهم عمر بن الخطاب (رض) لهذا المنصب ابو الدرداء على المدينة المنورة، وعثمان بن ابي العاص على مصر، ابى موسى الاشعري على قضاء البصرة، وأعطاه كتابه الشهير الذي يعد من المصادر المهمة في التشريع والاحكام، يرجع اليه الفقهاء والقضاة قروناً عديدة، وقد جاء فيه:(واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمح الشريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على مَنْ ادعى واليمين على مَنْ انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً او حرم حلالاً) .

ولم يكن في مدة صدر الاسلام للقاضي سجلات وكُتاَّب يدونون القضايا، ذلك لأن الحكم كان ينفذ حال صدوره اسوه بالرسول (ص) وكان القاضي في عهد عمر بن الخطاب(رض) يجلس للحكم في المسجد، ثم وجدوا ان هذا لايتفق وحرمة بيوت الله تجنباً مَنْ وقوع الحوادث وارتفاع الاصوات، فأصبح القاضي يجلس في بيته للقضاء بين الناس.

ويتبين مدى رعاية الخلفاء للقضاة في هذا العصر هو ما جاء في العهد الذي كتبهُ الخليفة الامام علي بن ابي طالب (ع) الى مالك الأشتر عندما ولاه مصر، وهذا يدل على مدى اهتمام الامام علي (ع) في عهده بالقضاء، ومنه قولهِ: (واختر بين أفضل رعيتك لنفسك ممَنْ لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة وأصرمهم عند اتضاح الحكم ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له مَنْ البذل ما يزيل علته).

تلك وثيقة قضائية غاية في الأهمية، تشكل دستوراً للقضاء يضع في الاعتبار تحقيق العدالة في المحل الأول ومنها قولهِ: (انصف الله، وانصف الناس مَنْ نفسك، ومَنْ خاصة اهلك ، ومَنْ لك فيه هوى فيه مَنْ رعيتك ، فانك الاتفعل تظلم ومَنْ ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومَنْ خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً، حتى ينزع او يتوب

وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته مَنْ اقامةُ على ظلم، فأن الله يسمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد)، ومَنْ اهم المظاهر المستجدة في عهد الخليفة الامام علي (ع)، أنه استحدث بيتاً تطرح فيه قصص المتظلمين، وكان الغرض مَنْ ذلك فسح المجال للرعية بطرح مشاكلهم وشكواهم دون خوف او وجل يكتبون شكواهم في رقع دون ذكر اسمائهم اذا ارادوا ذلك .

استمدت مؤسسة القضاء على ما هي علية خلال تطور الدولة العربية الاسلامية من حيث اعتماد الاسس الشرعية في الاحكام والفصل بين المتنازعين وقد اسهم، تنوع الاحكام الفقهية من خلال اجتهاد الفقهاء لمعالجة المسائل المستحدثة خلال تطور الدولة العربية الاسلامية في إثراء مؤسسة القضاء وتطور احكامها حسب مقتضيات التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي تشهدهُ الدولة .

استقلالية القضاء :

لا ريب أن استقلال القضاء وحريته في العمل القضائي قد وقع مَنْذ مدة مبكرة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، بل صورة مَنْ أعظم الصور إشراقاً، تدلل على أسبقية الحضارة الإسلامية إلى هذا المبدأ، قبل أن تعرفه أوربا والعالم أجمع .

فهذا أمير المؤمَنْين الامام علي بن أبي طالب(ع) يقاضي نصرانياً في درع له، ((فأقبل به إلى شريح يخاصمه ... ثم قال : هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمَنْين؟ فقال النصراني : ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمَنْين عندي بكاذب، فالتفت شريح الى الامام علي (ع) فقال: يا أمير المؤمَنْين، هل مَنْ بينة؟ فضحك الامام علي(ع) وقال: أصاب شريح، ما لي بينة، فقضى بها شريح للنصراني، قال : فأخذه النصراني ومشى خطى، ثم رجع، فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمَنْين يدنيني إلى قاضيه يقضي اليه، اشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمَنْين)).

وكان مَنْ حق القضاة حضور مجالس الخلفاء والولاة إلى مجالسهم فيما يتعلق بهم مَنْ القضايا والدعاوى والشهادات، وكان الخلفاء وكثير مَنْ الولاة يقبلون ذلك برحابة صدر،

ويلتزمون بما يأمر به القاضي، إلا مَنْ شذَّ عن ذلك وهم قليل، وقد كان القضاة يهددون هؤلاء الممتنعين بالاعتزال أو طرح الموضوع على الناس، ولكن في كل الأحوال كانت أحكام القضاء محترمة، وتنفذ على أكمل وجه.

ونتيجة لمواقف القضاة وأحكامهم العادلة، فقد احترم الخلفاء القضاء أيما احترام، ولم يكن هؤلاء الخلفاء ليتكبروا على أحكام القضاء، أو حتى على الأشكال المعتادة في المثول أمام يدي القاضي، ومما يدلل على قوة مؤسسة القضاء في ظل الخلافة العباسية، وعدم محاباتها أحدً، فكل الناس سواسية أمام هذه المؤسسة، وهذا أبا حامد الإسفراييني قاضي بغداد (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) كتب إلى الخليفة العباسي يهدده بالعزل إن لم تنفذ الأحكام القضائية الشرعية التي تصدر، ويتم احترامها .

النظر في المظالم:

المظالم ارفع مَنْ القضاء الاعتيادي ويمكن اعتباره محكمة عليا وكان يتولاها رجل مَنْ اصحاب القوة والنفوذ واحياناً يترأسها الخليفة ، ذلك لان القضايا التي تطرح مَنْ المتظلمين ربما تتعلق بشكاوي ضد رجال الدولة الكبار كموظفي الديوان واعيان البلد ممَنْ تجاوز الحدود واغتصب حقوق الناس الضعفاء.

نشأة نظام المظالم وتطورها :

لقد تولى الرسول (ص) بنفسه النظر بالمظالم لحماية المسلمين مَنْ المتجاوزين على حقوق الآخرين، مَنْ ذلك ان الرسول الكريم (ص) عزل العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين وذلك بعد ان شكاه وفد مَنْ اهلها، وولى مكانه أبان بن سعد بن العاص.

كذلك مَنْع الرسول (ص) الهدايا التي اخذها بعض الولاة قسراً، إذ أن الهدايا اختيارية لاتؤخذ قسراً مَنْ الناس وعدها ظلما :فحين جاء للرسول (ص) المسؤول عن صدقات بني سليم وسلمه الاموال قائلاً:(هذه اموالكم، وهذه هدايا اهديت الي) فقال له رسول الله (ص) محاسبا (هلا جلست في بيت ابيك وامك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقاً)، وعلى ما تقدم وباعتبار سيرة الرسول (ص) هي احدى اسس التشريع الإسلامي فيعد عصره هو العصر

الذي نشأ فيه النظر في مظالم المتظلمين .

وضع الخليفة ابو بكر(رض) الخطوط الرئيسة لولاية المظالم وعد نفسهُ والياً لها وينظر بنفسه في سيرة الولاة والعمال مع الرعية ومحاسبة المقصر او المسيء وكان الخليفة عمر ابن الخطاب(رض) شديداً على عماله يحاسبهم سنوياً ، ويستمع الى شكاوي الناس ، وكان يزيل الظلم باستخدام طرق متعددة مَنْها اجراءات المقاسمة، اذ قاسم الخليفة عمر(رض) عماله اذا ثبت لديه اساءتهم لاستعمال نفوذهم ، فقد قاسم اموال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وصادر اموال عتبة بن ابي سفيان.

واوصى الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) عماله وولاته وقادة الجند اتباع سياسة عمر(رض) وان لا يحيدوا عنها ، كذلك شدد على عمال الخراج فقال: (لا تظلموا اليتيم ولا المعاهدة فان الله خصم لمَنْ ظلمهم)، واتبع عثمان سيرة سلفهُ عمر(رض) بعزل مَنْ شكا مَنْه عن مَنْصبه ، فقد عزل ابا موسى الاشعري واليه على البصرة.

وتطور نظام المظالم في عهد الخليفة الامام علي بن ابي طالب (ع) إذ استحدث (بيت القصص) وجلس للمظالم بنفسه ينظر في شكوى الناس، وكان حريصاً على اموال المسلمين وغير المسلمين ويحلها بالعدل والقسط .

كما اهتم البعض من الخلفاء خلال تطور الدولة العربية الاسلامية ومنهم الخليفة عمر ابن عبد العزيز الذي اهتم كثيراً برد المظالم الى أهلها وقد بدأ بنفسهِ ثم أهلهُ وأقاربه، ومن جملة ما قام به أنه ردَّ مظالم آل البيت النبوي الشريف (ع) ومن أهمها (فدك) ومن تطورات مؤسسة المظالم أن خصص لها ديوان خاص سمي (ديوان المظالم) ، ويتكون من هيئة لأدارتهِ ومن أعضاء دائميين هم :

١- الناظر في المظالم: وهو رئيس المجلس ، وكان يتقدمه الخليفة او الوزراء او بعض كبار القضاة والمقربون الى الخليفة .

٢- الحماة والاعوان: ومهمتهم حفظ الامَنْ والنظام في المجلس ومساعدة الحكام واصحاب المظالم على تنفيذ الحكم لذا يسمى هؤلاء باصحاب المعونة احياناً .

٣- القضاة: ومهمتهم الاستعلام مَنْهم عما ثبت عندهم مَنْ الحقوق وماتبين لديهم مَنْ قرار.

٤- الفقهاء: ويرجع اليهم في القضايا الشرعية ، التي قد يحتاج اليها الناظر في المظالم.

٥- الشهود: وهم الشهود التابعون لناظر المظالم يحضرهم كي يشهدوا لاثبات الحكم .

اختصاصات مجلس النظر في المظالم :

وتشمل جوانب ذات صفة دينية وقضائية وادارية ومالية ، ويمكن تحديدها بالآتي :

١- النظر في ظلم وتعدي الولاة على الرعية وأخذهم اساليب التعسف والجور وقد تؤدي المظلمة الى الحكم بعزل الوالي .

٢- النظر في استغلال وتعسف العمال وجباة الخراج والطرق غير المشروعة للحصول على الاموال .

٣- مراقبة كتاب الدواوين لانهم امَنْاء على اموال المسلمين ومحاسبة مزوري الوثائق الرسمية ان حصل ذلك .

٤- تظلم الجند والموظفين مَنْ نقص أرزاقهم اوتأخر عطائهم .

٥- رد الاموال والاملاك المأخوذة غصباً .

٦- الاشراف على الاوقاف .

٧- تنفيذ ماعجز القضاة على تنفيذه مَنْ الاحكام .

٨- النظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة والمصالح وفي المصالح العامة .

٩- النظر في المَنْازعات والفصل فيها وعلى والي المظالم ان يقضي كما يقضي القضاة، ولهذا استعين بالقضاة في مجلس المظالم .

المادة (٢٠)

للمواطنين رجالاً ونساءً ، حق المشاركة في الشؤون العامة، والتمتع بالحقوق السياسية بما فيها حق التصويت والانتخاب والترشيح .

دستور جمهورية العراق

اسئلة الفصل الرابع

س١) ما هي المراجع الاساسية للأحتكام قبل الإسلام؟ ومن الذي كان يقوم بدور القاضي .

س٢) ما المقصود بالقضاء لغةً واصطلاحاً ؟

س٣) ما هي أداب القضاء التي أمر بها الرسول (ص) واحكامها.

س٤) (بين مدى رعاية الخلفاء الراشدين (رض) للقضاء وما جاء في العهد الذي كتبه الخليفة الامام علي بن ابي طالب (ع) الى مالك الاشتر النخعي عندما ولاه مصر) ناقش ذلك.

س٥) ان استقلال القضاء وحريته في العمل القضائي قد وقع منذ مدة مبكرة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية ؟ ناقش ذلك

س٦) ممن يتكون ديوان المظالم ؟

س٧) ما أختصاصات مجلس المظالم ؟

نشاط

- يشارك الطلبة بحلقه نقاشية بأشراف المدرس / المدرسَة لمَناقشة عهد الامام علي (ع) الى مالك الاشتر. ولماذا اعتبر وثيقة مهمة مَنْ وثائق الامم المتحدة ؟
- يقوم الطلبة بزيارة مكتبة المدُرّسة لكتابة بحثٍ حول القضاء في عصر الرسالة.
- يقوم الطلبة بزيارة احد المحاكم للأطلاع على سير المحاكمات الجارية في تلك المحكمة وكتابة بحثٍ عنها.
- يشارك الطلبة في عمل نشرة جدارية حول موضوع النظر في المظالم .

الفصل الخامس

النظام الاقتصادي في الدولة العربية الاسلامية

اولاً / الزراعة:

اهمية الزراعة:

حظيت الزراعة باهتمام الدولة العربية الاسلامية اهتماماً كبيراً، لأنها تشكل رافداً مهماً مَنْ روافدها الاقتصادية وموردا ً رئيساً مَنْ مواردها المالية على ماتجبيه مَنْ الضرائب على الزراعة وفي مقدمتها الخراج.

كما ان المَنْتوجات الزراعية كالخضروات والفواكه وكذلك الحبوب بانواعها المتعددة كالقمح والشعيروالارز وغيرها تعد المصدر الاول للمواد الغذائية التي يعتمد عليها الانسان في حياته المعيشية، هذا فضلاً عما تقدمه المَنْتوجات الزراعية مَنْ المواد الاولية المهمة في الصناعة مثل القطن والكتان، إذ تعد مَنْ اهم المواد في صناعة المَنْسوجات التي يلبسها الناس والاخشاب المفيدة للبناء والوقود ولصنع كثير مَنْ الاثاث البيتية والسفن النهرية والبحرية .

وكذلك الحصران المصنوعة مَنْ القصب وهي مَنْ اهم المفروشات التي يستعملها العامة في بيوتهم، وليس هذا فقط انما هناك الاصباغ والعطور والادوية التي تعتمد على المَنْتوجات الزراعية ايضاً .

ولما كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسة التي يشتغل فيها اكبر عدد مَنْ السكان في البلاد العربية والاسلامية وهي مصدر معيشتهم وحياتهم ومَنْبع ثروة الملاكين ، لذلك كان توفيروسائل ازدهار الزراعة وتقدمها مَنْ واجبات الدولة كما ان ديوان الخراج هو المسؤول عن تنظيم جباية الضرائب الزراعية مَنْ الفلاحين وهو اهم دواوين الدولة .

البيئة بيتنا الكبير ...

فلنعمل على جعلهِ صحياً ونظيفاً.

وتأتي أهمية الزراعة في المحاور الأتية:

١- ملكية الارض:

اعتبرت الدولة العربية الاسلامية الاراضي الزراعية ملكاً عاماً للدولة وقد اتبعت الدولة سياسة زراعية نظمت ملكية الارض الزراعية وكما ياتي:

أ- ملكية ارض الموات بعد احيائها:

وهي الارض الموات التي ليست في حوزة احد او ملك لأحد يقوم صاحبها باحيائها فهي له، وتعود بداية ظهورها الى عهد الرسول محمد (ص) يتضح ذلك في قوله: (مَنْ احيا ارضاً ميتة فهي له)، وقد اقطع الرسول (ص) عدداً مَنْ الصحابة اراضٍ في المدينة المَنْورة وفي مَنْاطق آخرى مَنْ شبة الجزيرة العربية.

وقد سار الخلفاء الراشدون (رض) على نهج الرسول (ص) في مَنْح هذا النوع مَنْ القطائع او الاراضي سواء في شبة الجزيرة العربية او في العراق بعد تحريره مَنْ الساسانيين .

ب - ملكية ارض الصوافي:

يقصد بالصوافي الاراضي الخاصة بالخليفة وتسمى (صوافي الامام) وهي ملك للدولة. وتعود عملية استصفاء الاراضي الى عهد الخليفة الراشدي عمربن الخطاب (رض) إذ اختار المسلمون مَنْ ارض السواد في العراق بعد تحريره مَنْ الدولة الساسانية انواع عديدة مَنْها : اراضي كسرى، والاراضي الموقوفة لبيوت النيران والمعابد، واراضي مَنْ قتل في الحرب وغيرها كثير .

وقد اعتبرت الصوافي ملكاً عاماً للدولة وتكون تحت تصرف الخليفة ان شاء اقطع مَنْها وان شاء لم يقطع ، وقد اقطع الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رض) مَنْ هذه الصوافي في العراق لعدد مَنْ الرجال مَنْهم عدي بن حاتم الطائي والاشعث بن قيس الكندي، والمسلم الذي يقطع مَنْ ارض الصافية عليه ان يدفع العشر مَنْ غلتها الى بيت مال الدولة، وقد بلغ خراج مااستصفاه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) سبعة ملايين درهم سنوياً .

جـ - ملكية ارض الصلح:

وهي الاراضي التي صالح اهلها العرب المسلمين الذين حرروا بلادهم وتبقى ملكية

اراضيهم في ايديهم على ان يدفعوا عنها ضريبة ، مَنْ ذلك على سبيل المثال ارض الحيرة السيريانية العراقية وارض بانقيا وهي ناحية مَنْ نواحي الكوفة .

د - ملكية الارض الخراجية:

وهي الاراضي التي بقيت بأيدي اهلها مقابل دفع ضريبة الخراج عنها ، وتقدير ضريبة الخراج كان يختلف اما يكون حسب مساحة الارض وهو مايسمى خراج المساحة ومَنْ فوائد هذا الخراج انه يؤمَنْ للدولة موارد ثابته لاتتأثر بتقلبات الاحوال الزراعية لانه يعتمد على مساحة الارض وهي ثابتة، كما انه شجع الفلاحين على تحسين الانتاج الزراعي وزيادته. وقد ظل هذا النوع مَنْ الخراج يؤخذ مَنْذ العصرالراشدي وحتى في العصرالعباسي باستثناء بعض الحالات التي طبق فيها نظام المقاسمة خلال العهد الاموي .

وكانت جباية الخراج في العراق بالدرهم اما في بلاد الشام ومصروواليمَنْ فكانت بالدنانير وكان سعر الصرف للدينار مَنْ الذهب يساوي (١٢) درهماً مَنْ الفضة .

اما نظام المقاسمة فهو ان تأخذ الدولة بموجبه نسبة معينة مَنْ الحاصل الزراعي تبعاً لطريقة ري الارض، فالارض التي تسقى ديماً اي تسقيها السماء بالمطر فرض عليها نصف الحاصل، والارض التي تسقى بالدوالي النواعير بواسطة الدواب عليها ثلث الحاصل. اما الارض التي تسقى بالدواليب بواسطة اليد فعليها الربع .

٢- الفلاح:

الفلاح يعتبر المَنْتج الاول في حقل الزراعة لذلك عنيت به الدولة العربية الاسلامية فعندما حررالعرب المسلمون البلاد عنوا بالفلاحين عناية كبيرة ، ففي العراق حررالعرب المسلمون الفلاح مَنْ سيطرة الاقطاع الساساني الذي كان يعتبر الفلاح عبداً يباع ويشرى مع الارض اذ لاعبودية في الإسلام ، وان اسلم فله مَنْ الحقوق والواجبات مثل ما للمسلم . وبذلك خفف العرب الكثير مَنْ الاعباء التي كان يعاني مَنْها الفلاح العراقي في ظل السيطرة الساسانية، وضمَنْوا له حرية العمل في الحقل الزراعي والبقاء في ارضه وامتلاكها وتوفير الآلآت والآدوات الزراعية واقاموا له مختلف مشاريع الري مَنْ حفر نهر او كريه او اقامة سد او غير ذلك ، كما الغوا عنه ضرائب يوم النوروز، وقد عامل الخليفة عمربن الخطاب (رض) الفلاح العراقي معاملة طيبة اتسمت بالعدل والانصاف وكان يأمر بعدم الحاق الاذى بالفلاح .

ولم تقتصر رعاية الخليفة عمربن الخطاب (رض) على الفلاحين العراقيين فقط انما شملت رعايته ايضاً اهل نجران اليَمَنْ عندما اسكنهم ارض العراق، فقد كتب الى امرائه في العراق ان يقدموا لهم كل عون ومساعدة في امتلاك الارض وحرثها وزرعها وان كل مايحصلون عليه مَنْ غلة وثمر فهي لهم صدقة لوجه الله وذلك تعويضاً لهم مكان ارضهم في اليَمَنْ .

وقد سارالخليفة الامام علي بن ابي طالب (ع) على نهج الخليفة عمر(رض) وسياسته في رعاية الفلاح العراقي والاهتمام به دون تمييز فكان يشجع كل مَنْ يأتيه على احياء الارض وزرعها ويمَنْحه حق التملك، وكان الامام علي بن ابي طالب (ع) أول مَنْ ساوى في العطاء بين العراقيين اصحاب البلاد الاصليين وبين العرب، وهذا ما جعل الكثير مَنْ سكان شبه الجزيرة العربية الوافدين الى العراق في حالة عدم وفاق مع الخليفة الامام علي ابن ابي طالب (ع) .

وعندما انتقلت الخلافة الى الامويين نشطت الحركة الزراعية في عهدهم نشاطاً كبيراً وازدادت العناية بالفلاح ورعايته فاخذوا يوفرون له كل مستلزمات الري ووسائله ويشجعونه على العمل في الحقل الزراعي ويقطعونه الارض ويسلفونه المال ، وقد قاموا بإستصلاح مساحات واسعة مَنْ الاراضي بتجفيف المستنقعات والبطائح في جنوب العراق وبشق القنوات، كما ان بعضهم اخذ يمتلك اراضٍ زراعية واسعة وكانوا يدفعون عن كل هذه الاراضي عشراً وهو اقل مَنْ الخراج ، وقد فرض الامويون على الفلاحين ضرائب إضافية، مَنْها هدايا الاعياد وقد امر الخليفة عمر بن عبد العزيز ان تلغى هذه الضرائب الإضافية ولا تستعمل الشدة في الجباية ، ولكن أوامرهُ الغيت بعد وفاته. وفي العصر العباسي زادت اهمية الفلاح العراقي وبرز دوره الكبير في الزراعة وتطويرها ، وقد اتبع الخلفاء العباسيون سياسة طيبة مع الفلاحين ، فهذا الخليفة هارون الرشيد عندما تولى الخلافة طبق سياسة العدل والانصاف على الفلاحين ففي سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م خفف نسبة المقاسمة على الفلاحين وانقصها ، فحذف العشر الذي كان يؤخذ بعد النصف ، كما الغى الرسوم الاضافية التي كان يأخذها الجباة مَنْ المزارعين .

اما الخليفة المتوكل فاهتم بحماية الفلاح العراقي مَنْ سوء تصرفات الجباة ولاسيما في

مسألة جباية الخراج قبل نضوج الحاصل واتخذ قراراً بتأخير موعد جباية الخراج الى وقت نضوج الحاصل ، وكذلك فعل الخليفة المعتضد حتى انه كان يساعد الفلاحين بتسليفهم النقود لشراء البذور والبقر، وقد إختلفت السياسة الزراعية للدولة العباسية وطرق الجباية بتبدل الخلفاء وتنوع سياساتهم تجاه الرعية فكانت الضرائب تزداد مرة وتخفف في إحيان آخرى ، وقد صادر الخلفاء العباسيون الاراضي التي اصطفاها الإمويون لأنفسهم واعتبرها العباسيون فيما بعد ضياعاً سلطانية .

غيران حالة الفلاح العراقي اخذت بالتدهور والانحطاط خلال حقبة سيطرة البويهيين والسلاجقة نتيجة سيادة الاقطاع العسكري وهيمَنْته على جميع المرافق الزراعية فزالت العناية بالزراعة في جميع السواد بالعراق وترك الزراع تحت طمع المقطعين العسكريين وفرضوا السخرة على الفلاحين، رغم ذلك فأن البويهيين استخدموا انظمة متطورة للري واهتموا بتوفير مستلزمات الزراعة وشقوا الانهار واستصلحوا الاراضي للزراعة .

غير ان نجاح الخليفة الناصر لدين الله في انهاء النفوذ السلجوقي قد اعاد للفلاح العراقي مركزه واهميته فاخذ يهتم بالزراعة ويعمر مآخربه السلاجقة مَنْ مشاريع الري ويعمل على درء المزارع مَنْ خطر الفيضانات ، لذلك انتعشت الزراعة في عهده ، فهذا الرحالة ابن جبير عندما زاربغداد سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م وصف الجانب الشرقي مَنْ بغداد قائلاً: ((كله بساتين نخيل وشجر وثمر ممتدة امتداد البصر))، وحين شاهد طريق بغداد - الحلة وصفه قائلاً: ((ارضاً خضراء كلها بساط اخضر)) مما يدل على ازدهار الزراعة ونشاط الفلاح فيها .

٣- ظهور الاقطاع:

ابتداءاً لابد مَنْ الاشارة ان الاقطاع يعني ان يقطع السلطان احد المزارعين ارضاً فتكون له وتسمى تلك الارض قطائع اما المقاطعة فتعني القرية ونحوها مع الاقرار على مقطعها شيئاً يقوم به لبيت المال في كل سنة .

ثم تطور هذا الاقطاع خلال العصور الراشدي والاموي والعباسي مَنْ بعدهم ايضاً اذ ان الخلفاء الامويين والعباسيين كانوا يقطعون اراضي مصر لنفر مَنْ خواصهم اي (جماعتهم)، والامويون جمعوا في سياستهم الاقطاعية بين سيادة الملكية الصغيرة مَنْ جهة وسيادة الملكية الكبيرة مَنْ جهة آخرى ، وقد وفقوا في مَنْحهم القطائع بين ارض الموات

والارض الزراعية والصالحة للزراعة ، ومع ان الخلفاء وبعض ولاتهم الكبار قد ركزوا في مَنْحهم القطائع على بعض قوادهم وعمالهم واقربائهم وعلى بعض اخوتهم واولادهم لكن قطائعهم شملت العامة مَنْ الناس ايضاً وجنودهم كذلك إذ اقطعوهم وشجعوهم على الاستقرار والعمل في الحقل الزراعي .

اما الخلفاء العباسيون فقد مَنْحوا بعض الوزراء وكبارالموظفين طيلة بقائهم في مَنْاصبهم غلة بعض المزارع وذلك لسد نفقاتهم وتقوم مقام الرواتب ، وقد سميت هذه المَنْح (اقطاعات) وهي تبقى لصاحبها مادام يشغل مَنْصبه ثم تسترد مَنْه بعد عزله مَنْ مَنْصبه، واذا كانت هذه الاقطاعات قد مَنْحت لرجال الادارة المدنيين وقادة الجيش فقد سميت بالاقطاع المدني والاقطاع العسكري .

واستمرت كذلك في أوقات البويهيين والسلاجقة وساد في عهدهم الاقطاع العسكري وهيمَنْ على جميع المرافق الزراعية فزالت العناية بالزراعة في جميع العراق وترك الزراع تحت طمع المقطعين العسكريين .

لكن الخلافة بعد ان تخلصت مَنْ سيطرة السلاجقة في اوآخر العصرالعباسي اصبحت تمَنْح الاقطاع لمَنْ تشاء شريطة ان يحمل المقطع لمَنْطقة ما مقداراً مَنْ المال يدفعه للدولة سنوياً ويحتفظ لنفسه بالباقي وهذا اشبه بالضمان لان صلاحية المقطع في تلك الحالة تقتصر على جباية الاموال في المَنْطقة ولا علاقة له بالدولة لانه لايمارس الحكم فيها وهذا يسمى باقطاع الاستغلال .

يتضح مما تقدم ان الاقطاع كان على نوعين أحدهما اقطاع تمليك ويعني أحياء الاراضي الموات وهذا النوع يمكن ان يورث وتنقسم الارض المقطعة فيه الى موات وعامر ولكل مَنْهما احكام ، أما النوع الآخر فهو اقطاع استغلال وهو اقطاع غلة الارض سواء كانت عشرية ام خراجية ولكل مَنْهما أحكام ، وهذا النوع هو الذي يمَنْح لرجال الجيش ولا يمكن ان يورث .

وكان وجود ديوان خاص يعنى بأمر الاقطاعات مركزه بغداد يسمى (ديوان المقاطعات) يتولاه الناظر اوالكاتب واحياناً العامل .

٤- مشاريع الري ووسائلها:

تعتمد الزراعة اعتماداً كبيراً على الري بوسائله المختلفة ، ولما كانت الدولة العربية

الإسلامية واسعة جداً وتختلف اقاليمها في مَنْاخها وامطارها وتوافر مياهها لذلك اهتمت الدولة عبرالعصورالتاريخية المتعاقبة اهتماماً كبيراً بتنظيم اساليب الري والسقي وجعل الماء مباحاً للجميع .

ففي صدرالاسلام اتجهت رعاية الخلفاء الراشدين (رض) وولاتهم صوب الانهارالكبيرة في العراق وبلاد الشام ومصر فبدأوا بشق الجداول والانهار ومسح الاراضي والعناية بخصوبة التربة وازالة الشوائب المضرة بالزراعة ، واستمرالاهتمام بالري ووسائله في العهد الاموي إذ تم استصلاح البطائح مَنْ خلال المسنيات والسدود وكذلك الاهتمام بحفر الانهار واصلاح الجسور واقامة القناطر(الجسور) ومَنْها قنطرة الكوفة وقنطرة دجلة، هذا فضلاً عن انشاء السدود على نهر دجلة لاتقاء خطرالفيضان وتنظيم توزيع الماء في الترع والجداول مما ادى الى انتعاش الزراعة .

واهتمام الامويين باصلاح وترميم شبكات الري كان واضحاً في البلاد المفتوحة ولاسيما في بلاد الشام ومصر والعراق فيؤثر عن الامويين انهم قاموا باصلاح الترع والاقنية في بلاد الشام وكذلك كان اهتمامهم في العراق إذ احيوا اراضٍ واسعة وحفروا عدداً مَنْ الانهار مَنْ ذلك نهر عيسى ونهر صرصر، ونهرالملك ونهرالنيل التي تأخذ مياهها مَنْ الفرات بين الرمادي والحلة وتسقي الاراضي الواقعة بين دجلة والفرات في وسط العراق . كما اهتم الامويون بتجفيف المستنقعات في البطائح التي تقع في جنوب العراق بين البصرة



البطائح في جنوب العراق

والكوفة وتحويلها الى اراضٍ زراعية ، وكانت البصرة تعتمد في الارواء على الترع الكثيرة التي تأخذ مياهها مَنْ شط العرب ، ولما جاء العباسيون بذلوا عناية كبيرة في كل مايتعلق بشؤون الزراعة وراقبوا امورها مراقبة دقيقة ، فقد عمدوا الى تجفيف المستنقعات

في البطائح ورشحت بنظام ترشيح دقيق واستثمرت في الزراعة ، وكثرت حاصلاتها ، كما اشرفوا على تشييد الجداول وترميمها وعلى جميع اعمال الري ووسائله التي تتوقف عليها الحاصلات الزراعية، وعملهم هذا يتضح في تنظيم الري في العراق ومصرواليمَنْ وشمال افريقيا وبلاد ما وراء النهر، نذكر على سبيل المثال ماقاموا به في العراق إذ تابعوا عنايتهم بشؤون الري وصيانة السدود والترع في البصرة وواسط وحفروا الانهار في بغداد وسامراء وغيرذلك حتى امتازت اراضي العراق في عهدهم بخصوبتها وكثرة جداوله واتقان الري فيه ، اما في مصر التي تعتمد على نهرالنيل الذي يخترق اراضيها مَنْ الجنوب الى الشمال فكان الاهتمام مَنْصباً في السيطرة على مياهه للانتفاع بها في الزراعة والري لذلك اقيم عليه سدان في جزئه السفلي وذلك في القرن ٤هـ / ١٠م أحدهما في عين شمس ويسمى سد خليج اميرالمؤمَنْين والآخر عند سردوس جنوبي عين شمس.

ومَنْ الطبيعي ان تكون مياه هذه الانهار في كل مَنْ مصر والعراق هي الوسيلة الرئيسة في غنى البلدين بما تنتجه مَنْ المحاصيل الزراعية .

ثانياً: الصناعة:

توافرت الصناعة في كل مدينة مَنْ البلاد العربية الاسلامية العديد مَنْ الصناعات والحرف التي تسد الحاجات الضرورية لسكانها ولأهل الريف القريبين مَنْها، واهم هذه الصناعات والحرف ما يتعلق بحاجات الانسان الاساسية في حياته اليومية وهي المسكن والمأكل والملبس، فاما المساكن فانها تتطلب الآجر اي الطابوق والجص ، والمبيضين والمزخرفين والنجارين والحدادين والنحاسين، واما مايتعلق بالالبسة فهي تشمل النساجين والغزالين.

١- المهن والحرف:

طبقت الدولة العربية الاسلامية الحرية في العمل وفتحت المجال واسعاً امام جميع الفئات الاجتماعية في ممارسة العمل واختيار المهن والحرف التي تناسب كلاً مَنْهم ، ولم يكن في نهج الدولة غلق أي باب من أبواب الأعمال ولم تفرق بين المواطنين مَنْ حيث الأعتقاد الديني ، وقد مارس عدد كبير من الناس المهن والحرف المختلفة بارادتهم التي يحتاج اليها

اهل المدن، فكان مَنْهم العطارون، الحدادون، النجارون، البزازون، القصابون، البناؤون، الدباغون، الصباغون، النساجون، الزجاجون، الصاغة والصيارفة وغيرذلك مَنْ المهن. وكان اهل العراق يضرب بهم المثل في البراعة في كل صنعة .

ولما بنى الخليفة المَنْصور بغداد افرد لكل حرفة سوقاً خاصة ، ولأهلها مايميزهم عن غيرهم سواء كان ذلك في طراز حوانيتهم او شكل لباسهم ، او طريقة عرضهم لنوع السلع التي يبيعونها ومَنْ هذه الاسواق سوق العطارين، سوق الحدادين، سوق البزازين، سوق النجارين، سوق الرياحين (حيث تباع فيه الزهور) وسوق القصابين وغيرها.

وفي اوآخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وماتلاه كان مَنْ اهل الحرف في العراق الى جانب ماتقدم الخياطون، الاساكفة، الفراءون، المطرزون وغيرهم ممَنْ اشتغل بمهنة الحلاج ، الخفاف ، الخباز والدلال .

فضلاً عما تقدم مارس البعضُ مَنْ الناس حرفاً آخرى مهمة ومفيدة للمجتمع ومَنْهم الوراقون والفصادون والحجامون والاطباء والكحالون والجراحون والمجبرون والبياطرة والمَنْجمون ومؤدبو الصبيان والمؤذنون واصحاب الحمامات .

وهذه الحرف والمهن تحتاج الى مهارة خاصة وحذق وفيها مهن علمية تتطلب المعرفة والموهبة كمهنة الاطباء والجراحين والكحالين (اي اطباء العيون)، اما الوراقون فعملهم اليوم يشبه المطابع التي تقوم بنشر الكتب فكانوا يقومون بالنسخ والتصحيح والتجليد والتذهيب .



تجليد وتذهيب الكتب القديمة

وكانت مهنة الوراقة رائجة فقد عمد الخلفاء والوجهاء الى الاحتفاظ بعدة نسخ مَنْ الكتاب الواحد، ووصف الكثير مَنْ الوراقين بحسن الخط وجودة الصنعة وسرعة الكتابة حتى انتشرت مهنتهم وحصلوا مَنْ ورائها ربحا لابأس به واتخذهم الاثرياء والوجهاء

موظفين لديهم ، في حين عمل الآخرين في سوق الكتب ببغداد او غيرها طلباً للرزق .

وقد استمرت هذه المهنة لعصور طويلة واستمرارها يعطي صورة واضحة عن حياة التأليف والنسخ وصناعة التجليد والاهتمام بالكتب .

وايضا كانت مهنة الطب ومايتفرع عنه كثيرة الرواج لحاجة المجتمع اليها وقد عاش كثير مَنْ الاطباء عيشة رغيدة اذ قدر لهم ان يعملوا في قصور الخلفاء والوجهاء ، فقد كان جبرائيل بن بختيشوع طبيب الخليفة هارون الرشيد يعد في مصاف كبار الاثرياء بسبب ماكان ينال مَنْ الرواتب السخية والمَنْح .

وفي مجتمع اهتم بالنظافة اهتماماً كبيراً ويعدها مَنْ لوازم الدين كثرت الحمامات في المدن لاسيما في بغداد، وقد كون اصحاب الحمامات فئة مهمة بين اصحاب المهن، وقد كان في كل حمام (معلم) – وهو صاحبه – يجلس عادة في غرفة بعد المدخل على مصطبة مغطاة بالمفارش او السجاجيد، وكان تحت امرة المعلم خدم ومدلكون لخدمة الزبائن ، وقد وردت الكثير مَنْ التفاصيل عن هذه الحمامات في كتب الادب ومؤلفات الرحالة الذين ابدوا دهشتهم مَنْ كثرة العاملين فيها مما يؤكد على أهمية النظافة في المجتمع العراقي .

٢- الحرفيون:

كان العمال في البلاد العربية الإسلامية قد احترفوا مهنةً وصنائع مختلفة كانوا يختارونها بانفسهم وكثيراً ما كان الابناء يحترفون حرفة ابائهم ، وكان الصناع يتدرجون في الحرفة، فكل صانع له استاذ يتعلم مَنْه صنعته، كما ان الاستاذ تعلم مَنْ قبل على يد استاذ آخر، وكان اول السلم (اي المراتب) في حرفة الصناع هي (المبتدئ) الذي يتعلم الصنعة فيصبح صانعاً ثم (الخلفة) الذي تكون مرتبته دون مرتبة الاستاذ، وفوق هؤلاء جميعاً رئيس الصنعة او (شيخ الصنف) .

والصنّاع طائفتان الاولى الصناع المأجورون الذين يعملون لحساب غيرهم لقاء اجر محدد يتقاضونه اما اجور يومية او عن القطعة ، وهؤلاء قد يعملون في الدكاكين او يعملون في بيوتهم مستخدمين ادوات عمل يمتلكونها ومواد اولية يشترونها او يزودهم بها رب العمل الذي يستأجرهم .

اما الطائفة الآخرى فهم الصناع المستقلون الذين يعملون لحسابهم الخاص في الدكاكين او في بيوتهم يساعدهم اولادهم الذين يرثون الحرفة عنهم ، وكان هؤلاء احسن حالاً مَنْ ناحية الدخل لأنهم مستقلون ويمتلكون وسائل الانتاج وادوات العمل ورأس المال الذي قد ينمو على مرالايام اذا حالفهم الحظ وكانوا ذوي كفاءة .

٣- الاجور:

نظراً لتعدد المهن والحرف التي اشتغل فيها الكثير مَنْ العمال فقد كانت اجورهم يومية او شهرية او يشتغلون في محلات خاصة بهم .

والاجور مختلفة ففي القرن الاول الهجري / السابع الميلادي اجرة بناء السفن دينارين شهرياً ، واجرة الصانع العادي ديناراً واحداً شهرياً، واجرة عامل في الحانوت نصف درهم في اليوم فضلاً عن كسوته وغذائه.

وقد ارتفعت اجرة الحرفيين نسبياً حسب رغبة صاحب العمل فبلغت اجرة الحداد مثلاً خمسة دراهم في اليوم، وفي سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م كانت اجرة عامل الطين في بغداد درهماً ودانقاً في كل يوم مايشير الى وضع العمال في ذلك الوقت كان جيداً، ويبدو ان الاجور كانت تحدد بالاتفاق بين صاحب العمل والعامل وكان المحتسب مسؤولاً عن تنظيم العلاقة بين رب العمل وعماله وحل الخلافات التي تقوم بينهما .

٤- الاصناف (النقابات):

ظهرت الاصناف نتيجة التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت نمو المدن العربية الاسلامية في العصرالعباسي مَنْذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وقد قامت هذه الاصناف او النقابات في المدن الرئيسة بالعراق والشام ومصر وولايات المشرق والاندلس، ومثلت في وجودها في المجتمع العربي الإسلامي رد فعل للاحوال الاقتصادية الجديدة ومحاولة اهل الحرف والعمال تحسين مستواهم المعيشي لذلك أنبثقت نقابات الحرف حرة وشعبية ومستقلة وظلت تحمل الطابع الديمقراطي في تنظيمها في عصور ازدهارها بعكس ماكان الامر في أوربا في العصورالوسطى إذ كانت النقابات طبقية بحيث ان العضوية حصرت في فئات معينة مَنْ السكان .

وقد استحدثت عدة مصطلحات مختلفة للدلالة على النقابة العربية الإسلامية اشهرها أصطلاح (صنف) وكان واجب النقابة اوالصنف تنظيم الحرفة ورعاية مصالح اعضائها والمحافظة على اسرار الحرفة وتحديد الاسعار والحفاظ على مستويات الصنعة .

وكانت كل نقابة او صنف تتكون في تنظيمها الاداري مَنْ رئيس يدعى المعلم اوالشيخ وخلفاء وعمال (صناع) ومبتدئين وهم الذين ينتسبون الى الصنف ويتدربون على أيدي الصناع ، وعندما يرتقي وضعهم ليصبحوا معلمين يجري لهم احتفال خاص ترافقه شعائر وطقوس معينة يتلوها اداء القسم ثم وليمة خاصة.

اما النقيب (أوالأمين ، العريف) فكان يختار مَنْ بين اعضاء النقابة برضا المحتسب وموافقته، وقد يقوم المحتسب بتعيين هذا النقيب ، وكان النقيب يتمتع بصلاحية واسعة وسلطة على الاعضاء ، اما في المسائل المهمة كتحديد الاسعار فكان عليه ان يستشير المحتسب ، اما الشيخ اوالمعلم فكان رئيس النقابة يعمل كممثل لها في جميع الشؤون العامة كما انه يعد حكماً في الخلافات بين الاعضاء، غيران الخلافات بين نقابتين كانت مَنْ مهمات القاضي، وكان لكل نقابة تعليمات مكتوبة تنظمها ، وصار لكل حرفة شعارات ومراسيم يتمسك بها افراد النقابة ويطيعونها، واعتز ابناء كل صنف بالنقباء العرب المسلمين الاوائل واعتبروهم حماة ورعاة لهم ، وكان مَنْ الامور المستحبة انتقال الحرفة مَنْ الاباء الى الابناء .

٥- الضرائب (المكوس):

كانت هناك ضرائب عديدة تجبيها الدولة العربية الإسلامية وتضعها في بيت المال وهو الخزينة المركزية في العاصمة ، والضرائب هي :

١- الخراج :

٢- الخمس :

٣- الزكاة :

٤- العشور:

٥- ضرائب آخرى مثل هدايا الاعياد كالنيروز والمهرجان:

ثالثاً: التجارة : التجارة الداخلية والتجارة الخارجية:

لما كانت الدولة العربية الإسلامية غنية بمواردها الزراعية والحيوانية والمعدنية ومَنْتوجاتها الصناعية ايضاً فقد ادى هذا الى نشاط التجارة وازدهارها في مختلف الاقاليم وكانت مكة المكرمة التي ظهر الرسول محمد (ص) فيها وبشر بالدين الإسلامي قبل الهجرة ، مَنْ أهم المراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية ، وقد اشتغل عدد مَنْ الصحابة في التجارة ، ولم يعرقل الخلفاء النشاط التجاري في الدولة العربية الإسلامية انما شجعوه وفسحت الدولة المجال واسعاً لحرية العمل والتنقل .

والتجارة بحكم تنوع بضائعها وسعة حجمها كانت على نوعين :

١- التجارة الداخلية:

وهي التي تكون فيها المبادلات التجارية بين مختلف اجزاء الدولة الواحدة سواء بين المدينة والقرى المحيطة بها او بين المدن مع بعضها البعض داخل الدولة او الاقليم الواحد.

لقد اشتهرت الكثير مَنْ مدن العراق بتجارة المواد الغذائية لاسيما الحبوب والتمر والفاكهة، كما كانت تجارة الحيوانات كالجمال والاغنام مَنْ ابرز انواع التجارة في العراق فخلال القرن الاول الهجري كانت مدينة البصرة محورتجارة العراق الداخلية ويأتي التمر بانواعه المتعددة في مقدمة السلع التي كانت البصرة تصدرها الى اسواق كثيرة مَنْ مدن العراق وقراه، وكان سوق التمارين مَنْ اولى الاسواق التي بنيت في البصرة ، وكان لتجارالبصرة وكلاء في مدن العراق الرئيسة يبيعون لهم تجارتهم كما استوردت البصرة بعض المواد الغذائية كالفواكه والخضروات مَنْ المَنْاطق المجاورة .

وقد اخذت السلطة الحاكمة على نفسها ان لاترهق السكان بالضرائب وبذلك ظلت الاسواق التجارية في العراق معفاة مَنْ ضرائب كثيرة.

ان مكافحة التبغ (التدخين) ليست من الكماليات التي لا يصل اليها الا الدول الغنية بل هي ضرورة لكل البلدان .

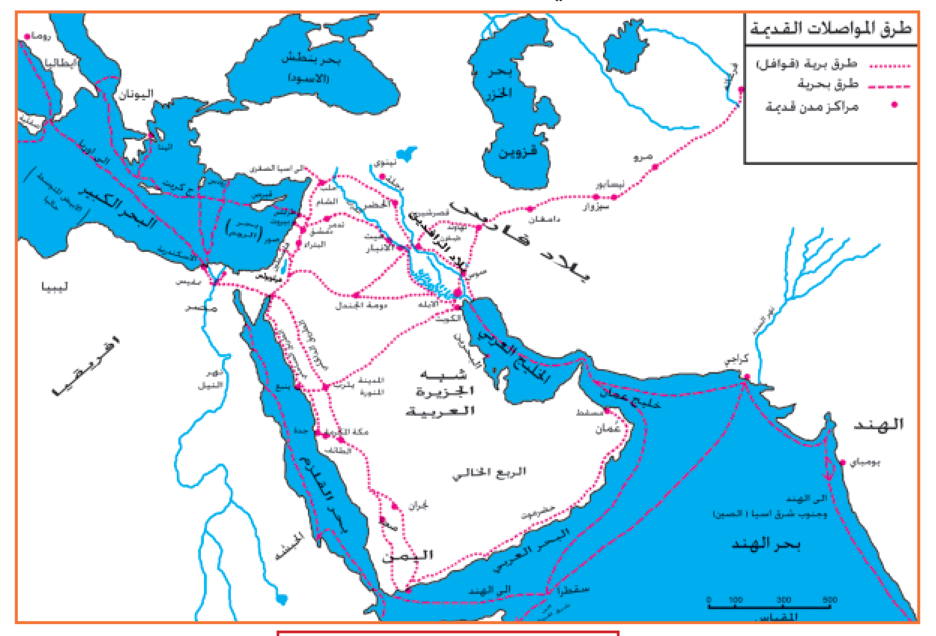
٢- التجارة الخارجية:

فهي التي تجري فيها المبادلات التجارية بين دولة وآخرى سواء كانت قريبة مَنْها او بعيدة. ولما كانت بغداد هي اكبر مركز تجاري في الدولة العربية الإسلامية حتى عدت اشهر مدينة عالمية ، لذلك كانت مركزا ً مهما ً للتجارة العالمية، وكانت معظم الطرق الرئيسة تتشعب مَنْها وهي اما طرق برية اونهرية اوبحرية كما سيتضح لاحقاً.

ولما كانت أراضي الدولة العربية الإسلامية واسعة وخيراتها كثيرة ومَنْتوجاتها وفيرة ومع ذلك كانت تحتاج الى بعض السلع المتوفرة في الاقاليم والبلاد البعيدة ، لذلك كانت تستوردها مَنْ تلك البلاد الامر الذي ادى الى أزدهار التجارة معها، واهم الدول التي كانت تتاجر مع البلاد العربية الإسلامية هي: الصين، الهند، جزرالهند الشرقية، افريقيا واوربا.

٣- طرق المواصلات:

كانت طرق المواصلات التي يعتمد عليها التجار في الأنتقال مَنْ مدينة الى آخرى او مَنْ بلد الى آخر نوعين: برية او نهرية او بحرية، وكانت وسائل النقل فيها متنوعة فالحيوانات كالجمال والبغال والحمير كانت وسائل النقل البرية، اما الزوارق والمراكب والسفن الشراعية فكانت تستعمل في الانهار والبحار.



طرق المواصلات التجارية

الطرق البرية:

فبالنسبة للطرق البرية فاهمها الطريق الذي يربط بغداد حاضرة الخلافة العباسية بالمدن المقدسة في الحجاز وهو يمر بالكوفة ويخترق صحراء شبه الجزيرة العربية مارة بكثير مَنْ المحطات التي تتوافر فيها المياه ، وهذا الطريق يسلكه الحجاج الذين يؤم مَنْهم البيت الحرام سنويا ً عدد كبير لأداء فريضة الحج ، ويستخدم هذا الطريق لأغراض تجارية ايضا ً ونظراً لأهميته فقد عنيت الدولة به فازالت العقبات مَنْه وحفرت عليه الابار وعنت بتوفيرالمياه في محطاته ، وتتفرق مَنْ بغداد طرق آخرى مَنْها طريق يربطها بواسط والبصرة والاحواز مَنْ جهة الجنوب وطريق آخر يربطها بالموصل مَنْ جهة الشمال ثم الى الجزيرة الفراتية وبلاد الروم ، اما مَنْ جهة الغرب فكان طريق يبدأ مَنْ بغداد الى الرقة ومَنْها الى بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا وكانت تجارة بلاد الشام تصل الى بغداد حيث تنزل في الانبار ثم تسلك طريق البر ، أما الطريق الرئيسي الذي يربط بغداد بالمشرق فهو يمر شرقا ً بالمدن الواقعة على نهرديالى ثم يسير الى همدان فالري فنيسابورفطوس فمرو ، ومَنْ مرو يتفرع الطريق الى فرعين رئيسين أحدهما الى بخارى وسمرقند فالصين وثانيهما الى بلخ وكابل فالهند .

اما الطريق البري مَنْ أوربا الى المشرق فيبدأ مَنْ بلاد الاندلس الى طنجة عبرمضيق جبل طارق مجتازاً بلاد المغرب الاقصى والاوسط والادنى عن طريق افريقية (تونس) حتى يصل الى مصر ثم يتوجه الى بلاد الشام مارا ً بالرملة في فلسطين ثم دمشق ثم يتجه الى العراق ماراً بالكوفة وبغداد والبصرة ثم الى فارس مارا ً بالاحواز ثم الى كرمان والهند والصين، وقد اقيمت على طول الطرق في العالم الإسلامي خانات للمسافرين ودوابهم وبضائعهم يرتاح فيها التجار .

الطرق النهرية:

فهي التي تسير فيها المراكب والسفن الشراعية ، ففي العراق تسلك نهري دجلة والفرات. ومَنْ المعلوم ان بغداد حاضرة الخلافة العباسية تقع على نهر دجلة وكانت تمر بها السفن التي تحمل كثيرا ً مَنْ البضائع الارمَنْية وبضائع الجزيرة والموصل والمدن الواقعة في

شماله وتمر بها ايضاً بضائع البصرة وواسط والمدن الواقعة في جنوبه مايشير الى كثرة وسائل النقل فيها .

اما البصرة فقد كانت اكبر ميناء عربي تتفرع مَنْها طرق بحرية ونهرية وبرية الى مختلف انحاءالعالم ومَنْها طريقان نهريان يبدآن مَنْ البصرة احدهما يتجه الى الهند والصين، والطريق الثاني كان يسير مَنْ البصرة حول سواحل شبه الجزيرة العربية ثم يتجه الى البحر الاحمر ، اما السفن التي كانت تسير بالسلع جنوباً الى بلاد اليمَنْ وعدن فانها تستأنف سيرها الى سواحل بلاد الهند والصين ثم تعود محملة بالبضائع الى عيذاب ومَنْها الى الساحل المصري .

اما نهرالفرات فكان يرتبط بدجلة بنهر عيسى الذي تنقل فيه السلع مَنْ اعالي الفرات ومَنْ مَنْطقة الكوفة، وفي نهر عيسى كانت تصل بغداد محصولات الغرب والمؤن القادمة مَنْ أراضي الفرات الأعلى التي تأتي اليها القوافل مَنْ مصر وبلاد الشام فتسير في نهرالفرات ومَنْه الى نهر عيسى ثم تفرغ حمولتها على ارصفة عند الفرضة السفلى في الكرخ .

وكان لنهرالنيل في مصر اهمية كبرى لانه يصل البحرالمتوسط بالبحرالاحمر وكانت القوافل التجارية تؤمَنْ نقل البضائع بين النيل والبحرالاحمر، اما الفرما والاسكندرية فكانت ايضاً مَنْ المراكزالهامة للتجارة بين الشرق والغرب حيث تنقل مَنْهما التجارة القادمة مَنْ اوربا الى البحرالاحمر والتجارة القادمة مَنْ الشرق الى اوربا .

٤- النقود والصيرفة:

كان التبادل التجاري بين البائع والمشتري يتم بثلاث طرائق هي :

١- طريقة النقود: بنوعيها الدينار الذهبي والدرهم الفضي تستخدم في المعاملات التجارية وكان سعرالصرف لكل مَنْهما يتحدد حسب قيمة الذهب والفضة ومقدار ما فيها مَنْ المعدن، ولكن الدينار كان يختلف مَنْ وقت الى آخر ومَنْ بلد الى آخر، ففي صدرالاسلام كان الدرهم وزنه مثقالاً مَنْ الفضة الخالصة اي حوالي (٤) غرامات والدينار الذي يسك مَنْ الذهب الخالص كان يساوي (١٢) درهماً مَنْ الفضة ، وقد عرَّب الخليفة عبد الملك بن مروان النقود (الدنانير والدراهم) اي سكها على طراز عربي إسلامي وطبع عليها بالعربية آيات قرآنية وبقي وزن الدينار مثقالاً.

٢- طريقة المبادلة بالسلع (المقايضة) بين البائع والمشتري .

٣- طريقة الصكوك وتسمى السفتجة (الحوالة) تستخدم في المعاملات التجارية والمالية الضخمة كوسيلة مأمونة في نقل النقود وعدم تعرضها للضياع ويقوم بها الصيارفة .

فالشخص الذي معه مال يعطيه للصراف ويأخذ مَنْه رقاعاً ثم يشتري ما يحتاج اليه ويحول ثمَنْه الى الصراف، وقد شاع استعمال السفتجة (الحوالة) لتسهيل عمليات البيع والشراء بين المدن والولايات وكان الصيارفة يأخذون عمولة عن صرف الصكوك تصل احياناً درهماً على كل دينار، ولهم سوق يسمى سوق الصرافين، وقد نشطت الصيرفة كثيراً في العراق ابان قيام الدولة العباسية واتخاذها بغداد عاصمة لها ومَنْذ القرن ٤هـ/١٠م توسعت اعمال الصرافين فيه لتزايد النشاط التجاري في أسواق العراق حتى بلغت حركة الصيرفة غاية الازدهار في تسليف النقود وتبديل العملات وصرف الصكوك والسفاتج (الحوالات) والصك يشبه الشيك الرسمي في عصرنا الحديث .



نقود اسلامية

٥- الواردات والصادرات:

ان حركة النشاط التجاري والسلع التي دخلت في نطاق التبادل التجاري يمكن التعرف عليها مَنْ خلال الواردات والصادرات ولاسيما ان الدولة قد توافرت لديها الاموال وأمَنَّت طرق القوافل والسفن فصارت السلع تحمل مَنْ جميع ارجاء العالم الى العراق وحاضرته بغداد، لذلك كانت الواردات التي يستوردها التجار في العراق كثيرة ومتنوعة .

اسئلة الفصل الخامس

س١) كيف كانت سياسة الخلافة العباسية مع الفلاح العراقي ؟ وما النتائج التي ترتبت عليها ؟

س٢) متى بدأ ظهور الاقطاع ؟ وكيف تطور خلال العصرين الراشدي والاموي ؟

س٣) ما سياسة الدولة العربية في الري ووسائله في الزراعة ؟

س٤) ما أنواع ملكيات الارض في الدولة العربية الإسلامية ؟ عددها واشرح اثنين مَنْها .

س٥) ما الضرائب التي كانت تجبيها الدولة العربية الإسلامية لتغطية نفقاتها المدنية والعسكرية ؟ عددها فقط .

س٦) ما السياسة التي انتهجتها الدولة العربية الإسلامية مع اهل المهن والحرف ؟

س٧) كيف ظهرت الاصناف (النقابات) في البلاد العربية الإسلامية ؟ وكيف كانت تدير شؤونها ؟

س٨) ما اهمية الصكوك (السفتجة) في المعاملات التجارية في الدولة العربية الإسلامية ؟

س٩) كيف كانت العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام خلال العصورالإسلامية ؟

س١٠) ما هي أهم طرائق التبادل التجاري بين البائع والمشتري ؟

نشاط

- يقوم الطلبة بزيارة أحد الأسواق الشعبية في مدينتهم للاطلاع على المهن والحرف في تلك الاسواق مع كتابة بحثٍ عن المهن والحرف في الدولة العربية الاسلامية.
- يشارك الطلبة في رسم خريطة تمثل الانهار العراقية القديمة في الدولة العربية الإسلامية ووسائل الري القديمة مع كتابة بحثٍ عنها
- يشارك الطلبة في حلقة نقاشية حول نظام السفتجة في الدولة العربية الإسلامية ومقارنتها بالحوالة المصرفية اليوم.
- افتح موقعاً للتواصل الاجتماعي (الفيسبوك) لمَنَاْقشة الاصناف (النقابات) في ظل الدولة العربية الإسلامية.

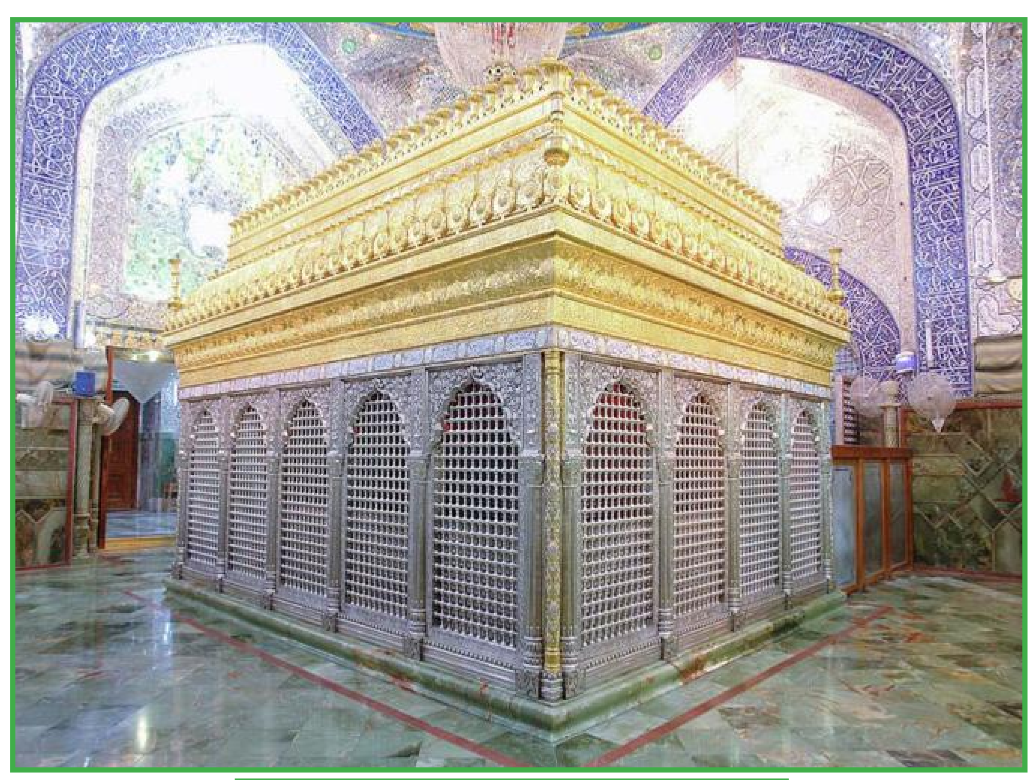
الفصل السادس

المدن العربية الإسلامية

نشأة المدن :

هناك عدد مَنْ التعريفات التي عرّفت بها المدينة بصورة عامة والمدينة العربية الاسلامية بصورة خاصة ، فقد عرّفها البعض بكونها المكان الطبيعي للفرد أو لمجموعة مَنْ الأفراد المتمدنين المتحضرين فهي تمثل رقعة مَنْ الأرض تمارس فيها جميع النشاطات الحضارية مَنْ علوم وفنون ، وهذا التعريف يبين بصراحة أن المدينة تعادل الحضارة، وكثيرا ما تعرّف الحضارة بالمدنية، وهناك تعبير شائع بين الناس أهل المدر أي العرب المستقرون ولأن أبنية الحضر كانت بالمدر وأهل الوبر هم أهل البادية لأن أخبية وخيام أهل البادية مَنْ الوبر تمييزاً لهم عن أهل الحضر الذين كان بناؤهم مَنْ المدر، على اعتبار إن المدر يعني الطين الذي تبنى مَنْه البيوت الطينية والطين بعد حرقه في الكوّر يكون لبناً وطابوقاً لبناء البيوت بينما الوبر هو الدلالة على أن البيوت مَنْ الخيام، خيام البدو وأخبيتهم، المترحلين وغير المقيمين في مكان مستقر ثابت، وهناك تعريف آخر للمدينة فهو يعني أي مكان مستقر ثابت وله حدود محدّدة ويزاول أكثرية الأفراد المقيمين فيه أنماطاً أي (أعمالاً) إنتاجية غير زراعية كالتجارة والصناعة والحرف والمهن، وهذا التعريف يركز على الجانب الانتاجي المادي الذي ينصرف أهالي المدينة للعمل فيه، وهناك تعريف ثالث يركز على أن المدينة تعني أي مكان محدّد مَنْ الأرض حيث يجتمع الناس للسكن فيه مَنْ مختلف الأجناس ومَنْ مختلف الملل والمذاهب، على شرط أن تكون نسبة تجمعهم كثيفة وقد قدّرت هذه الكثافة بنسب متفاوتة، وأن تتوافر فيه وسائط النقل والمواصلات.

هذا مَنْ جهة وهناك مدن تعرف بما نعرفه اليوم في العراق بالمدن المقدسة أو المدن الدينية لما تتمتع به مَنْ وجود أضرحة للأئمة المطهّرين أوالأولياء الصالحين، فضريح الإمام علي (ع) وضريح الوليّ الشيخ عبد القادر الكيلاني (رض) يشجع الناس على أن يتبركوا بمجاورته والسكن الى جواره أوحوله فيكون عندئذ النواة الأولى لتطور هذا المكان الذي يضمّ هذا الضريح ويجعلهُ قضاء ثم مدينة عامرة بمساجدها وجوامعها وحسينياتها



ضريح الامام علي بن ابي طالب (علية السلام)

وأديرتها وكنائسها وأماكن العبادة فيها، وربما تضمّ رفاة أحد الصالحين مَنْ المسيحيين أو اليهود أو الصابئة أو الأيزيديين وتكون عامرة ومزدهرة بأسواقها ومكتباتها ومدارسها وتجاراتها وفنادقها ومجالسها الدينية وعلماء الدين فيها .

ومع ذلك فقد وضع المشرّعون جملة معايير وشروط يشترط توافرها في هذا المكان الذي اصطلح عليه (مدينة) مَنْها :

١- توافر الأمَنْ والاستقرار فيه وهيمَنْة السلطة المركزية على النشاطات التجارية والصناعية خصوصا في مسألة الاشراف على الأجهزة الأمَنْية وكذلك الاشراف على مسائل تتعلق بتحديد أسعار المواد الغذائية الأساسية وغير ذلك.

٢- وجود قانون وقضاء يشمل برعايته المصلحة العامة لجميع الساكنين في هذا المكان، لانها المؤسسات التي توفر العدالة والأمَنْ.

٣- وجود محكمة وقضاء وتشريع: وينبغي أن تتمتع المدينة بقانون مستقل يشرّعه رجال القانون.

٤- أن تتوافر فيها الأسواق، للبيع والشراء وعرض ما يحتاج اليه المواطن من مواد وحاجيات، والتي منها المواد الغذائية والمنزلية .

٥- أن تتوافر فيها المؤسسات الادارية والعلمية والصحية والمستشفيات وغير ذلك.

إذن فالمدينة تعادل الحضارة، ففي المدينة يستقر الناس استقراراً ثابتاً ودائمياً، ويبنون فيها مساكنهم ويزاولون الاعمال والحرف والصنائع، ويبنون المدارس فيتعلمون القراءة والكتابة والعلوم، ويظهر فيها العلماء والادباء والفنانون الذين يعملون على رقي المدينة وازدهارها في العلم والمعرفة، ويلبّون حاجات المجتمع، مجتمع المدينة، بما يحتاجها مَنْ علوم تساهم في تطوير الصناعة والتجارة والزراعة وكثير مَنْ العلوم والفنون، وبازدهار المدينة يزدهر المجتمع فينتج ثقافة وحضارة بمرور الزمَنْ، وحسب ما نعرف أن الاسلام الحنيف هو دين مدني حضري ولد في مدينة مكة المكرمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بأم القرى، ونما وترعرع في المدينة المَنْورة بعد هجرة المسلمين إلى يثرب، وفي المدينة المَنْورة انشغل المسلمون، المهاجرون والانصار والملل الأخرى، في توطيد المؤسسات الحضرية وفي بناء المسجد الجامع ، ووضع رسول الله (ص) أول عقد اجتماعي بين جميع عناصر المدينة المَنْورة مَنْ العرب مَنْ المؤمَنْين والمَنْافقين واليهود والمسيحيين ذلك الذي يعرف بالوثيقة او الصحيفة وهو في نفس الوقت يعدّ بمثابة (الدستور) الذي نعرفه الان والحياة في المدن تختلف اختلافاً جذرياً عن الحياة في الصحارى وفي شبه الجزيرة العربية التي يقطنها البدو الرحّل الذين كانوا يتخذون الخيام مَنْ الوبر ولايزاولون المهن والحرف والصنائع وكانت مهنتهم الاساسية هي الرعي، وكذلك تختلف المدينة عن الريف او القرية التي دائما تحيط بالمدن لأن الناس في الريف يزاولون الزراعة، بينما نجد في المدينة أنماطاً انتاجية متعددة ومعقدة مَنْ تجارة وصناعة وزراعة ومَنْ وجود اسواق وتبادل الناس في البيع والشراء على اساس النقود الفضية او الذهبية او النحاسية، وفي المدينة تتوسع العلاقات الاجتماعية مَنْ مجتمع يستند على قيم وروابط عشائرية إلى مجتمع مدني يخضع إلى قانون هو قانون الدولة العربية الإسلامية، ويسود فيه الأمَنْ والسلام تبعا لقوة الدولة والقانون، الذي يتفق مع مبادئ الإسلام، وفي المدينة تنشأ علاقات اجتماعية واسعة دون فروقات، فالعربي يسكن إلى جوار غير العربي. ويقطنها المسلم والمسيحي واليهودي

والصابئي وغير ذلك مَنْ الملل، وجميع هؤلاء يتسمّون باسماء مدنهم، ولافرق بينهم في مؤسسات هذا المجتمع المدني.

والمؤسسات والمَنْشآت التي تتميز بها المدينة العربية الإسلامية بعضها يختلف عما هو متوافر في المدن الحاضرة أوالمدن غير الإسلامية ، فأهم وحدة عمرانية في المدينة عندما أسس المسلمون المدن خلال الفتوحات الإسلامية وبعدها المسجد الجامع او المسجد الكبير او يسمى المسجد الاعظم، وكان يبنى في وسط المدينة ويحاط بالاسواق التي يحتاجها مجتمع المدينة، وكان المسجد الجامع يعدّ مبدئيا لصلاة الناس وكان بعد كل صلاة يكون مدرسة للعلم والمعرفة، كل شيخ او عالم يأخذ اسطوانة مَنْ اسطوانات (أو أساطين) الجامع ويتحلق حوله الطلبة ومَنْ هو متشوق للعلم والمعرفة، وكان السوق هو المركز الذي يلتقي فيه الناس وربما يتّخذونه ايضاً سوقاً فكرية وثقافية، وكان إلى جانب المسجد الجامع دار تسمى (دار الامارة) يسكن فيه والي المدينة او امير المدينة ويكون ملاصقاً للمسجد لأن الوالي هو الذي كان يؤم الناس في الصلاة ، ثم هناك بيوت الناس وهي وحدات عمرانية مهمة، كانت بيوت المسلمين عند تأسيس الامصار كالبصرة والكوفة والفسطاط عبارة عن خيم وفساطيط ثم بنيت بعد ذلك بالقصب ثم تحول البناء إلى اللبن والطابوق.

كذلك أهتم ولاة المدن بتوفير المياه لاهالي المدينة عن طريق وسائل مختلفة كحفر الانهار والقنوات والترع والآبار، وكانت الأنهار أو القنوات هذه تدخل إلى المدينة ليتزود الناس مَنْ مياهها الصالحة للشرب بحدود ذلك الزمان.

والمدينة الإسلامية تتميز بوجود الحمام ، وهو مظهر إسلامي يتعلق بالطهارة قبل اداء الصلوات، وهو ايضاً مَنْ الآداب التي شدّد عليه القرآن الكريم والإسلام الحنيف.

وفي المدن الإسلامية تأسست المستشفيات، وكانت تسمى (البيمارستانات) وهي كلمة فارسية.

وكان العرب المسلمون يختارون اماكنها بعناية فائقة، وهم يعتقدون بان المكان له أهمية كبيرة في صحة البدن.

ومما تتميز به المدينة الإسلامية ايضاً وجود مقبرة او مقابر لدفن الموتى، وقد اتخذت بعض قبور الاولياء والصالحين أضرحة ومشاهد يزورها أهالي المدينة وربما المدن

الأخرى ويتبركون بها.

ومع انه في بداية تأسيس المدن الإسلامية المعروفة بالامصار كانت هناك مدناً مفتوحة دون اسوار، وذلك لكي تتفق تماماً مع فلسفة العرب العسكرية بإنهم كانوا مستمرين على الفتوحات وان الاسوار عامل مقيد لحركة الجيوش، لهذا لم يبنوا اسوارا للبصرة والكوفة في بداية الأمر، ولكن بعد الاستقرار واستمرار الفتوحات الإسلامية أخذوا يبنون اسواراً ًلها، فالسور يعدّ وحدة عمرانية مشهورة في المدينة.

انواع المدن: فالمدن العربية الاسلامية نوعان هما:

المدن التي كانت موجودة قبل ظهور الاسلام الحنيف وقبل ظهور الفتوحات الإسلامية، فهذه نسميها المدن القديمة مثل مدن اليَمَنْ ومدن البحرين وعُمان ومدينة مكة المكرمة ومدينة يثرب ومدن بلاد الشام ومَنْها القدس والاسكندرية في مصر وغير ذلك، وهذه المدن قد ابقى عليها العرب المسلمون عندما فتحوها، بل انهم اضافوا إلى بنائها ماهو مهم في العقيدة الإسلامية كالمسجد الجامع الذي يعدّ مهما بالنسبة اليهم لاقامة الصلاة، فضلاً عن ذلك فقد قسموها بناءاً على تفكيرهم إلى حارات او محلات يسكنها افراد القبائل المتشابهة كمحلة بني أسد او بني تميم او محلة خاصة بالمسيحيين ومحلة خاصة بالفرس وهكذا.

مدن الامصار:

المدن التي تسمى الأمصار، وهي المدن التي كانت ضرورية جداً بالنسبة إلى العرب المسلمين اثناء الفتوحات الإسلامية وحينما خرجوا مَنْ المدينة المَنْورة ومكة المكرمة باتجاه بلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا، أي أنهم ابتعدوا عن مركز الادارة الإسلامية، هنا صارت الحاجة ماسة إلى ان يتخذوا ما يشبه بالمخيمات او المعسكرات وينبغي ان تتوافر فيها عدة شروط أهمها أن تكون متصلةً بالبادية او بالصحراء، وهو غرض عسكري وذلك لأنهم اذا ما واجهوا مقاومة مثلاً يستطيعون بسهولة التراجع إلى الصحراء ، ولهذا سميت هذه المراكز او المخيمات بعد ان بنى المسلمون بيوتهم وأتخذوا المسجد الجامع ودار الامارة فيها عرفت بـ (الامصار) ومفردها (مصر) أي الموضع الذي يتصل بالبادية فهو

الحدّ الفاصل بين البادية والحاضرة، ومَنْ الشروط الأخرى التي اشترط الخليفة عمر بن الخطاب (رض) توفرها في المصر ان يكون قريباً مَنْ الماء وان لايفصله عن المدينة او عن مركز الدولة العربية الإسلامية أي نهر او جبل أو وادي، بغية ان يكون الاتصال سهل وميسور بمركز الخلافة.

مدن غير الامصار:

وبعد ان تأسست الامصار وهي البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر وخلال حكم الأمويين القيروان في تونس، وعندما استقرت عمليات الفتوحات الإسلامية اهتم سكان كل مصر بمصره، فضلاً عن اهتمام الخلفاء بالامصار فاخذت هذه الامصار تتطور وتنمو بسرعة مذهلة فتحولت إلى مدن عامرة بالسكان والمؤسسات والرخاء الاقتصادي، فبدأ العرب المسلمون في العصر العباسي فصاعداً يؤسسون مدناً آخرى غير الامصار وهي الأخرى كانت تتمتع ببعض المزايا الخاصة، ولايفترض فيها ان تكون على اتصال سهل وميسور بالمدينة المَنْورة مدينة رسول الله (ص) او بمركز الدولة، عندئذٍ ظهرت انواع مَنْ المدن غير المدن الامصار ومنها مثلاً:

١- المدن الشخصية التي يؤسسها أحد الخلفاء أوالامراء لتكون مقراً له ولعسكره كمدينة واسط وبغداد وسامراء والقطائع في مصر والزهراء والزاهرة في الأندلس.

٢- مدن لها مواصفات الموانئ التجارية وهي تتمتع بمواصفات خاصة ناتجة عن وظيفتها كمدن التجارة او مدن موانئ.

٣- مدن دينية تنمو بجوار أضرحة فتتوافر فيها سمات وخصائص خاصة بوظيفتها الدينية، يقدسها محبيها لتعلقهم بها وأهتمامهم ومحبتهم ذلك المزار او الضريح.

٤- مدن عسكرية ومدن القلاع وهي مدن خاصة بسكنى الجنود باعتبارها مدن ثغور ومدن قلاع.

وقبل ان نقوم بدراسة نماذج مَنْ المدن العربية الإسلامية علينا ان نقول بان العرب المسلمين عندما اتخذوا الأمصار، فأنهم لم يؤسسوها في المدن القديمة نفسها أنما إلى

جوارها، فمثلاً انهم لم يتخذوا الحيرة المدينة المشهورة مَنْذ عصر قبل الإسلام ولكن اتخذوا الكوفة بالقرب مَنْها، كذلك حينما أسسوا البصرة فانهم لم يتخذوا مدينة الأبلة القائمة على نهر شط العرب (وكان يسمى في العصر الإسلامي نهر دجلة العوراء) انما اتخذوا البصرة على مسافة حوالي ١٢ ميلاً إلى الغرب مَنْ الأبلة، وكذلك الحال في مصر فلم يتخذوا مدينة الإسكندرية لكنهم أتخذوا الفسطاط الواقعة إلى الشرق مَنْ نهر النيل، وخلال عمليات الفتح فانهم لم يستقروا في المدن التي فتحوها بل كانوا يتخذون معسكراتهم خارج المدينة او في ضواحي المدن المفتوحة.

اولاً: الامصار:

أسس العرب المسلمون في العراق اثناء الفتوحات الإسلامية أمصار عدة هي :

١- البصرة:

وهي مَنْ المدن العراقية القديمة، وقد نزلها العرب القادمون مَنْ شبه الجزيرة العربية واختلطوا مع سكان العراق الاصليين، ومعنى كلمة البصرة في المعاجم اللغوية العربية مأخوذة مَنْ الطبيعة الجغرافية لتربة المَنْطقة فهي تعني اما الحجر الابيض الرخو واما الكذَّان وهي الحجارة الرخوة، او انها تعني الارض الطيبة الحمراء، او الارض التي في حجارتها جصّ، أسسها القائد عتبة بن غزوان المازني سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م ، وان العرب المسلمين حينما قدموا إلى مَنْطقتها وجدوا المَنْطقة تعاني مَنْ الأهمال وكانت تسمى الخريبة، وكان بها مسلحة (مكان للرصد) فارسية، فنزلها عتبة بن غزوان والمقاتلون وأتخذوا مَنْازلهم في المرحلة الأولى مَنْ الأخبية والقباب والخيام، وكانت تتمتع بالشروط التي أشار بها الخليفة عمر بن الخطاب(رض) على عتبة في اتخاذ البصرة هي:

١- ان تكون قريبة مَنْ المياه.

٢- ان تقع على طرف البر.

٣- ان يكثر بها القصب.



البصرة قديماً

فلهذا وجد عتبة بن غزوان المازني هذا الموضع الذي صار يدعى البصرة يتمتع بتلك المواصفات.

تخطيط المدينة:

مرّ تخطيط المدينة بعدة مراحل يمكن ايجازها بالآتي:

١- اتخذت اولا كمكان لتجمع المقاتلين ، وكانت مَنْازلهم مَنْ الخيام والفساطيط.

٢- بعد وقت قصير خطط عتبة المدينة، فأسس اول خطط المدينة فكان المسجد الجامع وكان بناؤه مَنْ القصب ثم بعدئذ وفي زمَنْ ولاية ابي موسى الأشعري في سنة ١٧هـ / ٦٣٨م تحول البناء إلى اللبن والطين، وسقفه بالعشب وزاد مساحته لانه كان يضيق بالمصلين. وتم توسيعهُ في العصرين الاموي والعباسي .

٣- دار الامارة: قد اتخذ والي البصرة عتبة بن غزوان داراً ملاصقاً للمسجد كما اتخذ السجن (وذلك لسجن المجرمين) والديوان (وهو بمثابة خزينة المال)، وتعرضت مادة بنائه التي كانت أيضا مَنْ القصب في المرحلة الأولى كما هو الحال في المسجد الجامع مَنْ القصب ، ثم مَنْ اللبن والطين، ثم مَنْ الآجر والحجارة.

٤- خطط الأهالي: خططت مَنْاطق توزيع السكان فيها عند تأسيسها على أساس النظام القبلي، وهو النظام الذي خططت عليه الكوفة والفسطاط والقيروان ايضاً، فانقسمت البصرة إلى اخماس (مفردها خمس) والى خمسة اخماس كل خمس صار لقبيلة واحدة او لمجموعة مَنْ القبائل والبطون.

٥- الأسواق : في أول الأمر أقتصرت المدينة على سوق واحدة قرب المسجد الجامع فضلا عن سوق المربد الذي كان يمثل نقطة التقاء البادية بالحاضرة.

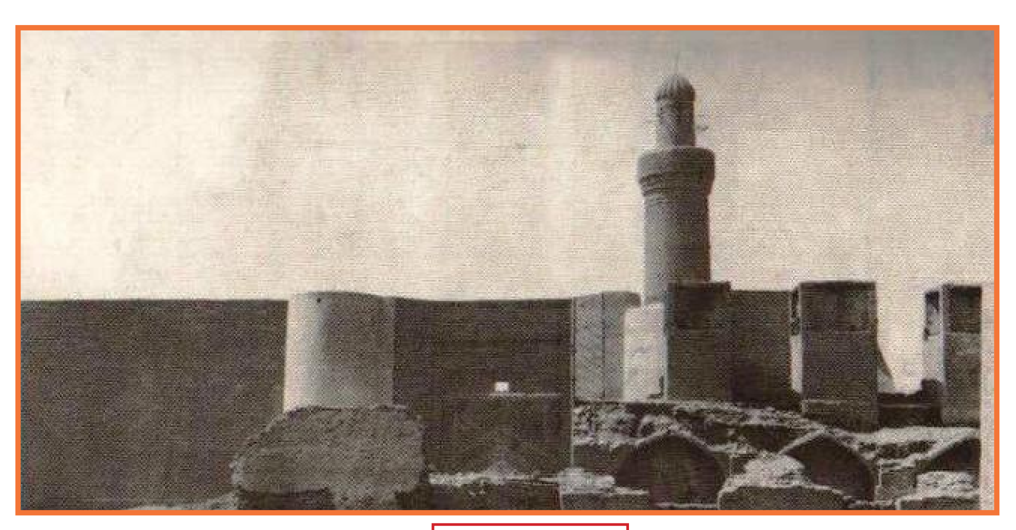
٦- سور المدينة: لم يكن للبصرة أي سور في المراحل الأولى وظلت كذلك اذ بنى والي البصرة في عهد ابي جعفر المَنْصور سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م سوراً حولها وحفر خندقاً حول المدينة للزيادة في تحصين المدينة .

٧- مصادر المياه: وتعدّ مسألة توفير مياه الشرب مَنْ اصعب المشاكل في البصرة وما زالت حتى يومَنْا هذا، فقد كانت المدينة تبعد حوالي (١٢) ميلا إلى الغرب مَنْ نهر شط العرب، وكان الماء مالحاً وقد ظلت صفة ماء البصرة بعد تأسيسها، فوصف ماؤها بانه ماء أُجاج. ولمحاولة التغلب على جزء مَنْ المشكلة حفر الأهالي بعض القنوات لجلب الماء مَنْ شط العرب وشط البصرة.

أدّت مدينة البصرة دوراً مهما جداً، في عالم التجارة والاقتصاد اذ كانت المَنْفذ الرئيسي لواردات العراق في العصر العباسي إلى الهند والصين بحراً والى بلاد فارس براً، فضلاً عن ذلك أدت دوراً حضارياً وثقافياً مهماً جداً هي وأختها المصر الثاني الكوفة، فمَنْذ تأسيسها سكنها الكثير مَنْ صحابة رسول الله (ص) ونشطوا في تعليم الفقه ورواية احاديث النبي (ص)، كذلك فقد خرّجّ الكثير مَنْ الادباء والشعراء والخطباء والفلاسفة والمؤرخين والنحاة والعلماء مَنْ امثال الجاحظ وخليفة بن خياط والمدائني وعمر بن شبه والحسن بن الهيثم عالم البصريات.

عزيزي الطالب . . عزيزتي الطالبة

ان يوم ٦ تموز من كل عام هو اليوم الوطني لمكافحة التصحر.



مسجد الكوفة

٢- الكوفة :

تأسست الكوفة في مدة زمَنْية متقاربة مع البصرة، فذكر إنها تأسست سنة ١٧ هـ/٦٣٨م. وقد سميت الكوفة لاستدارتها، وان كوفان يعني الرملة المستديرة، ويقصد بتعبير تكوّف الرمل أي تجمع بعضه فوق بعض، وقيل ان التسمية جاءت كما هو الحال في تسمية البصرة مَنْ صفات تربة المَنْطقة فهي تربة مزيجة مَنْ الطين والرمل وتسمى ارض مثل هذه بارض كوفة.

أتخذ العرب الكوفة إلى الغرب مَنْ نهر الفرات في مكان لا يبعد كثيراً عن مدينة الحيرة السيريانية العراقية عاصمة المَنْاذرة التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ العرب قبل الإسلام. وكان القائد سعد بن أبي وقاص هو المؤسس الاول للمدينة وهو مخططها بعد مدة قصيرة مَنْ انتصار العرب المسلمين في معركة القادسية، وكما هو الحال في مسألة اختيار مدينة البصرة وتمصيرها فان العوامل العسكرية هي التي دفعت القائد سعد إلى التفكير اولاً في اقامة موضع او مخيم للمقاتلين وعوائلهم المرافقة لهم، وقد طبق نفس الشروط تقريبا تلك التي أدت إلى اختيار موضع البصرة أي :

١- ان تكون على أتصال سهل ووثيق بمركز الخلافة لكي تصبح عملية وصول الإمدادات والاتصالات الأخرى مع مركز الخلافة سهلة وميسورة، ولايفصلها بحر او جبل عن المدينة المَنْورة .

٢- ان تكون قريبة مَنْ مصدر المياه.

٣- ان تتوافر فيها مواد البناء كالقصب لبناء البيوت والمؤسسات.

وكان العرب بعد معركة القادسية وعبورهم النهر باتجاه المدائن قد استقروا اولاً بالمدائن، لكن سرعان ما تركوها لعدم ملائمة مَنْاخ المدائن اذ كان وخماً وتكثر فيه الحشرات والبق والذباب والغبار، وقد تأذى العرب مَنْ كثرة البعوض وهم لم يعتادوا عليه في الصحراء والمَنْاطق الجافة، ولابد مَنْ القول بان مدينة الكوفة والحيرة كانت تحوي اناساً متمدنين وهم اهل العراق الاصليين، وقد استفاد العرب القادمين مَنْ شبة الجزيرة العربية كثيراً مَنْ ثقافاتهم ومهنهم المتنوعة وخبرتهم في الامور الاقتصادية والسياسية.

تخطيط المدينة:

لقد أستقر المقاتلون المسلمون اول الأمر في خيام وفساطيط ، ثم تحولت مادة البناء إلى القصب فشيد الناس مَنْازلهم مَنْ القصب وفي حوالي سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م وضعت اللبنات الاولى لخطط المدينة على وفق المميزات الآتية:

١- المسجد الجامع: وهو اول وحدة عمرانية بنيت في الكوفة ، وقد عين سعد بن ابي وقاص موضعه في وسط مخطط المدينة وكان مبنياً بناءاً بسيطاً مَنْ القصب الذي يتوافر كثيراً في أهوار (بطائح) الكوفة ، وقد استخدم الناس القصب ايضاً في بناء مَنْازلهم، ولم تستمر الحالة هذه الا مدة قصيرة، فعندما نشب حريق كبير في الكوفة سنة ١٧هـ احترق فيها ثمانون عريشا (بيتاً مصنوعاً مَنْ القصب)، عندئذ وافق الخليفة عمر بن الخطاب(رض) على اعادة بناء الوحدات المحروقة وغيرها بمادة اللبن والطين، فتغير بناء المسجد الجامع وبقية الوحدات العمرانية، وصار المحور الذي توزعت على اساسه المحلات السكنية.

٢- دار الامارة : وكان يقع حيال المسجد الجامع. وأتخذ هناك الديوان (بيت المال) والسجن. وكان دار الامارة في الكوفة يعرف بقصر الكوفة.

٣- الأسواق: في بداية التأسيس خصص صحن المدينة ليتضمَنْ المسجد ودار الامارة والأسواق ، وكانت الاسواق في هذه المرحلة التأسيسية غير محددة ولايضمها بناء ثابت بشكل موافق لفكرة أن ((الأسواق على سنة المساجد مَنْ سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم

مَنْه او يفرغ مَنْ بيعه))، لكن هذا لايمَنْع القول ان للكوفة سوقاً صار يعرف بالسوق القديم بقرب المسجد الجامع وهو السوق الرئيسة الوحيدة، وفي ولاية خالد بن عبد الله القسري انقسم السوق تبعاً لكل صنف مَنْ الباعة والمحلات وهو الذي بنى الحوانيت وسقفها بالآجر والجص.

٤- سور المدينة : كانت مدينة الكوفة، كما هو الحال في مدينة البصرة، خالية مَنْ السور عندما تأسست، وذلك لانها كانت في تبدل وتوسع، فضلاً عن انعدام الحاجة إلى السور باعتبارها مدينة هجومية، يعني كانت مَنْ الامصار التي تشرف على جبهة عسكرية واسعة. والواقع ان مخططها ابا الهياج الأسدي قد حفر خندقاً لكن هذا الخندق كان حول الصحن لاحول المدينة لأنه اراد ان يمَنْع أي تجاوزات قد تحدث مَنْ القبائل في امتداد مساكنهم وتجاوزها على المسجد الجامع.

ويرجع الفضل في بناء سورها إلى ابي جعفر المَنْصور، فيذكر إنه حفر خندقاً حول المدينة ثم بنى لها السور وكانت نفقات السور والخندق قد أخذت مَنْ الاهالي، (اهالي الكوفة) وقيل انه فرض اول مرة خمسة دراهم على كل فرد، ولما علم باحصائية سكانها امر بجباية اربعين درهما على كل فرد، وعندما جمعت الاموال امر ببناء السور ثم حفر حوله الخندق، وكان السبب السياسي والعسكري هو الذي دفعه إلى أتخاذ السور والخندق بعد ثورة ابراهيم المحض اخو محمد ذو النفس الزكية، في البصرة سنة ١٤٥ هـ/٧٦٢م .

وكما هو الحال في مدينة البصرة فان الكوفة أدّت دوراً مهما في التاريخ العربي الإسلامي، اذ اسهمت خلال العصور المبكرة في الجوانب الحضارية والثقافية، هناك مدرستان للنحو احداهما في البصرة والآخرى في الكوفة وهما يمثلان ابرز المدارس النحوية في العالم الإسلامي، وظلتا كذلك حتى مدة متأخرة، كما أنجبت مدينة الكوفة مَنْ العلماء والمحدثين والفقهاء وقراء القرآن الكريم والمفسرين والوعاظ والادباء والشعراء. فضلاً عن ذلك فانها تمتلك ارثاً تاريخياً ادارياً، فهي اول عاصمة في العراق للخلافة الإسلامية الراشدة ايام خلافة الامام علي بن ابي طالب (ع) وكانت ثاني عاصمة بعد المدينة المَنْورة (يثرب)، وقد ضاعف هذا الموقف مَنْ أهميتها في الاحداث السياسية التي شهدها المجتمع العربي الاسلامي خلال القرن الاول للهجرة / السابع للميلاد، وقد بلغت أوج

ازدهارها خلال العصر العباسي الاول، والفارق الرئيس بين احوال مدينة البصرة التي توسعت اهميتها وازدهرت احوالها في العصر العباسي بسبب موقعها الجغرافي والتجاري على رأس الخليج، بينما لم تنتفع الكوفة مَنْ موقعها الجغرافي في المواصلات النهرية وذلك لأن أهوار (بطائح) الكوفة كانت صعبة امام النقل النهري، فظلت المدينة بعيدة عن طرق المواصلات ما عدا الطريق البري وطريق الحجاج الذي يأتي مَنْ الشرق باتجاه الكوفة ثم إلى مكة المكرمة والمدينة المَنْورة.

ويُعد هذا العامل فضلاً عن عوامل آخرى سياسية وتعرضها إلى هجمات القبائل ادى كل ذلك إلى خرابها في زمَنْ رحلة بن جبير في القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد. وأخذت مدينة الحلة التي تأسست سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م مكانتها في الاهمية الاقتصادية والتجارية.

٣- الموصل:

ان أول مَنْ اختط الموصل ومصرها هو هرثمة بن عرفجة واسكنها العرب، وبعد ان اختطه وطّن العرب المقاتلين الذين كانوا معه، ثم اعقبت هذه المرحلة مرحلة التحضر أي تحول الموضع إلى مصر او إلى مدينة (معسكر) ، ويقال ان مروان بن محمد الخليفة الاموي هو اول مَنْ عظّم الموصل والحقها بالأمصار العظام.

واصل كلمة موصل عربي يرجع إلى كلمة الوصل باعتبار انها موضع وصل بين مَنْطقة وأخرى، أي بين الجزيرة الفراتية والشام، او انها وصلت بين دجلة والفرات او وصلت بين الجزيرة والعراق.

بدأ فتح الموصل سنة ١٢هـ أو ١٣ هـ/ ٦٣٤م ، ويقال ان عياض بن غنم هو الذي فتح الموصل، والمعلومات المتفرقة تحدثنا ان قبائل إياد والنمر والشهارجة وهم مَنْ سكان ديار ربيعة وديار مضر سكنوا الموصل اولا.

وحصلت مدينة الموصل وما جاورها على عناية واهتمام الخلفاء الراشدين (رض) ومَنْ بعدهم الامويين، فعينوا عليها الولاة الذين قاموا باعمال عمرانية مهمة، وبدأ سكانها بالنمو باضطراد نتيجة إلى توافد القبائل العربية الإسلامية مَنْ الامصار البصرة والكوفة مَنْ أمثال

قبائل الازد وتميم وتغلب وطيئ وكندة وعبد القيس وغيرهم.

والخطة الاولى التي بناها القائد عرفجة هي المسجد الجامع ودار الامارة ثم وزع خطط الناس على حسب قبائلهم، وبدأ الولاة يحفرون الانهار لجلب الماء إلى وسط المدينة.

وابتنى الوالي سعيد بن عبد الملك سوراً للمدينة، ونظمت شوارعها وسككها وفرشت بالحجارة، ثم قام الخليفة العباسي المهدي بتوسيع المسجد الجامع والحق به الأسواق المحيطة فصار مسجداً واسعاً.



جامع النبي يونس (عليه السلام)

وفي مدة لاحقة زمَنْ الامارة الحمدانية توسعت مدينة الموصل فقد زرع بنو حمدان الاشجار وشجعوا الناس على زراعتها فكثرت الاشجار، لاسيما اشجار الفواكه كالكروم وغرست النخيل وزرعت انواع مختلفة مَنْ الخضروات ، وتزايدت أهمية الموصل الاقتصادية وذلك بتعدد أسواقها وصناعاتها التي كانت تصدر إلى بغداد وغيرها.

ولم يقتصر دور الموصل على المجال التجاري والصناعي بل اسهمت المدينة في الجوانب الحضارية والفكرية وقد ساعد وجود أديرة المسيحيين السريان والمدارس والمكتبات على تخريج الكثير مَنْ الادباء والمؤرخين والعلماء والمترجمين مَنْ السريانية إلى اللغة العربية وعلماء تراجم الرجال، وساعد هؤلاء جميعاً في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.

٤- الفسطاط:

معنى كلمة فسطاط، (الخيمة)، او ضربا مَنْ الأبنية او أي مجتمع يتجمع حول المسجد الجامع فيقال لأهله اهل الفسطاط ، تم فتح الفسطاط في سنة ٢٠هـ/٦٤٠م وقيل سنة ٢١هـ/٦٤١م في مصر وكان الجيش الذي توجه لفتحها بقيادة عمرو بن العاص بأمر مَنْ الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، بعد الانتهاء مَنْ فتوحات الشام، وكان عدد افراد القوة العسكرية التي قادها عمرو بن العاص ٣٥٠٠ ثلاثة الاف وخمسمائة مقاتل، وبعد مدة قصيرة وصلت امدادات جديدة يقدر حجمها بعشرة الاف او اثني عشر الفا برفقة بعض صحابة رسول الله (ص) كالزبير بن العوام وابي ذر الغفاري وعبادة بن صامت والمقداد ابن الاسود ، وكان القبط هم سكان الفسطاط والاسكندرية.

واول ما اتخذ عمرو بن العاص في هذه المَنْطقة قبل ان يعبر نهر النيل نحو الاسكندرية خيمة مَنْ الشعر، وكان المسلمون يحاصرون حصناً هو حصن قصر الشمع ، وبعد نجاحهم في فتح الحصن توجهوا لفتح الاسكندرية، فلما انتهت عملية فتح الاسكندرية وكانت مدينة ضخمة تحتوي على مكتبة ضخمة لم يرغب عمرو في سكناها فرجع ثانية الى الخيمة (الفسطاط) ، وذلك موافقة للشروط التي حددها المسلمون في تأسيس المدينة وهي:

١- ان تكون على طرف البر.

٢- ان لايفصلها نهر او جبل.

٣- ان تكون قريبة مَنْ مورد للمياه وهنا نهر النيل.

خطط الفسطاط:

١- المسجد الجامع: وكان اول بناء اتخذه عمرو بن العاص المسجد الجامع سنة ٢١هـ/ ٦٤١م وكانت المَنْطقة التي بني فيها المسجد محاطة بالحدائق والأعناب، وشهد المسجد الذي صار يعرف بمسجد عمرو بن العاص وفي المدة المتأخرة وعندما تأسست القاهرة صار يسمى بالجامع العتيق.

٢- دار الامير: وسميت بدار عمرو بن العاص او الدار الصغرى وكانت بقرب المسجد الذي كان له عند ذاك بابان يقابلان باب دار عمرو، ونتيجة الى قيام الولاة بتعمير المسجد

او اعادة بنائه فقد تعرضت دار الامارة الى تغييرات، اذ توسع المسجد على حساب دار الامارة وانتهى دورها سنة ٩٢هـ/٧١٠م وصار الولاة يتخذون دورهم الخاصة بهم.

٣- اما خطط مَنْازل الناس، فان عمراً في البداية عين جماعة مَنْ اصحابه ممَنْ لهم معرفة بالأنساب العربية، فوزع المحلات والخطط توزيعاً قبلياً، وتقدر هذه الخطط بعشرين خطة ولم يأخذ المخططون لهذه المحلات بفكرة الأرباع او الأخماس انما محلات لكل قبيلة مَنْ القبائل المشاركة.

٤- ووزعت الشوارع والسكك دون قياسات فتعبير الزقاق في مصر يختلف عما هو في البصرة والكوفة فهو اوسع مَنْ سبعة اذرع .

٥- أسواق الفسطاط: وقد أشتهرت الفسطاط بكثرة أسواقها الجيدة وكثرة الحوانيت والبضائع، ثم تعددت أسواق الفسطاط لكي تصبح في كل محلة مَنْ محلات القبائل تحتوي على سوق صغيرة.



جامع عمرو بن العاص



جامع القيروان

٥- القيروان:

والقيروان في اللغة تعني جمعاً مَنْ الخيل وقيل ايضاً انها تعني الكتيبة في الجيش فالكتيبة هي القيروان، وفي تفسير آخر ان القيروان هي القافلة، فيقال (قافلة قيروان) وجميع هذه التفسيرات تشير الى ان الكلمة عربية، مع العلم ان هناك رأياً يقول ان اصل الكلمة اجنبي فهي كاروان باللغة الفارسية وتعني القافلة.

تأسست القيروان في عصر الامويين سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م واسسها القائد عقبة بن نافع عندما افتتح افريقيا، فبعد أن حقق الانتصار فكر في أن يتخذ مستقراً للجيش يسكن فيه مع مَنْ كان يرافقه مَنْ اجل الاعتصام به خوفاً مَنْ أي رد فعل عسكري يقوم به الروم او البربر، ورأى في موقع القيروان الذي اختاره إنه بعيد عن ساحل البحر وبذلك يتجنب أي محاولة عسكرية تقوم بها أساطيل الروم.

وبعد اتخاذ القيروان معسكراً أخذت تخطو خطوات سريعة نحو الإعمار وتكاثر السكان (ففي مدة خمس سنوات مَنْ سنة ٥٠-٥٥هـ/ ٦٧٠-٦٧٥م (توسعت اراضي المدينة).

خطط القيروان:

١- المسجد الجامع: وقد خطّه عقبة بن نافع في وسط الموضع الذي عينه للمدينة وجعل الى جنبه دار الامارة، وقد تعرض المسجد الى عمليات اعادة اصلاح وترميم واضافات جديدة، اهمها زمَنْ دولة الأغالبة الذين بنوا للمسجد عشرة ابواب ومقصورة خاصة للنساء. وقد وصف المسجد بانه كان كبير المساحة عظيم البناء، كان يحتوي على أعمدة رخامية بيضاء، وكان مفروشاً وكان موقعه بين الاسواق.

٢- داراً الامارة: وقد اختط عقبة داراً له بالقرب مَنْ المسجد الجامع بالجانب القبلي مَنْه، وبناه مَنْ اللبن.

٣- خطط الاهالي: لعل عقبة وزع المقاتلين الذين كانوا يرافقونه على محلات كل محلة باسم قبيلة مَنْ القبائل، وكانوا هؤلاء مَنْ قبائل شتى مَنْ قريش وربيعة وقحطان ، وهناك خطط للبربر.

٤- الأسواق: تتفق المعلومات ان المسجد كان في وسط الأسواق وذلك لان أبوابه العشرة كانت تحمل اسماءاً قبلية ، وكانت هذه السوق موزعة حسب البضائع والمهن فهناك سوق الصباغين وسوق التمارين، وكانت أسواق القيروان حافلة بالبضائع والتجارات والصنائع.

٥- السكك والدروب: كان للمدينة بعد التأسيس خمسة عشر درباً، وكانت دروبها واسعة. واعتماداً على اسمائها فان بعضها كان يحمل اسماء قبلية وبعضها شخصية.

٦- السور: تأسس سور القيروان زمَنْ عقبة بن نافع، وكان يقصد مَنْه ان يكون بمثابة الرصد لتحركات قبائل البربر مَنْ جهة جبال أوراس وتحركات البيزنطيين مَنْ جهة البحر، وكان السور مبنياً مَنْ الطوب (أي اللبن)، وله أبواب، وقد هدمه الاغالبة ثم اعيد بناؤه ثانية بناه المعزّ بن باديس الصنهاجي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م.

أجتذبت مدينة القيروان بعد تأسيسها الناس مَنْ مختلف الأجناس والطوائف مَنْ العرب والفرس والروم والبربر، وتحول المسجد الجامع فيها الى مدرسة فكرية التقت فيه الافكار والاراء الفقهية والأدبية والفلسفية، فانتجت المدينة الكثير مَنْ العلماء والادباء والفقهاء.

الجزء الثاني

ثانياً: المدن مَنْ غير الأمصار:

وكما قلنا ان الامصار هي المدن التي أسسها الفاتحون العرب المسلمون اثناء الفتوحات الإسلامية، فهذه المدن، الامصار، عربية أسلامية في نشأتها وفلسفة تخطيطها، لكن الى جانب هذه الامصار، هناك مدن آخرى لاتدخل ضمَنْ قائمة الامصار، وانما بنيت مَنْ قبل مؤسسين او دول لتكون بمثابة عواصم لدولهم، وهناك نوع آخر مَنْ المدن التي سميناها المدن القديمة التي كانت موجودة قبل ظهور الإسلام، وسوف نتحدث عن نماذج مَنْ هذه **المدن:**

١- واسط:

أسس واسط الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٨هـ او ٨٢هـ/ ٦٨٧ أو ٦٩٩م لأن تكون معسكراً او مخيماً لجنده انما لتكون وسطاً بين البصرة والكوفة، وتكون مدينته الخاصة، فهي يمكن وصفها بانها مدينة الامير او مَنْ مدن الامراء، وهو نوع مَنْ انواع المدن التي ترتبط حياة بقائها بحياة المؤسس الذي بناها، حقيقة ان مدينة الحجاج لم تتدهور تماماً بعد موت مؤسسها، الا أنها فقدت مَنْ اهميتها الادارية والمركزية.

لم يكن الحجاج الثقفي راغباً في ان يتخذ البصرة او الكوفة معسكراً لجيشة، ولذلك فانه اختار مدينة واسط لتحل محل هذين المصرين، ولكنه أشترط في اختيار المدينة عدة شروط هي:

١- ان يكون الموضع الملائم له – أي في ارض مرتفعة .

٢- ان يكون غير موبوء أي لاتكثر فيه الحشرات والذباب والبعوض .

٣- ان يكون واقعاً على نهر جار.

٤- وأن يكون قريبا مَنْ البصرة والكوفة.

فالمدينة لم تنته ولم تتدهور بعد وفاة الحجاج، وذلك لان العباسيين اتخذوا بغداد عاصمة وهي تقع على نهر دجلة، وكانت واسط تقع على هذا النهر وتمتعت بمواصلات سهلة بين بغداد والبصرة ومياه الخليج العربي، وقد انعش هذا الطريق التجاري النهري مدينة واسط وساعد على بقائها وازدهارها.

خطط المدينة:

بعد ان حدّد الحجاج موقع مدينته كتب الى عبد الملك بن مروان شارحاً له العوامل التي دفعته الى تأسيس مدينة جديدة طالباً مَنْه الموافقة على اجراءاته في بنائها، وبعد الموافقة اشترى ارضها بعشرة الاف درهم ووضع مخططها.

١- المسجد الجامع:

لم يكترث الحجاج بان يؤسس المسجد الجامع اولاً كما هو الحال في الامصار الأسلامية، انما بدأ ببناء قصره وجعل له اربعة ابواب وبنى عليه القبة، ثم بنى الى جواره المسجد الجامع، كان قصر الحجاج والمسجد في وسط المدينة.

٢- دار الامارة:

ويدعى في واسط بقصر الحجاج وكان يقع الى الجهة القبلية مَنْ المسجد، وقد حظي قصر الحجاج باهتمامه، ولهذا بعد ان اكمل بناء المدينة، وقد انفق على قصره وعلى الجامع والخندق والسور نحو ثلاثة واربعين مليون درهم، او مايعادل خراج السواد (العراق) كله لمدة خمس سنوات، وأسس السوق الى قرب القصر، ثم بنى السجن في الجانب الغربي مَنْ القصر وكان يسمى الديماس، وقبة القصر كانت مرتفعة وتقع وسط القصر وكانت تسمى بالقبة الخضراء.

٣- خطط الاهالي:

لم يتبع الحجاج في توزيعه محلات واسط على النظام القبلي فهناك محلات تحمل اسماءاً قبلية كمحلة الخزاعيين والمهالبة والاخرى لاتحمل اسماءاً قبلية.

٤- الاسواق:

كان سوق واسط الرئيس يقع الى جوار المسجد الجامع والقصر، فضلاً عن وجود أسواق فرعية تتفرع مَنْ هذا السوق المركزي، وكانت الأسواق مَنْظمة تنظيماً جيداً وموزعة حسب الحرف والمهن والبضائع كسوق الطعام او سوق الصيارفة او سوق العطارين.

السور والخندق:

كان هدف الحجاج مَنْ بنائه مدينة واسط عزل جنده مَنْ أهل الشام مَنْ ان يختلطوا باهالي الكوفة او البصرة او باهالي السواد، الذين كانوا يسمون بالنبط (وهم سكان العراق الاصليين)، لذلك فانه بدأ ببناء سور المدينة وخندقها ضمَنْ المجموعة العمرانية الاولى التي ابتدأ بعمارتها أي القصر والمسجد والسوق والسور والخندق، وكان السور الخارجي لمدينة واسط يحتوي على حوالي ستة ابواب وكان هذا السور يطوق المدينة حتى نهر دجلة ويعزلها تماماً عن المَناطق المجاورة لها مَنْ الجانب الغربي بينما يعزل نهر دجلة المدينة مَنْ الجانب الشرقي، وزيادة في عزلها حفر خندقاً خارج السور، ولم يدم السور طويلاً بعد موت الحجاج، ولم يهتم الولاة بعده باعادة ترميمه او تقويته فخرب نهائياً.

كذلك فان مدينة واسط قد خرجت الكثير مَنْ الادباء والشعراء والمؤرخين والفقهاء الذين اسهموا بفعالية في دعم الحضارة العربية الإسلامية.

٢- بغداد/ المدينة المدورة:

أسس أبو جعفر المَنْصور ثاني الخلفاء العباسيين مدينة بغداد المدورة المعروفة بالمدينة المدورة او مدينة المَنْصور او مدينة السلام او مدينة الزوراء، وبقي اسمها العراقي (بغداد) صامداً الى هذا اليوم رغم محاولات تغيير اسمها الاصلي (بغداد) الى مدينة المَنْصور او مدينة السلام وغيرها.

وكان الموضع الذي بنيت عليه بغداد قديم جداً، اذ كان هناك قرية تعرف بغداد كانت عبارة عن سوق تجارية مَنْذ المدة الساسانية تنصب هذه السوق كل سنة مرة واحدة وكانت سوقاً عظيمة، يأتيها التجار مَنْ الصين إذ يعرضون البضائع الصينية، وكانت موزعة لجماعة مَنْ البغداديين وتعرف بالمباركية يسكنها حوالي (٦٠) ستين مسيحياً ولهم دير ومزرعة.

تسميتها:

والأصل اللغوي لكلمة بغداد فيه عدة معانٍ ترتبط بتاريخ المدينة قديماً، فهناك في اللغة

البابلية كلمة (بعل ـ جاد) وتعني معسكر الالهة وجاءت الكلمة بالكلدانية مَنْ اصل كلمة (بل ـ داد) وهو اسم إله مَنْ الالهة الكلدانية، وقيل إن اصلها في اللغة الآرامية ويقصد بيت الغنم وقيل إن اسمها فارسي الأصل مَنْ كلمتين (بغ) الحديقة والبستان و(داد) مَنْ فعل دادن يعطي ، فهي عطية البستان او عطية الصنم (بغ) ، والتسمية المفضلة عند المَنْصور مدينة السلام، لأن السلام هو الله (جلّ وعلى) فتكون مدينة الله، اما بالنسبة الى الزوراء فقيل ان المَنْصور كالحجاج الثقفي بنى اولاً قصره ثم المسجد الجامع فحدث عند بناء المسجد الجامع قليلا مَنْ الإزورار في قبلته فسميت لذلك الزوراء.

ابتدأ المَنْصور في عمليات البناء سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م وبعد ست سنوات أي في سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م انتهى العمل مَنْ بناء مجموعة القصر والمسجد الجامع فنقلت الدواوين وبيت المال، وبقيت المدينة على هذا الشكل الناقص مدة ثلاث سنوات وفي سنة ١٤٩هـ / ٧٦١م تم بناء السورين وحفر الخندق، وتوقف العمل مؤقتاً سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م بسبب اندلاع ثورة محمد ذو النفس الزكية في المدينة المَنْورة وثورة اخيه ابراهيم في مدينة البصرة، وعندما انتهى المَنْصور مَنْ هاتين الثورتين عاد الى اكمال بناء المدينة.



المدينة المدورة (بغداد)

مميزات مدينة بغداد:

١- اتخذت المدينة شكلا دائرياً ولذلك سميت المدينة المدورة واحيطت بسور داخلي ثم يعقب هذا السور الداخلي فسحة ثم احيطت بسور ثانٍ وبعد ذلك احيطت بخندق عميق ويقال ان المَنْصور صممها على أن تكون دائرية وهي اول مدينة عربية أسلامية تبنى بهذا الشكل.

٢- ابتنى المَنْصور القصر اولا وبنى بعد القصر المسجد الجامع وكان ملاصقاً للقصر فحدث نتيجة لهذا الاجراء خطأ أي ازورار قليل في قبلة المسجد.

٣- لم يكترث المَنْصور بالشروط التي طبقها المسلمون المقاتلون في تأسيس الامصار وهي ان يكون الموضع على طرف البر وان لايفصله نهر او جبل ، لكنه اعطى اهمية كبيرة الى :

أ- الموقع الاقتصادي.

ب - الموقع الاستراتيجي الدفاعي فجعلها محصنة تحصيناً شديداً.

جـ - ضرورة توفر المياه العذبة والمَناْخ الملائم.

٤- كانت المدينة المدورة صغيرة، ولم يكرر توزيع المحلات على حسب القبائل العربية، كما انه لم يرغب ان يجعلها مفتوحة تستقبل الوافدين اليها باستمرار.

خطط المدينة:

بعد ان رسمت المدينة على الأرض اختار المَنْصور ان يرسم مخططها بالرماد ثم وضعت حبات مَنْ القطن ثم صبّ عليها الزيت ثم اشعلها ليراها وهي مجسمة، وبعد ان أستقر رأيه عليها جمع العمال والبنائين والفنانين مَنْ مختلف المدن والبلدان الإسلامية . وجعل للمدينة اربعة ابواب وسماها مَنْ الشمال الشرقي باب خراسان والشمال الغربي باب الشام ومَنْ الجنوب الشرقي باب البصرة ومَنْ الجنوب الغربي باب الكوفة، فكان كل باب يشير الى جهة جغرافية مَنْ جهات العالم الإسلامي وهي تمثل جهات الخلافة العباسية.

المواطن الذي يمتلك صفات المواطنة هو :
الذي يقدم المسؤولية والواجب على النفع والمصلحة الخاصة .



باب الوسطاني

وبلغت تكاليف بناء المدينة حوالي ثماني عشر (١٨) مليون دينار وهيأ المَنْصور جميع المواد الانشائية التي يحتاجها البناء مَنْ خشب الساج وانواع آخرى، وجلب لها الابواب، مَنْ باب مدينة الحجاج وباب مَنْ الشام وباب مَنْ الكوفة، وعيّن جماعة مَنْ الفنيين ممَنْ لهم دراية وفضل بالفقه والامانة والعدالة ومعرفة بالأمور الهندسية فجعلهم مشرفين على عمليات البناء.

القصر:

خرج المَنْصور(وقبله فعلها الحجاج الثقفي) عن القاعدة في بناء القصر أي انه بدأ البناء في قصره قبل بناء المسجد الجامع. وجعله قصراً كبيراً وأبتنى فوقه قبة سميت بالقبة الخضراء وجعلها فوق أيوان كبير يقع في صدر القصر، ونصب على رأس القبة تمثال على هيأة فارس يحمل بيده رمح، وظلت هذه القبة الى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م اذ سقطت بسبب هطول امطار غزيرة، وكان قصره في وسط المدينة وجعل كل باب مَنْ أبواب المدينة الأربعة يواجه هذا القصر ويقابله، وأطلق عليه أسم قصر الذهب، وتعرض قصر الذهب هذا الى اعادة تعمير واضافات.

الشفافية وسيلة حضارية ومدنية واعتمادها وتطبيقها في كافة مرافق الدولة يدل على الدولة الديمقراطية والحكم الصالح فيها .

المسجد الجامع:

وبعد ان اكمل بناء قصره، قصر الذهب، بنى المسجد وجعله ملاصقاً للقصر. وقد بناه مَنْ اللبن والطين، وجعل اساطينه أي اعمدته مَنْ الخشب، وكانت مساحته اصغر مَنْ مساحة القصر، ولذلك ضاق على المصلين، فكانوا يصلون في سقيفة خارج المسجد كانت خاصة بالشرطة والحرس، ولذلك فقد شهد المسجد عدة تغيرات في البناء والتوسيع.

أسواق المدينة:

صمم المَنْصور بأن تكون اسواق المدينة بعيدة عن مجموعة قصره والجامع، ووزعت على أربعة اقسام بجانب أبواب المدينة وبنى أبواب عالية مخصصة للأسواق، فكانت اربع مجاميع مَنْ الأسواق كل مجموعة خصص لها (٥٣) ثلاثة وخمسين طاقاً، واحتوت هذه الطاقات على مَنْافذ في السقوف لدخول اشعة الشمس، وقد ادى وجود هذه الأسواق الى توافد الناس وتزاحمهم وتزايد سكان المدينة ، الأمر الذي دفع هذا التطور المَنْصور الى آخراج الأسواق مَنْ مدينته في سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م الى محلة الكرخ، وبذلك خلّص المدينة مَنْ تزاحم الناس والأسواق، في نفس الوقت أخذت الكرخ تنمو نمواً سريعاً، ومهماً يكن فقد كانت أسواق المدينة موزعة بحسب المهن والتجارات فهناك سوق اصحاب الصابون وهناك سوق باعة الأشنان (المَنْظفات) وسوق للبزازين وسوق للطعام وسوق للدواب وسوق للعلافين.

خطط الاهالي:

كانت المدينة المدورة صغيرة الحجم، وان التحصينات الكثيرة مَنْ الاسوار والخندق والطاقات لم تسمح للمدينة بالتوسع سكانياً وعمرانياً، ويبدو ان الخليفة اراد مَنْ المدينة ان تكون له شخصياً ولجنده، لذلك لم يستند في توزيع المحلات والخطط على أساس قبلي، انما وزع ما وراء قصره الى اقطاعات وسكك وأرباض ووزعها توزيعاً عائلياً ضمَنْ عسكره فمثلاً اقطاع القحاطبة وهي نسبة ترجع الى ابي الحسن بن قحطبة احد القادة في الثورة العباسية، وهناك اقطاع الخوارزمية والأسم يشير الى مجموعة مَنْ الجند مَنْ خوارزم كذلك الحال بالنسبة الى توزيع السكك، اذ وزعت على بعض الاشخاص الوجهاء في الدولة العباسية، وهناك ارباض باسماء شخصيات ايضاً وآخرى باسماء تجمعات عنصرية كربض الفرس وربض البخارية (مَنْ بخارى) وهكذا .

اسوار المدينة:

احاط المَنْصور مدينته بسورين ثم حفر حول السور الخارجي خندقاً وكان السور الأول مدوراً يحيط بالمدينة وله أربعة أبواب. وكان سوراً متين البناء مبنياً باللبن، وكان خالياً مَنْ الأبراج وهو يمثل الخط الدفاعي الأول، اما السور الثاني الذي يلي السور الخارجي فكان يسمى السور الداخلي او السور الاعظم، ويمثل خط الدفاعي الثاني، فكان أعلى مَنْ الأول ويحتوي على أبراج عالية يصل ارتفاع بعضها الى حوالي ثلاثة أمتار، وكان مجموع ما يحويه هذا السور مَنْ الأبراج حوالي (١١٣) برجاً.



مرقد الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان (رضي الله عنه)

الرصافة:

وتأسيس الرصافة هي الأخرى مَنْ الحلول التي اراد مَنْها المَنْصور معالجة المشاكل التي أخذت المدينة المدورة تواجهها، وقد جاء في التاريخ ان المهدي بن الخليفة المَنْصور قد أتخذ الرصافة قبل تأسيسها فأنه بنى فيها جامع الرصافة سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م ، أي قبل ان يبني والده بغداد، ولكن هذا الجامع لايعني انه توسع في البناء بصورة اكثر مَنْ ذلك. والواقع ان البدء في مشروع أعمار الرصافة يرجع الى سنة ١٥١هـ/٨٦٨م عندما اشار المَنْصور الى ابنه المهدي على أثر عودته مع جيشه مَنْ فتوح الري في شمال ايران، فقبل ان يدخل مدينة السلام وجهه والده بان يعسكر هو وجيشه في الرصافة، ولعل العوامل

السياسية هي التي دفعت بالمَنْصور الى أن يتخذ قرار بناء الرصافة ومَنْ بعدها الكرخ.

امر المَنْصور ابنه ان يبدأ ببناء الدور وان يوطّن جنده في الرصافة ويجعلها معسكراً. وقد أتبع المهدي نفس اجراءات بناء مدينة بغداد ووحداتها العمرانية، فأسس الميدان والسور والخندق. وكما لاحظنا ان السور والخندق يعدّان مَنْ أهم الوحدات العمرانية بالنسبة الى المعسكر، وهو ايضا قد بنى لنفسه قصراً يسمى قصر المهدي، وكان موقعه يقابل الكرخ، ثم حفر نهراً مَنْ دجلة لتزويد المعسكر بالمياه وسمي هذا النهر بنهر المهدي، ويقال ان نهر المهدي كان يأخذ ماءه مَنْ نهر النهروان.

وامتدت عملية الإعمار في الرصافة ثلاث سنوات مَنْ ١٥١هـ/ ٧٦٨م الى ١٥٤هـ/ ٧٧٠م. وظلت بعض الوحدات لم يكتمل بناؤها حتى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م وقيل ان المسجد الجامع في الرصافة اكتمل بناؤه سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م وكان يربط الرصافة بالمدينة المدورة جسر، ثم بني جسر آخر، وقدرت مساحة الرصافة على أنها على قدر مساو مع مدينة المَنْصور.

والفارق بين تأسيس الرصافة وتأسيس الكرخ، ان الرصافة كانت مهمة كمعسكر بينما الكرخ قد بنيت لتكون اسواقاً، وأخذت الرصافة تجتذب الأمراء والعامة وتزايد حجم سكانها واتسعت حركة البناء فيها فبنيت القصور وانشأت الأسواق ولذلك انتعشت فيها الحركة التجارية. وفيما بعد انتقل اليها كرسي الخلافة فصارت هي العاصمة.

ولما كانت الرصافة على عكس بغداد المدورة فهي أرض واسعة تتحمل الوافدين اليها، لذلك وصفت بانها تحتوي على أربعة الاف درب وسكة وعلى حوالي خمسة عشر الف جامع وخمسة الاف حمام، وهذه طبعاً أرقام مبالغ بها لكنها توضح ما كانت عليه الرصافة مَنْ توسع وأزدهار ومَنْ تزايد سكانها، ولكن مَنْ الممكن القول ان الرصافة بعد التوسع صارت تحتوي على ثلاثة مساجد جامعة وهي جامع الخليفة وجامع السلطان وجامع الرصافة، كذلك حفلت الرصافة بوجود المدارس والحمامات والقصور، كالمدُرّسة النظامية التي كانت تقع في وسط سوق الثلاثاء المشهور، وهي مَنْ المدارس العجيبة، بينما تقع في الرصافة المدُرّسة المستنصرية وهي مدرسة كبيرة كانت تدرس المذاهب الإسلامية وكانت تضم حماماً للطلبة وغرف سكنى لهم وتوفر ادارتها مايحتاجه الطلبة مَنْ سكن وملبس وطعام.



جامع الخلفاء

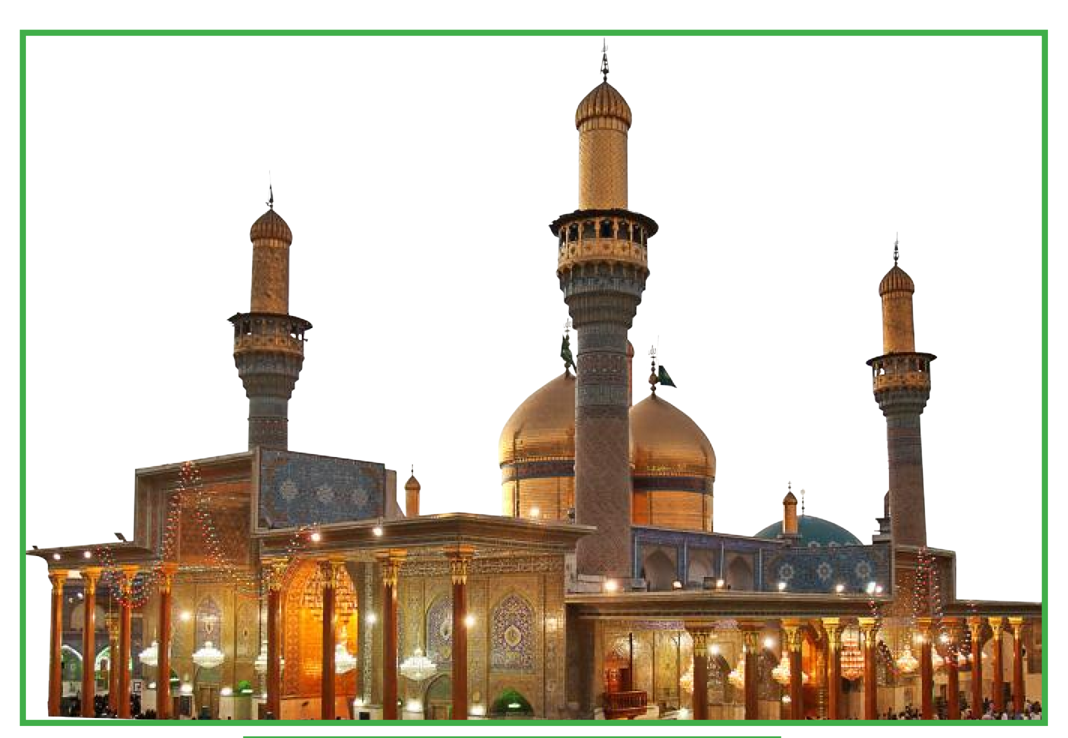
خطط الرصافة:

كما ذكرنا فان المهدي بدأ بتأسيس القصر اولاً، ثم بنى المسجد الجامع ووصف بانه كان كبيراً، وجعله مجاوراً لقصره، وتعرض المسجد الى عدة عمليات أعمار وتوسيع على مرور الزمَنْ.

الاسواق:

اما اسواق الرصافة فاصبحت مَنْذ تأسيسها كثيرة فهناك أسواق كبيرة وآخرى صغيرة وتسمى سويقة ومَنْ بين اهم الأسواق، سوق الثلاثاء وكان سوقاً قديمة موجودة في الموضع قبل تأسيس الرصافة، والسوق تبدأ مَنْ الطرف الشرقي للجسر الاسفل (ربما مَنْ الميدان أسواق الهرج الآن) ويمتد بمحاذاة الشارع الذي يتجه الى باب الطاق، وتحول السوق نتيجة لهذه السعة الى محلة مشهورة سكنها الناس ، وكان يشتمل على العديد مَنْ الأسواق الفرعية بحسب المهن والبضائع التي أختص كل مَنْها بمهنة او حرفة او صناعة.

كذلك أحتوت المدينة على عدد كبير جداً مَنْ الدروب والسكك والأزقة الضيقة، وقد قسمت الرصافة الى قطائع كما هو الحال في المدينة المدورة وكانت هذه القطائع مهمة اقتصادياً واجتماعياً.



مرقد الأمامين الكاظميين (عليهما السلام)

الكرخ:

بعد عقد مَنْ الزمَنْ اتضح للمَنْصور ان مدينته أخذت تواجه مشكلة حضرية خطيرة، الا وهي زحمة السكان، ومشاكل اصحاب الاسواق، ونقص المياه وغيرها، ناهيك عن ظهور صعوبة التعامل مع الجنود. فالمدينة كانت مدينة جنود المَنْصور وقواده ولذلك تأزم الموقف مع اهاليها، وقد أسرع المَنْصور الى تلافي هذه المشاكل فآخرج الاسواق مَنْ المدينة المدورة الى مَنْطقة الكرخ سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م ، وكان الكرخ بالفعل يقوم بوظيفة السوق قبل ان يقرر المَنْصور بالأنتقال، فامر الخليفة ان تبنى الأسواق والمحلات وشجع الناس واصحاب المهن على الأنتقال الى الكرخ. وكذلك ومَنْ أجل التسريع في عملية الأنتقال فانه ملّكهم مَنْ ينتقل مَنْ الناس الاراضي خارج السور الخارجي والخندق، فضلاً عن انه بنى لنفسه قصراً على شاطئ دجلة سماه قصر الخلد .

والكرخ لغة هي مَنْ اصل نبطي، عراقي، فكرخّت الماء يعني جمعه، وهي في اللغة

الارامية يعني الحصن، وكان الكرخ قبل نقل الأسواق مأهولاً بالناس على أعتبار كونه سوقاً تجارية، وقد قام المَنْصور باتخاذ الترتيبات اللازمة في الكرخ، فقام بعدة اجراءات:

١- توزيع الأسواق والبيوت على الناس الذين انتقلوا فعلاً فوزعها عليهم مجاناً. وأتخذ اجراءاً مماثلاً مع اصحاب التجارات والمهن بان خفض عليهم الضريبة.

٢- قام ببناء مسجد جامع في الكرخ لاقامة صلاة الجمعة وهو اجراء هدفه عزل الكرخ واهله مَنْ ان يدخلوا المدينة المدورة ايام الجمع للصلاة.

٣- قام ببناء الأسواق بشكل مَنْظم ووزعها حسب المهن والتجارات والاصناف.

٤- بنى المَنْصور قصرين احدهما يعرف بقصر وضاح ثم بنى قصر الخلد بعد حوالي الشهرين مَنْ بناء الأسواق.

وبينما تدهورت احوال المدينة المدورة فان الكرخ ظل مَنْتعشاً وتحول الى اغنى بقعة في بغداد، فكان محلاً لجميع العمارات والأسواق، واتخذ عدد مَنْ الامراء مكتبات عامة في الكرخ، كما انها اشتهرت بوجود الربط المعروفة بنشاطها الديني، وارتبط الكرخ بالجانب الشرقي مَنْ بغداد بجسرين يقع الجسر الاول قرب دور الخليفة والآخر ليس بعيد عنه وكان في محلة باب البصرة في الكرخ المارستان (المستشفى) وهناك قبر الشيخ معروف الكرخي وقبور عدد مَنْ اولياء الصوفية والى الشمال مَنْ محلة الحربية هناك مقابر قريش أي وجود الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد (عليهما السلام).

المادة (٤)

الاعلان العالمي لحقوق الانسان

لا يجوز أسترقاق أو أستعباد أي شخص .
ويحظر الأسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما .

المدارس:

اشتهرت الرصافة والجانب الشرقي بوجود عدد مَنْ المدارس قدّرها الرحالة بن جبير بحوالي ثلاثين مدرسة، وتعدّ المدُرّسة النظامية مَنْ اشهرها وأعظمها، فقد بناها نظام الملك الوزير في العصر السلجوقي، وتقع في وسط سوق الثلاثاء، وكان يمول المدُرّسة اوقاف عظيمة وعقارات ومحلات هي التي تقدم العون المادي للمدرسة وفقهائها ومدرسيها وطلبتها. وهناك المدُرّسة المستنصرية التي بناها الخليفة المستنصر بالله.

وبصورة عامة فان لبغداد العاصمة الدور الرئيس في ازدهار الحضارة العربية الاسلامية، اذ خرّجت العشرات مَنْ العلماء والادباء والشعراء والمؤرخين والفلاسفة والفقهاء والمحدّثين، وضمت عدداً مَنْ المكتبات الكبيرة ، ومَنْ دور العلم والبحث العلمي كما هو الحال في بيت الحكمة العباسي الذي كان يقع في محلة الميدان والذي كان مركزاً للبحث والترجمة مَنْ اليونانية والفارسية والهندية والسريانية الى اللغة العربية، وكان يحتوي على مكتبة عامرة بالكتب ، وهناك دور علم آخرى مثل دار علم سابور ودار علم الشريف المرتضى ودار علم بن العلقمي ودار علم بن الجوزي وغيرها.



المدرسة المستنصرية



مدينة سامراء

٣- سامراء:

تأسست مدينة سامراء زمَنْ خلافة المعتصم لكنه أختلف عن سابقيه مَنْ الخلفاء العباسيين بحبه لجمع الاتراك وشراءهم واظهرهم على بقية جنوده، وكان هؤلاء الاتراك خشني الطباع وقد عانى اهالي بغداد معاناة كبيرة، اذ كانوا يطوفون بخيولهم الاسواق والشوراع فيتأذى الشيوخ والطاعنين في السن لذلك قرر نقلهم، وكان يتنقل خارج بغداد للعثور على موضع مَنْاسب له ولجنده الاتراك حتى وصل الى موضع يعرف بالقاطول فاستحسنه واستحسن مَنْاخه، فبنى قصره وبنى جنوده مَنْازلهم ثم أنتقل الناس وتركوا بغداد حتى قيل ان بغداد قد خلت مَنْ الناس.

وكانت سامراء قديمة فيها دير للمسيحيين وقد أستفسر المعتصم مَنْ أهل هذا الدير عن أسم المكان فقالوا انه يعرف بسامراء، ولما سألهم عن معنى الكلمة قالوا أنها مدينة سام بن نوح (وهو اشتقاق مَنْ اللغة الفارسية سام راه – يعني طريق سام)، فلما اعجب بفضائلها الواسعة وبطيب هوائها وخصوبة أرضها استحسنها واقام فيها ثلاثة أيام فارتاح لها ولهوائها وتربتها ومائها، فأشترى الأرض مَنْ أهل الدير باربعة ألاف دينار.

وبنى اولاً قصره وكان قصراً كبيراً أتخذه في موضع يعرف بالوزيرية بسر مَنْ رأى. وكانت ارضاً تنتج اطيب انواع التين، وعلى أثر بناء المعتصم القصر سارع الناس الى بناء البيوت والعمران، وقد استعان المعتصم في بناء القصر والمدينة بالعمال والصناع واصحاب المهن مَنْ سائر الامصار، ونقل الاشجار لاسيما اشجار الفواكه والمزروعات لكي تزرع في أرض سامراء.

وبعد ذلك وزع على جنده الاتراك قطائع متميزة، وهكذا اختطت خططها على وفق قطائع لجنده مَنْ الاتراك وغيرهم، ثم بعد ذلك اختطت الدروب والشوارع ، ونظم الاسواق حيث خصص لكل صنعة ومهنة سوقاً، كذلك جعل التجار موزعين على هذا النسق.

وبسرعة فائقة تزايد حجم السكان وتزايدت عمارة سامراء، وحفرت القنوات مَنْ دجلة لتزود اهالي المدينة الجديدة بالمياه الصالحة للشرب، وتوافد عليها التجار وهم يحملون الامتعة والبضائع، وبذلك اكمل المعتصم مشروع البناء في سنة ٢٢١هـ/ ٨٤٤م .

ظلت مدينة سامراء عاصمة للعباسيين مَنْذ زمَنْ الخليفة المعتصم والخلفاء الذين اعقبوه الثمانية ، لكن في نهاية المطاف عاد الخليفة المستعين الى بغداد على اثر اختلافه مع الجند الاتراك فاستعادت مدينة بغداد دورها ثانيةً.

٤- القاهرة:

وتسمى القاهرة المعزّية نسبة إلى الخليفة الفاطمي المعزّ، وقد أبتنى مدينة القاهرة قائد الفاطميين الذي قاد الجيوش مَنْ المغرب العربي مَنْ مدينة المهدية عاصمة الفاطميين في تونس باتجاه مصر وهو جوهر الصقلي في سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م بعد استيلائه على مصر. واتخذها قريبة مَنْ الفسطاط ، فلا تبعد عنها سوى ثلاثة اميال الى شمالها، وقد دفعت المعز دوافع عدة لاختيار موضع القاهرة مَنْها:

١- العامل الجغرافي لانها قريبة مَنْ الفسطاط وبذلك ستكون القاهرة على صلة جغرافية وحضرية قوية بالمدينة القديمة.

٢- أراد جوهر الصقلي مَنْ القاهرة ان تكون مدينة له ولعسكره، وعلى اعتبار ان جنوده غرباء عن اهل مصر فلذلك قرّر ان يكونوا بمعزل عن سكان مصر لتقليل أثر الأحتكاك بين الجنود والناس، وعندما قدم المعز الفاطمي بعد ان فتح جوهر الصقلي مصر، وأسس القاهرة سماها المعزّ بالقاهرة.

٣- الدافع الاقتصادي باعتبار الموضع الذي اختاره جوهر كان قريباً مَنْ نهر النيل الذي كان يعدّ ممراً تجارياً مهماً.

خطط القاهرة:

لم تكن خطط القاهرة متماشية مع النظام القبلي الذي كان سائداً في الامصار السابقة الذكر، بل كانت متنوعة في تكوينها وتسمياتها فالبعض مَنْها سمي باسماء الاشخاص والآخرى بأسم جماعات معينة واقوام وباسماء قبلية، بنى جوهر الصقلي اولاً القصر والسور وقد أُنجزا خلال المرحلة الاولى مَنْ البناء، وكان يقع بالقرب مَنْ القصر ديراً يعرف بدير العظام لانه كان يحتوي على عظام المصريين القدماء، فنقلت العظام وبني مكانه مسجداً في داخل السور، وعندما نزل الخليفة المعز الفاطمي القصر اختطت، وبعدها جعل للقصر ساحات وكان في هذه الساحات الميدان، واطلق على المحلات في القاهرة اسم الحارات (مفردها) حارة .

قصر الخليفة:

لعل جوهر الصقلي الذي اختط خطط القصر اولاً أتخذه في وسط الموضع الذي حدده لمدينة القاهرة، ثم احاطه بساحات وانشأ فيها ميدان القصر وبستانه، وكان قصراً واسعاً له أبواب وكان مرتفعاً حتى انه كان يرى مَنْ بعد، وكان له عشرة أبواب، وبقي هذا القصر موجوداً الى نهاية الخلافة الفاطمية، فيذكر ان صلاح الدين الأيوبي عندما أستولى على مصر نزل في هذا القصر.

جامع الازهر:

بعد ان نقل رفات جوهر الصقلي مَنْ الموضع بنى في المكان مسجداً جامعاً وانتهى مَنْ بنائه بعد ثلاث سنوات مَنْ دخوله مصر أي في سنة ٣٦١هـ/ ١٠٠٥م ، فحل هذا الجامع محل جامع الازهر السابق الذي بقي طيلة حكم الفاطميين شاغراً ولم يعقد فيه صلاة الجمعة لوجود المسجد الجامع الذي بناه الحاكم، وظل هكذا شاغراً الى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م الى مدة حكم الظاهر بيبرس وهو مَنْ مماليك مصر، ومَنْذ تلك المدة أخذت شهرته تتزايد فتطور الى ان اصبح مَنْ أرفع الجوامع قدراً في مصر، وكان هذا المسجد الجامع أول جامع أسس في القاهرة الى جانب قصر الخليفة.

وتحولت القاهرة مَنْ مدينة قصر الخليفة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الى مدينة كبيرة يحيط بها السور وله أبواب، فكان سوقها يضم حوالي عشرين الف دكان، وكان فيها عدد لايحصى مَنْ الحمامات والأبنية والمستشفى الكبير وكان يضم خزائن بالادوية والعقاقير ومقصورات فيها أسرة للمرضى، وهناك مستشفى خاص بالنساء، ومستشفى خاص بالمجانين.



جامع الأزهر



القدس الشريفة

ثالثاً: المدن العربية التي كانت موجودة قبل ظهور الإسلام:

مدينة القدس الشريفة:

أهميتها التاريخية:

القدس، ثالث الحرمين الشريفين بعد مكة المكرمة والمدينة المَنْورة وتعد قبه الصخرة، والمسجد الأقصى فيها قبلة انظار المسلمين، وقد جعلها الرسول محمد (ص) قبلة المسلمين الاولى في الصلاة وبقيت كذلك حتى السنة الثانية للهجره ٢هـ/ ٦٢٩م ثم تبدلت بعد ذلك الى مكة المكرمة .

وقد كان لاسراء النبي محمد (ص) ومعراجه الى القدس الانطلاقة الاولى في توجيه انظار المسلمين نحو هذا المكان المقدس .

وقد دخلت القدس ضمَنْ حاضرة العالم الإسلامي صلحاً على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) وبقيت حتى سقوطها على يد الفرنج خلال الحروب الفرنجية عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م .

وقد لعبت القدس دور خطيراً ومهماً في التاريخ الإسلامي وقد استمرت تلعب ادوارها المهمة بعد اعادتها مَنْ جديد الى الحاضرة الإسلامية على يد صلاح الدين الايوبي في واقعة (حطين) الفاصلة عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، وقد اعاد صلاح الدين الى القدس وجهها الناصع وصبغتها الاسلامية، كما اعاد الى المسلمين مساجدهم ومقدساتهم .

ولكن النزاع بين ابناء صلاح الدين الايوبي في سورية والعراق ، ومصر ادى الى ضعفهم ، وانحلالهم وقد ساق هذا النزاع وهذا الضعف والانحلال الى ضياع بيت المقدس مَنْ ايدي المسلمين، ودخولها ثانية تحت الاحتلال الفرنجي عام ١٣٢٩م، واستمرت كذلك حتى اعادها العثمانيون الى حكمهم عام ١٥١٧م على يد السلطان سليم الاول ، وبقيت كذلك الى ان احتلتها جيوش بريطانيا عام ١٩١٧م، ثم اصبحت تحت الانتداب البريطاني. وقد لعب الانكليز الدور الاساس في التغلغل الصهيوني الى هذه المدينة المقدسة حتى اعلان التقسيم المشؤوم في تشرين الثاني ١٩٤٧م، وفي خلال ظل الحكم الاسلامي نالت هذه المدينه المقدسة مكانة سامية ، ومركزاً مرموقاً في مختلف نواحي الحياة العلمية والادبية والفنية والعمرانية .

وقد أنجبت فطاحل العلماء والأدباء والجغرافيين مما يدل دلالة واضحة على مدى عناية الإسلام البالغة في هذا البيت المقدس .

وان الصهاينة يقدمون اولاً اسم (اورشليم) على اسم (القدس) وهم بتاكيدهم على اسم (اورشليم) انما يحاولون ان يظهروا ملكية هذه المدينة المقدسة ، واصالتها التاريخية لهم .

فالإسم الحقيقي لهذه المدينة هو (القدس) ثم أصبحت بيتاً مقدساً تحمل اسم (بيت المقدس) وفيها مسجد لله هو (المسجد الاقصى) الذي ورد اسمة في القرآن الكريم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ سورة الاسراء(أية ١).

ومَنْذ حرب حزيران منِ عام ١٩٦٧م، عاد الصهاينة الى أستعمال أسم (اورشليم) ظناً مَنْهم ان هذه المدينة المقدسة سوف تحمل هذا الأسم ولكن التاريخ وحدهُ ينطق بالحق والحقيقة وان أسم (القدس) سوف يبقى خالداً.

اسئلة الفصل السادس

اولاً عرّف ما يأتي بايجاز:

١- المصر ٢-الكرخ ٣-القيروان ٤- الموصل

س٢) تكلم عن الدوافع التي دفعت جوهر الصقلي الى أختيار مدينة القاهرة.

س٣) تكلم عن خطط مدينة القيروان.

س٤) تكلم عن الشروط التي وضعت في أختيار موضع مدينة الكوفة.

س٥) لعبت القدس دوراً مهماً في التاريخ الإسلامي . ناقش ذلك

ثانياً: بين اسباب ما يأتي:

١- تأسيس مدينة البصرة.

٢- بناء مدينة واسط .

٣- شروط اختيار مدينة الكوفة .

٤- عوامل نشوء الامصار.

٥- موقف المؤرخين مَنْ تعريف المدينة.

٦- بين دور بغداد العاصمة في أزدهار الحضارة الإسلامية.

٧- لماذا تعرضت مدينة بغداد زمَنْ المعتصم الى مشكلة كبيرة؟

٨- اهمية المسجد الجامع في الأمصار العربية الإسلامية.

نشاط

- اكتب ما لايقل عن صفحة عن كل مَنْ مدينة الموصل ومدينة القيروان.

- افتح حواراً للتواصل الاجتماعي على الموقع (الفيسبوك) لمَناْقشة الواقع الاجتماعي لمدينة بغداد عند تأسيسها .

- يقوم الطلاب بسفرة مدرسية الى المدرَسة المستنصرية بأشراف المدرس / المدُرّسة لمشاهدة المعالم العمرانية وكتابة بحثٍ عنها .

- يشارك الطلبة في عمل نشرة جدارية حول مدينة القدس وأهميتها التاريخية .

الفصل السابع

الحياة الفكرية والعلمية

عوامل ازدهار الحركة الفكرية:

دور القران الكريم في ازدهار الحركة الفكرية:

كان الاهتمام بالأنساب وأيام العرب والشعر وبعض العلوم التي كانت ضرورية للعرب بسبب الظروف البيئية المحيطة بهم ومَنْها علم التنجيم وهومَنْ أهم معارفهم، ولمّا جاء الاسلام كان القرآن الكريم الباعث الأساس والمحفز الأول لهم مَنْ خلال دعوته للعلم والتعلم والتفكر بما حل بالأمم القديمة وتقصي أخبارها مَنْ خلال الانفتاح على أهل الديانات السماوية الأخرى والتفسير، إذ تضمَنْ القرآن الكريم إخباراً عن الغيب وعن الأنبياء فضلا عن انه جعل مَنْ الانسان قيمة عليا ، وكثيراً ما خاطب العقل بغية تحقيق وعي الانسان بوجوده، ليس مَنْ خلال الاهتمام بالعلوم الدينية الشرعية فحسب، بل مَنْ خلال الاهتمام بكل جوانب المعرفة الانسانية الأخرى وقد كانت مَنْهجية القرآن الكريم واضحة في هذا الشأن إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴿١١﴾ ﴾

سورة المجادلة (آية ١١).

وقد ترتب على هذه الدعوة الاسلامية شيوع مفردات العلم والتعلم والتعليم والأخذ بأسبابها وعدَّ ذلك حقاً طبيعياً للإنسان، إذ نظم الاسلام أمور المسلمين في معيشتهم الاجتماعية والاقتصادية، وقد كانت السُّنّة النبوية الشريفة التي هي كل قول أو فعل أو تقرير للرسول الكريم محمد (ص) أساساً مرادفاً للقران الكريم ولحركة علمية واسعة وكانت وسيلة مَنْ الوسائل المهمة لاستنباط الأحكام ومواجهة متطلبات الحياة في جوانبها الحضارية والاجتماعية والاقتصادية التي نتجت عن الاسلام فيما بعد.

أما اللغة العربية فقد كانت لغة القرآن الكريم لقولهِ تعالى

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الزخرف (آية ٣)

لذلك كانت اللغة العربية وسيلة مهمة للوحدة الثقافية الحضارية للعرب والمسلمين على السواء، ومما سهل نشر العلم بها إذ كانت اللغة العربية لغة العلم والتعليم والادارة والعمل.

ومَنْ العوامل المهمة الآخرى في ازدهار الحركة الفكرية الرحلة في طلب العلم، إذ كان العالم الاسلامي يشكل وحدة حضارية واحدة، على الرغم من التجزئة السياسية التي سادت في حقب من تاريخ المسلمين، وإجمالاً يمكن القول، بأن الإسلام وما احتواه من منظومة قيم فكرية وسلوكية في اركانه وفروعه وأدواته ودعوته للتفكر والتدبر وقبول الأخر والعيش المشترك معه من خلال تحرير العقول قبل النفوس، كان مَنْ أهم عوامل ازدهار الحركة الفكرية عند العرب المسلمين، ومَنْ أهم الخصائص التي امتازت بها هذه الحركة كونها حركة إنسانية اهتمت بالإنسان فضلاً عن امتيازها بكونها تحمل لواء الحرية الفكرية باحترامها الآخر والسماح له بممارسة ديانته السماوية والمحافظة على عقائده وآدابه وعلومه ، بل ان المسلمين أنفسهم أقبلوا على دراسة التراث الحضاري الانساني وشجعوا على نقله للعربية وكان الفكر الإسلامي مَنْ خلال مَنْظومته الفكرية قد دعا لهدم العصبية القبلية وأحل محلها الاخوة الاسلامية والانسانية الشاملة، لقولهِ تعالى

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الحجرات (آية ١٣).

وقد امتازت الثقافة العربية الإسلامية بالوضوح والعمق والجدية والمَنْهج العلمي ، فالعلم عند المسلمين هو ثمرة النشاط العقلي المَنْهجي ، للتعرف على حقائق الوجود ، وقد أطلق الاسلام سلطان العقل وخلّصه مَنْ كلّ القيود وفي القرآن الكريم التأكيد على تحفيز العقل على الدوام للتدبّر في الكون والوقوف على أخبار الأوّلين ومشاهدة آيات الله سبحانه في خلقه .

أولاً- مراكز الحركة الفكرية والعلمية:

يعنى بمراكز الحركة الفكرية: الامصار والبلدان التي ظهرت فيها الحركة العلمية وازدهرت ، فضلا عن اماكن العلم والدراسة والمدارس في تلك البلدان، ولرغبة المسلمين في التفقه في دينهم وحبهم للعلم، كانت اغلب المدن في البلدان العربية الإسلامية محط رحال العلماء الذين كانوا يؤسسون لحلقات العلم في المساجد ويقيمون المدارس و كانت الرغبة في اقتناء المؤلفات العربية الاسلامية في مختلف مَنْاحي المعرفة باعثاً لتأسيس المكتبات أيضاً لذا فمَنْ النادر أن لا نجد في بلد ما حلقة علم في مسجد أو مدرسة أو مكتبة.

ومَنْ أهم مراكز الحركة العلمية في البلدان العربية الإسلامية هي:

١- مكة المكرمة والمدينة المَنْورة:

شكلت مكة المكرمة والمدينة المَنْورة مركز الاشعاع العلمي الاول الذي شع مَنْ خلاله نور الإسلام، ولا غرابة في ذلك فهما مهد النبوة ومسكن آل النبي (ع) وكبار علماء الصحابة والتابعين ، لذلك فقد اشتهرت هاتان المدينتان المقدستان بعلوم التفسير والحديث الشريف والفقه والمغازي واللغة العربية، ومَنْ أشهر العلماء في الحجاز في القرون الإسلامية ألاولى الامام محمد الباقر وأبنه الامام جعفر الصادق (عليهما السلام) إذ شكلا مدرسة علمية تخرج مَنْها الكثير مَنْ علماء وفقهاء المسلمين ، وأبان بن عثمان ومحمد بن مسلم ابن شهاب الزهري .



المسجد النبوي الشريف

٢- البصرة والكوفة وبغداد:

على إثر عمليات الفتوح الاسلامية أصبح العراق مَنْ أهم مراكز الحركة العلمية ، وكانت البصرة والكوفة مَنْ أوائل الامصار الإسلامية التي استوطنها المسلمون واستقروا فيها وشكلتا فيما بعد اهم المراكز العلمية في الدولة العربية الإسلامية ولقرون طويلة .

واشتهرتا بعلوم اللغة والفقه والحديث والفلسفة والتاريخ ، وفي الكوفة اتخذ الامام علي ابن أبي طالب (ع) عاصمة للدولة العربية الإسلامية ظهرت بدايات الفلسفة وعلم الكلام وازدهرت بدراسة الفقه واللغة وامتازت مدرسة الكوفة اللغوية والتاريخية عن غيرها.

كانت الحيرة وهي المدينة القديمة قريبة مَنْ الكوفة وقد شكلت مركزاً لدراسة كتب الفلسفة والطب وترجمتها، اما في البصرة التي أسسها القائد العربي عتبة بن غزوان قاعدةً للفتوح الإسلامية فقد أصبحت فيما بعد مركزاً مهما مَنْ مراكز الحركة العلمية وامتازت بمدرستها اللغوية وفيها نبغت جماعة أخوان الصفا الفلسفية وقد ازدهر فيها التصوّف وعلم الكلام، فضلا عن الأدب واللغة، وفي مَنْتصف القرن الثاني الهجري / الثامَنْ الميلادي اختطّ الخليفة ابو جعفر المَنْصور العباسي مدينة بغداد المدورة، فكانت عاصمة الخلافة

ومحطّ رحال العلماء مَنْ كل أنحاء البلاد الاسلامية، وقد ازدهرت فيها كل فنون المعرفة وبنيت فيها العديد مَنْ المدارس وأشهرها المـدُرّسة المستنصرية التي أزدهرت بالمكتبات العامرة .

ومَنْ المدن التي اشتهرت بالحركة العلمية في العراق: الموصل، واسط، الحلة والنجف الأشرف ، إذ كانت هذه المدن قد أدّت دوراً مهماً في تطور الحركة الفكرية العربية الاسلامية .

ومَنْ أشهر علماء العراق في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في التفسير والحديث بن دُكين ابو نعيم و أبو سعيد عبدالله بن سعيد الكندي، ومَنْ أشهر علماء البصرة في العربية والحديث أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد، ومَنْ كبار المحدثين في بغداد أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني فضلا عن مؤلفاته في الفقه .

٣- بلاد الشام ومصر والأندلس:

ومَنْ المراكز العلمية الكبرى في الدولة العربية الإسلامية: بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب والاندلس، إذ ازدهرت الحركة العلمية في بلاد الشام ومصر و كانت محط رحال العلماء في العصرين الأموي والعباسي، ألا إن قمة ازدهارها الفكري كان في عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك، إذ كان القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وما تلاه مَنْ القرون وبسبب ما شهده مَنْ تطور عمراني الأمر الذي انعكس ايجاباً على الحركة العلمية، إذ شجع حكام المسلمين في تلك البلاد آنذاك العلم والعلماء وبنوا الجوامع والمدارس ودور العلم والمكتبات ومَنْها الجامع الأزهر الذي بني في العصر الفاطمي في مصر، وأصبح وما يزال مَنْبراً مَنْ مَنْابر العلم والمعرفة، وقد بذل الخلفاء والأمراء الفاطميون والأيوبيون والمماليك الأموال وأغدقوها على العلماء، ونافست القاهرة في ذلك بغداد حاضرة الخلافة العباسية. وشجع المماليك العلماء وبذلوا لهم الأموال لتأليف الكتب واهتموا ببناء المدارس فامتلأت القاهرة ودمشق وحلب بخزائن الكتب، وظهرت الموسوعات المطولة في العلوم والآداب والفنون المختلفة، أما في المغرب العربي والاندلس فقد عمر العرب الفاتحون للأندلس البلاد وبنوا المدن العامرة وزيّنوها بالمدارس والمساجد والمكتبات واستقطبوا العلماء مَنْ المشرق وامتزجت ثقافة العرب المسلمين الفاتحين وحضارتهم بثقافات أهل

البلاد المفتوحة، فكانت قرطبة مَنْارة مَنْ مَنْارات العلم والمعرفة والحضارة ، إذ نُقلت أليها أمّهات الكتب والمؤلفات العربية الاسلامية مَنْ المشرق .

وممَنْ اشتهر مَنْ العلماء في بلاد الشام في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أبو زرعة الدمشقي عبد الرحمَنْ بن عمرو بن عبدالله ، اما مَنْ علماء مصر أبو عبدالله بن عبد الحكم وهو مَنْ فقهاء مصر ومحدثيها ، وتميز مَنْ علماء الاندلس بن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي .

المساجد:

مثَّل المسجد المدرَسة الأولى في الإسلام وقد فتحت المساجد أبوابها للدرس والتعليم. وكان الرسول (ص) أول معلم في الإسلام ، فكان يتلو القرآن الكريم على الناس ويفسره لهم ، ويبين لهم أمور دينهم ودنياهم ، وسار الخلفاء الراشدين (رض) وفقهاء الصحابة والتابعين على هذه السُّنَّة بتطوّر الدولة العربية الإسلامية وتطور حاجات الناس للمعرفة والعلوم وتنوعت متطلبات المعرفة لديهم على الرغم مَنْ ان المسجد كان وما يزال حلقة الدرس الأولى وكان ((القُرّاء)) مَنْ أقدم معلمي المسلمين .

إن الداخل للمسجد الاسلامي كان يرى حلقات الدرس في زواياه، فمَنْ رُوّاده مَن يُصليّ، ومَنْهم مَن يُشكِّل حلقة للتفسير، ومَنْهم مَنْ يُشكِّل حلقة للحديث .

المدارس:

لم تكن المدارس بالمعنى المعروف اليوم موجودة قبل الإسلام أو في صدره ويمكن القول: إن قيام أسرى بدر بتعليم المسلمين الأُميِّين مقابل اطلاق سراحهم مَنْ الأسر أول مدرسة في العصر الإسلامي، وقد اهتم الرسول (ص) بإرسال الفقهاء مَنْ أصحابه معلمين الى نواحي شبه الجزيرة العربية ومَنْهم معاذ بن جبل الذي أرسله الى اليمَنْ معلماً ومرشداً. وقد ظهرت وظيفة المؤدب أو المعلم الخاص في العصر الأموي وهي مَنْ الوظائف الهامة في القصر الأموي ، وكان الرسول (ص) يؤكد على تقيد العلم بقولة: (قيدِّوا العلم بالكتاب) حرصا مَنْه على عدم النسيان وقد روي أن رجلاً في الكوفة كان يسمى الضحاك ابن مزاحم كان يقوم على مدرسة (كتاب) ولا يتعاطى أُجورا عن التعليم فيها .

وكانت المَنْاظرة والجدل عاملاً مهماً مَنْ عوامل البحث عن أماكن للدرس خارج المسجد، إذ كانت تؤثر على الصلاة ولعل ذلك مَنْ أهم الأسباب لنشأة المدارس ، وكانت بعض هذه المدارس ملحقة بالمساجد وبعضها مستقلا بذاته، وخصص بعضها لتعليم الأطفال وسمي بـ (الكتاتيب)، وقد تطورت المدارس وأخذ التعليم فيها شكلاً مَنْظماً وقد انشئ الجامع الأزهر في القاهرة سنة (٣٦١ هـ / ٩٧٠ م) وأسست مدرسة في عهد عضد الدولة البويهي في سنة (٣٨٢هـ/٩٩٣م) في جانب الكرخ مَنْ بغداد ، أسَّسها أبو نصر سابور ابن أردشير وزير بني بويه، قال عنها بن كثير: إنها أول مدرسة بُنيت للفقهاء وقد زارها الشاعر الفيلسوف ابو العلاء المعرِّي، فضلاً عن ذلك اتخذ الشريف الرضي المتوفى (٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ م) نقيب العلويين والشاعر المشهور داراً سمّاها (دار العلم)، وفتحها لطلبة العلم وعيَّن لهم جميع ما يحتاجون اليه، وقد أنشأ نظام المُلك الوزير السلجوقي المتوفى سنة (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م) العديد مَنْ المدارس المَنْسوبة اليه ولهذا سميت بالمدارس النظامية بالعراق وبلاد فارس.

وقد أسس العالم الاندلسي الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م) مدرسة للمالكية في مدينة الاسكندرية في مصر في العصر الفاطمي على الرغم مَنْ ان الخلافة الفاطمية كانت على المذهب الاسماعيلي وكانت محط عناية الفاطميين وهذا دليل على التسامح المذهبي السائد آنذاك ، وأسس الايوبيون والمماليك المدارس في مصر وبلاد الشام ومَنْ أشهر المدارس:



كتاتيب

المدرَسة النظامية:

شهدت بغداد في العصر العباسي نهضة بدأت بشكل مَنْظم برعاية الدولة سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م عندما بدأ الوزير نظام الملك السلجوقي بناء المدرَسة المعروفة بالنظامية والتي افتتحت للتدريس سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م ودرَّس في هذه المدُرّسة كبار العلماء والفقهاء مثل ابو اسحاق الشيرازي وابو حامد الغزالي فقهاء العالم الإسلامي، فضلاً عن المدرسين فكان هناك عدد مَنْ المعيدين والمعيد هو الذي يساعد المدرس، وهناك عدد مَنْ الطلبة النابهين عينوا معيدين في النظامية مَنْ ثمة ترقوا الى درجة مدرس، وللمدرسة مكتبة فيها مَنْ الكتب النفيسة، وكان للمكتبة خازن ومشرف ومَنْاولون للكتب، وذكر ان الخليفة الناصر لدين الله العباسي جدد خزائن كتب المدرَسة النظامية ونقل اليها آلوفاً مَنْ الكتب والحق هي أول المدارس في الإسلام وممن زار المدرَسة النظامية الرحالة العربي بن جبير ووصف كيفية الدرس والقاء المدرس محاضرته والاسئلة التي يوجهها الطلبة.

وذكر بن بطوطة المتوفي سنه ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م والذي زار المدرَسة النظامية وقال: بغداد حافلة باسواق عظيمة الترتيب وأعظم اسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط السوق المدرَسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تضرب بحسنها.

ومَنْ اشهر طلاب المدرَسة النظامية :

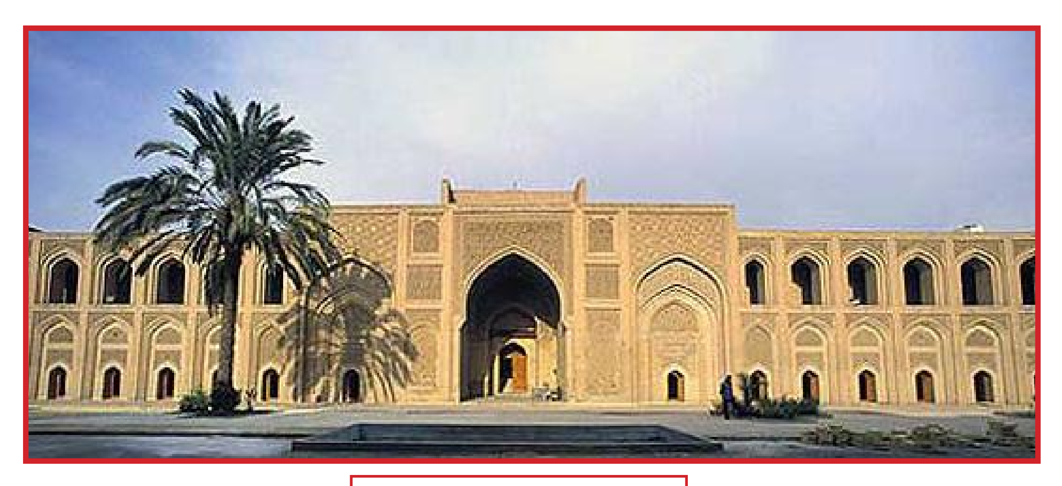
١- علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي مَنْ أشهر كتبه تاريخ دمشق.

٢- العماد الاصفهاني ومَنْ اشهر كتبه الفتح القسي بالفتح القدسي.

٣- بهاء الدين بن شداد ومَنْ اشهر كتبه سيرة صلاح الدين بن ايوب.

هل تعلم عزيزي الطالب ... عزيزتي الطالبة

أن مدينة بغداد، اصبحت عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠١٣م .



المدرسة المستنصرية

المدُرّسة المستنصرية:

انشأ هذه المـدرَسة الخليفة العباسي المستنصر بالله وتكامل بناء المـدرَسة سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م ولاتزال المستنصرية مَنْ أجمل مباني بغداد وأعظمها اثراً على مر الزمَنْ .

جعل الخليفة المستنصر مدرسته ذات نظام داخلي اي ان الطالب كان يدرس ويعيش فيها وان أدارة المـدرَسة كانت تنفق علية الطعام والملابس، وفي كل شهر ديناران لكل طالب غير الحلوى والفاكهة وأنشأت معاهد ملحقة بالمـدرَسة مثل دار القرآن المستنصرية، ودار الحديث النبوي كما الحق بها مدرسة للطب، وجعل فيها طبيباً حاذقاً ماهراً والحقَ بمدرسة الطب صيدلية لصرف الدواء للمرضى، ويعد تأسيس المـدرَسة المستنصرية حدثاً كبيراً في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لانها كانت خطوة كبيرة في سبيل تقدم التعليم ورقيه كما يعد نظام المـدرَسة مَنْ أحسن النظم المتبعة في مدارس ذلك العصر، بل غدا ذلك النظام مثلاً يحتذى به في العراق وخارجه فقد أهتم الخليفة والمشرفون على المـدرَسة باختيار المدرسين الذين يجب ان تتوفر فيهم شروط عديدة مَنْها الاخلاق الحسنة والسمعة الطيبة والعلم الوافر، وخصص المؤسس لكل مدرس فيها راتباً قدره اثنا عشره ديناراً وان يصرف له حاجته مَنْ الطعام، وكان لكل مدرس اربعة مَنْ المعيدين وكان المدرس في المستنصرية يجلس على كرسي عند التدريس ويلبس ثياب السواد معتماً وعلى يمينه ويساره معيدان ولم يكن هناك على ما يبدو نظام الاحالة على المعاش (التقاعد) في

العصر العباسي كما ان نظام المدرَسة كان يسمح للضرير ان يتولى التدريس، وكان طلبة المستنصرية ينقسمون الى فئتين، الطلاب الصغار وهم طلبة دار القرآن وهم من الصبيان فهم يعيشون فيها بمكان مستقل كما أنهم يدرسون في مكان غير قريب مَنْ المكان الذي يدرس فيه الطلبة الكبار الذين هم الفئة الآخرى من طلبتها والذين يدرسون الفقه والنحو والطب والحديث ، من الغرف ٧٨ غرفة ٣٩ في الطابق الأرضي ومثلها في الطابق العلوي مخصصة لسكنى الطلبة ويبدو أن كل غرفة تتسع لأكثر مَنْ أربعة مَنْ الطلبة، ويوجد عدد من القاعات المخصصة للتدريس .

واليوم تقف المستنصرية في إبهى حلة بجمال بنائها وحسن زخارفها وكمال مرافقها شاهداً على أصالة حضارة بغداد في الفكر والثقافة والعمران .

بيت الحكمة ودور العلم والمكتبات:

كان تأثير بيت الحكمة الذي وضع أسسه العلمية هارون الرشيد والمأمون كبيراً على العالم الإسلامي خارج مدينة بغداد، بما عرف في التاريخ بدور الحكمة ودور العلم.

فبيت الحكمة في بغداد كان في البداية عبارة عن خزانة كتب تضم الكتب المعربة من اللغات الاجنبية في قصور الخلفاء، فكان اولاً في قصر ابي جعفر المنصور، ثم توسع في عهد هارون الرشيد الذي اهتم اهتماماً واسعاً في تطوير خزانة بيت الحكمة وتشجيع المترجمين على ترجمة الكتب وضمها إلى هذه الخزانة، ولكن توسع بيت الحكمة وتوسع نشاطاته العلمية في حقل الترجمة والبحث العلمي كان زمن المأمون، فقد عرف المأمون بانه كان يميل إلى الفلسفة والعلوم العقلية والكلامية، لذلك رعى بيت الحكمة وجعله مؤسسة فيها اقسام علمية مختلفة وكل قسم من هذه الاقسام يشرف عليه عالم مختص بعلوم ذلك القسم. فمثلاً كان هناك قسم خاص لترجمة المؤلفات اليونانية في الفلسفة والمنطق وكان هناك قسم آخر لترجمة كتب الطب والصيدلة وقسم آخر لترجمة المؤلفات العلمية الفارسية وقسم رابع لترجمة العلوم باللغة الهندية، وكان صاحب بيت الحكمة هو المشرف الاعلى لادارة هذا البيت العلمي. وكان بيت الحكمة يحتوي على خزانة كتب كبيرة، فضلاً عن احتوائه على حجر(غرف) للبحث العلمي يقطن فيها العلماء حيث ينجزون بحوثهم وترجماتهم، وقد أدى

بيت الحكمة دوراً ثقافياً وعلمياً كبيراً وظل موجوداً في بغداد الى ما بعد خلافة المتوكل.

وقد قلد ولاة وحكّام الدويلات الإسلامية مشروع بيت الحكمة العباسي إذ أودع فيها هؤلاء الحكام ما أجتمع لديهم من كتب وكتب مترجمة وفرّوها للعلماء والباحثين، فأسس الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله دار حكمة في القاهرة قد أحتوى على نفائس المخطوطات في الحكمة والعلم والادب والفن، وظلت قائمة في القاهرة لحوالي القرنين من الزمن إلى ان سيطر صلاح الدين الايوبي على مصر فهدم دار الحكمة هذه، وبنى مكانها مدرسة لتدريس المذهب الشافعي، وقام امراء آل عمّار في طرابلس في سوريا بتأسيس دار علم وسمي ايضاً دار الحكمة في هذه المدينة في اوآخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد وازدهرت هذه الدار وضمت الكتب النفيسة إلى ان دمرها الصليبيون عندما استولوا على هذه المدينة، وفي بلاد ماوراء النهر في المشرق الإسلامي أسس السامانيون دارا للحكمة في نيسابور تقليداً لبيت الحكمة في بغداد، كذلك أسس الأمويون في الاندلس بيت الحكمة ايضاً فضلاً عن بيت الحكمة في إفريقية (تونس).

في الوقت نفسه تأسست في بغداد والبصرة والموصل والمدن الأخرى مكتبات وخزائن كتب مهمة جداً سهلت على الباحثين والعلماء قراءة المخطوطات التي تحتويها.

وكانت هذه المكتبات ودور العلم والحكمة ينفق عليها مالياً أما عن طريق الاوقاف، إذ توقف على هذه الدار أو تلك المكتبة سوقاً تكون ارداتها موقوفة لخدمة الدار والمكتبة.

وبعضها كان يوفر الاقلام والاوراق مجاناً إلى الطلبة والباحثين، وبعضها كان يضم حجراً أو غرفاً لمبيت العلماء والطلبة، وهناك مكتبات ودور علم ينفق عليها مالياً من قبل الخلفاء أو الوزراء فدار علم سابور في الكرخ ببغداد كانت ترعى من قبل الوزير البويهي ومكتبة وخزانة بن العلقمي كانت ترعى من قبل الوزير بن العلقمي، وهناك مكتبات وخزائن للكتب في كل مدرسة من المدارس في بغداد والمدن الإسلامية الأخرى كالمدرسة النظامية في بغداد والنظامية في البصرة ومدرسة المستنصرية في بغداد ومدرستي دمشق والقاهرة.

الكنائس والاديرة:

لما كانت المسيحية منتشرة في العراق وبلاد الشام قبل الإسلام ، ولما عُرف عن التسامح الديني عند المسلمين فقد أسهم أهل البلاد المحرّرة والمفتوحة من أهل الديانات الأخرى ولا سيما (المسيحيون) بإغناء الحضارة العربية الإسلامية التي من أبرز سماتها سمة الإنسانية ، لذلك فقد تفاعل أبناء هذه الديانات مع المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية من خلال استمرارهم في تعليم أبنائهم لغتهم وديانتهم وتراثهم العلمي ،إذ كانت الكنائس والأديرة والمكتبات الملحقة بها والمدارس التابعة لها من أهم مراكز الحضارة ، فضلا عن إسهام هؤلاء في ترجمة علوم الأولين عن السريانية الى اللغة العربية ، ومن خلال إجادتهم لها وسرعة تقبلهم لها فكانوا من المساهمين في بناء الحضارة وما يزال كثير من الأديرة والكنائس في العراق يمارس هذا الدور ليومنا هذا وان المحافظة عليها وصيانتها جزء من الحفاظ على التراث العلمي والثقافي للعراق وهذا دليل على التعايش السلمي بين المكونات العراقية .



كنيسة

ثانياً - العلوم النقلية والعقلية:

العلوم الدينية:

١- علوم القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم محور الدراسات الإسلامية عامة والدراسات الدينية خاصة ، وقد مثل القرآن الكريم ببلاغة اسلوبه صدمة لعرب شبه الجزيرة ، لأنهم لم يسمعوا بمثل ما جاء به وعندما عرضوا آياته على ما موجود عندهم من نثر للكهان ومن شعر سحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والأحكام والاخبار فلما دخل العرب الإسلام أصبح همهم تلبية دعوة القرآن الكريم للتعلم والتفكر فعملوا على التفقه في أحكامه ودراسة شرائعه وأخباره ، وقد ساعدهم في الوصول الى فهم ذلك ما آثر عن الرسول (ص) من قول أو فعل أو تقرير، فضلاً عن سؤال أهل الديانات السماوية و التفقه في اللغة ومدلولاتها وبتطور بناء الدولة العربية الاسلامية ولحاجتها لفهم دستورها القرآن الكريم، كانت علوم القرآن من أوائل العلوم التي اشتغل بها المسلمون وأهم هذه العلوم : علم أسباب النزول ، وعلم المحكم والمتشابه، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم إعجاز القرآن الكريم ، واعراب القرآن، والقُرّاءات ، وفضائل القرآن ، وتفسير القرآن وهو أهم هذه العلوم وقد اختصر العلماء هذه العلوم في علم موحد سَمّوه (علوم القرآن) وصنفوا في ذلك كثيراً من المصنفات منها: في علوم القرآن الكريم أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني من اعلام القرن الثاني / الثالث الهجري، الثامن / التاسع الميلادي، وأبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي من أعلام القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وقد اشتهر السيوطي من اعلام القرن التاسع الهجري / السادس عشر الميلادي ببراعته بمختلف العلوم الإسلامية لا سيما علوم القرآن وله مؤلف بعنوان (الاتقان في علوم القرآن).

علم التفسير:

المقصود بالتفسير بيان معاني آيات القرآن الكريم ، وتوضيحها ، وكشف المراد منها .

نزل القرآن بلغة العرب ، وكان الرسول (ص) يتلوه عليهم فيفهمون معانيه ويدركون

مراميه ، ولكنهم لم يكونوا على قدر واحد من فهم معاني الآيات ومراميها، بل تفاوت فهمهم لها وقد أخذ (القُرّاء) وفقهاء الصحابة مهمة تعليم المسلمين أمور دينهم من خلال تفسير آيات القرآن الكريم ، وقد أستفاد المسلمون الأوائل من إلمام بعض الصحابة بآداب العرب قبل الإسلام وعلمهم بلغتهم وأخبارهم في تفسير كثير من الآيات القرآنية الكريمة .

التفسير بالمأثور:

كان المسلمون في حياة الرسول (ص) يستوضحون منه عن معاني القرآن ولازمه خواص مِن الصحابة حفظوا عنه تفاسيره وعنهم أخذ التابعون ذلك .

ولما اتسعت الدولة العربية الاسلامية ودخل غير العرب في الدين الجديد احتاج المسلمون الى الأحكام والقوانين، فكان القرآن مصدر أستنباطها فزادت العناية بتفسيره وأصبح القرآن والمفسرون مرجع المسلمين في استخراج تلك الأحكام وقد قام الجيل الأول مِن علماء الصحابة بهذا المجهود، وأشهر المفسرين مِن الصحابة الخلفاء الراشدين (رض) عبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت وعن هؤلاء أخذ التابعون التفسير وأُلفت في ذلك الكتب وقد سمي هذا النوع مِن التفسير(التفسير بالمأثور)، أي ما أُثر عن الرسول (ص) وعن اصحابه أو(التفسير بالمِنقول) أي ما نقل عنهم، ومِن اشهر مِن الف في هذا الموضوع الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) وكتابه هو المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).



تفسير الطبري

ويقع في ثلاثين جزءاً بعدد اجزاء القرآن الكريم وممَنْ الف في ذلك ايضاً ابو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) وكتابه المسمى (التبيان في تفسير القرآن) ومِن اشهر مِن سار على نهج الطبري بن كثير الدمشقي (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م) وعنوان كتابه هو (تفسير القرآن العظيم) ويمتاز بالدقة في الاسناد، وبساطة العبارة، ووضوح الفكرة والايجاز .

التفسير بالرأي:

وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر مِن اعتماده على النقل وهنا اعتمد التفسير على الرأي والاجتهاد، وسبب ذلك أن القرآن الكريم هو دستور المسلمين في دينهم ودنياهم ، وكلما تطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية رجعوا اليه ليجدوا فيه حلاً لما يواجهونه مِن مستحدثات الأمور والمشاكل وكلما تطورت الحياة العقلية نظر العلماء الى القرآن الكريم ببصيرة وتعقل، ليجدوا فيه حلولاً جديدة لمشاكلهم وقد أوصى الامام عليّ(ع) بالقرآن بقوله : ((**إياكم والقرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم ...**))، وقد أصبح تفسير القرآن الكريم في أي عصر مِن العصور يحمل طابع الحياة العقلية والاجتماعية والدينية لذلك العصر، لان المفسر عادة يساير أفكار الناس ويقصد حل المشاكل التي تواجههم ويشرح لهم الفاظ القرآن الكريم بلغة العصر التي يعيشونها وهذا سر مِن أسرار بلاغة لغة العرب ، وبالتالي لغة القرآن الكريم ، فهو كتاب الله المِنزل على النبي الخاتم (ص)، وقد اشترط العلماء في المفسر والمؤهل لتفسير القرآن الكريم شروطاً شديدة لا تتوافر الا في اكابر العلماء وقد اشترطوا أن يكون المفسر حسن المعرفة بقواعد اللغة العربية واصولها والمجاز ومعاني الالفاظ وأسباب النزول وان يكون عالماً بالشريعة الإسلامية ملماً بما نقل في التفسير مروياً عن الرسول (ص) والصحابة والتابعين ، ومِن أشهر التفاسير بالرأي عند المسلمين تفسير البيضاوي المتوفى سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦) والمسمى (أنوار التنزيل و أسرار التأويل) وتفسير الطبرسي وتفسير الميزان للطباطبائي ومِن تفاسير المعتزلة الذين أتبعوا الاسلوب العقلي في الاستدلال وابتعدوا عن الاعتماد على المأثور مِن التفسير خاطين

لهم مِنهجاً خاصاً بهم تفسير (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل) لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) وهو موجز العبارة شديد العناية بتوضيح وجوه البلاغة والاعجاز في القرآن الكريم.

وللصوفية مِنهج في التفسير امتاز بالغموض واستخدام مصطلحات خاصة ومعاني لا يفهمها الا المطلع على آداب التصوف وفنونه ومِن اشهر تفاسير الصوفية التفسير المِنسوب الى محيي الدين بن عربي المتوفى (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) .

التفاسير الحديثة والمعاصرة:

ومع تطور الحضارات تطورت سلوكيات الانسان وتعددت وتنوعت احتياجاته وبما ان القرآن الكريم كتاب الله المِنزل على نبيه الامين محمد (ص) آخر الانبياء لذا لا بد ان تتطور التفاسير حسب متطلبات العصور وتطور نمط عيش الانسان لتلبية حاجات الناس في فقه عباداتهم ومعاملاتهم .

لذلك ظهرت تفاسير عديدة حاولت تفسير القرآن الكريم بلغة العصر واستنباط الاحكام وفق معطيات التطورات الاجتماعية والاقتصادية والاكتشافات العلمية .

ومِن اشهر هذه التفاسير تفسير محمد عبده الذي اكمله تلميذه محمد رشيد رضا والذي يعرف بـ (تفسير المِنار) ، ويحاول هذا التفسير التوفيق بين ما جاء في القرآن الكريم مِن اشارات الى الظواهر الكونية والنظريات العلمية الحديثة، ومِن اشهر هذه التفاسير أيضاً (الميزان في تفسير القرآن) للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي مِن أعلام القرن الرابع عشر الهجري .

٢- علوم الحديث:

امتزج الحديث الشريف بالسُّنَّة النبوية وقد أصطلح عليهما كل قول أو فعل أو تقرير للرسول (ص) والحديث والسُّنَّة النبوية يليان القرآن الكريم في الأهمية بالنسبة للمسلمين فهما الركيزة العقائدية والفكرية لكل المسلمين ومِن خلال الحديث الشريف أستطاع المسلمون

تفصيل ما اجمله القرآن الكريم واستنطاقه وتفسير ما صعب على الناس فهمه .

فكثير مِن آيات القرآن الكريم كانت مجملة أو مطلقة أو عامة ، وقد فصلها الحديث الشريف أو قيدها أو خصصها ، فقد كان الأمر بالصلاة على وجه الاجمال في القرآن الكريم ، أما الحديث الشريف فقد بين للمسلمين عددها وحدد أوقاتها ووصف كيفية ادائها. وقد طلب المسلمون حديث رسول الله (ص) ورحلوا مِن أجل سماعه وجمعه وتعلمه، وقد اصبح الحديث الشريف مصدراً مهماً مِن مصادر التشريع الاسلامي في العبادات والمعاملات والاحوال الشخصية وكان له عظيم الآثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي ومِن رحمه نشأ علم التاريخ الإسلامي إذ كان الاهتمام بالحديث والسيرة النبوية سبباً مهماً لنشأة علم التاريخ عند المسلمين .

تدوين الحديث ونقده:

دون الحديث الشريف في زمِن الرسول (ص) على نطاق محدود مِن أفراد مِن الصحابة، وكان أغلب الناس يتناقلون الأحاديث عن طريق الرواية الشفوية، لاعتماد العرب آنذاك على ذاكرتهم القوية في الحفظ ، وبظهور الفتن بين المسلمين أخذ بعض دعاة الفتنة بوضع الاحاديث ونسبتها للنبي (ص) وهذا ما يسمى بالحديث الموضوع ، ومِن أسباب وضع الحديث : الخصومات السياسية أو الخلافات الفقهية والعنصرية وتساهل العلماء في قبول أحاديث موضوعها الترغيب والترهيب مما يترتب عليه مِن تحليل حرام وتحريم حلال. وقام الزنادقة والملحدون والحاقدون على الإسلام بوضع الاحاديث عن الرسول (ص) لغرض تشويه صورة العرب المسلمين .

لما ظهرت الفتن احتاج العلماء الى الإسناد ويعنى به إسناد الحديث ، أي بيان سلسلة رواته الذين نقلوه عن النبي (ص) وهذا ما يعرف بالسند ، اما نص الحديث فيسمى المتن .

ومِن نقد رواة الحديث وتقصي أحوالهم ومعرفة تواريخ وفياتهم وأماكن سكنهم وترحالهم تعرف مكانتهم مِن حيث الصدق ودقة النقل ويتم بيان ما إذا كانوا مِنحازين الى أي اتجاه سياسي أو فلسفي وقد اطلق المسلمون على عملية النقد هذه بـ (علم الجرح والتعديل)

والجرح هو الكشف عن عيوب الراوي ، اما التعديل فهو اثبات عدالة الراوي فيما يرويه وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد متعددة لا بد مِن معرفتها واتقانها لمِن يتبحر في هذا العلم .

وقد صنف الحديث استناداً الى صحته ومدى دقة سنده الى عدة اصناف فيها المتواتر والآحاد ، والمتواتر ما رواه جماعة موثوقون عن جماعة مثلهم عن الرسول (ص) وهذا النوع مِن الحديث يفيد العلم ، اما الاحاديث غير المتواترة فتسمى آحاداً وهي عند العلماء لا تفيد العلم وانما يجوز العمل بها عند ترجيح صدقها .

وقد قسم العلماء الحديث حسب تسلسل الرواة في السند، ومِن ذلك الحديث المسند وهو ما اتصل اسناده مِن رواته الى مِنتهاه ويسمى المتصل أو الموصول .

والحديث المرسل هو الذي سقط مِن سنده صحابي فرواه التابعي عن الرسول (ص) مباشرة ، والحديث المِنقطع هو الذي سقط مِن سنده اسم الراوي فيه مِن التابعين ، والحديث المعضل وهو الذي سقط مِن سنده اسماً أو اثنين أو اكثر مِن الرواة .

وممِن الف في نقد رجال الحديث الشريف الفضل بن شاذان الذي يعد مِن أئمة علم الرجال الذي يميز الثقة في الحديث عن غيره وكان مِن اصحاب أئمة آل البيت علي بن موسى الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي (عليهم السلام) .

وقد دوَّن الحديث الشريف في مطلع القرن الثاني الهجري / الثامِن الميلادي بصورة واضحة وواسعة، ومِن أوائل الكتب التي الفت فيه (الموطأ) للأمام مالك بن انس(رض) المتوفى (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) والموطأ مزيج مِن الحديث والفقه .

ومِن اشهر المدونات الحديثة صحيح البخاري المتوفى سنة (٢٥٧ هـ / ٨٦٩ م) وصحيح مسلم المتوفى سنة (٢٦١هـ / ٨٧٤ م) وسنن بن ماجة المتوفى سنة (٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م) وسنن ابي داود السجستاني المتوفى سنة (٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م) وجامع الترمذي المتوفى سنة (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) وسنن النسائي المتوفى سنة (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) ومِن هذه المصنفات اشتهر صحيح البخاري وصحيح مسلم أما الأخرى فتسمى المسانيد .

ومِن المصنفات المعتمدة عند المسلمين مسند الامام احمد بن حنبل(رض) المتوفى سنة

(٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) ومِن كتب الحديث المعتبرة عند الأمامية الكتب الأربعة (الكافي) للكليني المتوفى سنة (٣٢٨هـ / ٩٣٩ م) و (مِن لا يحضره الفقيه) لأبن بابويه الصدوق المتوفى سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١م) وكتابي (التهذيب) و(الاستبصار) للطوسي (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٧م) .

٣- الفقه:

يبحث في الفرائض الدينية ، الاحوال الشخصية والمعاملات الاقتصادية ، وفي الجرائم وعقوباتها وقد مر الفقه بتطورات هامة ، وانتج حركة علمية مِن حيث ضخامة الأنتاج وعدد العلماء والفقهاء وابتكار الاساليب في الاجتهاد ، والتعبير اللغوي والمصطلحات ، ووضع القواعد التي تساير تغير الظروف وتطور المجتمع.

مصادر الفقه:

وهي : القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، والاجماع ، والرأي أو الاجتهاد، مِن اشهر أئمة المذاهب الإسلامية الامام جعفر الصادق (ع) المتوفى سنة (١٤٨ هـ / ٧٦٥م) والامام ابي حنيفة النعمان المتوفى سنة (١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م) والأمام مالك بن انس المتوفى سنة (١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م) والأمام محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة (٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م) والامام احمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١ هـ/٨٥٥ م) (رضي الله عنهم) .

ومِن المدارس التي أولت الأجتهاد في الأحكام الفقهية عناية خاصة مدرسة آل البيت (ع) ومِن رجالات هذه المدرَسة المحقق الحلي ، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المتوفى في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي .

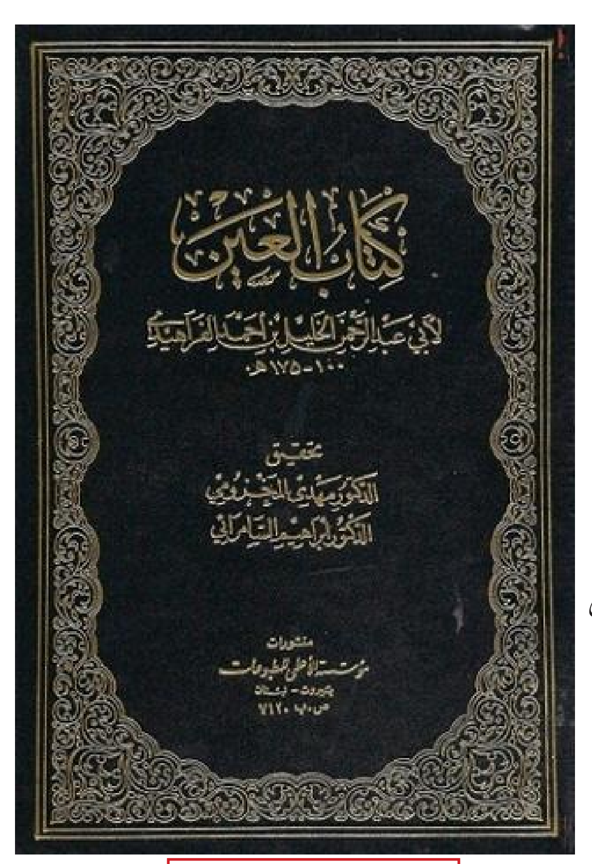
ثالثاً- العلوم اللسانية والانسانية:

علوم اللغة:

لغة كل قوم في أي عصر مِن العصور هي مظهر لعقليتهم في ذلك العصر فهي تدل على الأفكار التي في عقولهم وأدوات الحضارة التي استخدموها والنظم الاجتماعية التي عاشوا في ظلها.

واللغة العربية فضلاً عن غناها اللفظي، دقيقة التعبير ففيها لكل معنى لفظ خاص به، وفيها الفاظ لتأدية فروع المعاني واجزاءها ومِن امثلة ذلك ان لكل ساعة مِن ساعات النهار اسماً خاصاً بها، وليست اللغة العربية غنية بألفاظها فقط بل هي غنية بقواعدها ونحوها وصرفها واشتقاقها .

ومِن هنا أولى المسلمون دراسة اللغة وعنايتهم لأنها لغة القرآن الكريم والدواوين وقد أهتم العرب المسلمون بوضع قواعد اللغة العربية بعد أختلاط المسلمين بغيرهم مِن الأمم، وقد ظهر عدد مِن علماء اللغة مِنهم الخليل بن احمد الفراهيدي وعبد القادر الجرجاني، وقد وضع العلماء المعجمات أو القواميس، واتبعوا اساليب مختلفة في ترتيب الكلمات ومِن هذه القواميس معجم العين للفراهيدي ومعجم لسان العرب لابن مِنظور والصحاح للجوهري وتاج العروس للزَبيدي .



كتاب العين للفراهيدي

الترجمة :

ظهرت آثار الترجمة مِن اللغات الاجنبية إلى اللغة العربية مِنذ العصر الأموي ولكنها كانت بشكل محدود جداً، وفي العصر العباسي ومِنذ خلافة ابي جعفر المنصور ازدادت الحاجة العلمية إلى ترجمة آثار اليونان والرومان والفرس والهنود وغيرهم مِن الأمم التي قدمت مساهمات علمية وحضارية، وهناك عدة أسباب لتشجيع الترجمة في هذا العصر:

١- أهتمام الخلفاء العباسيين بترجمة كتب الطب والنجوم والفلك للحاجة الماسة إلى معرفة علوم ألاجانب في هذه المجالات، فكان أبو جعفر مثلاً يشكو كثيراً مِن الآم المعدة فضلاً عن اهتمامه واعتقاده بعلاقة النجوم والكواكب بحياة الإنسان ومصيره، لهذا السبب طلب عدد مِن الاطباء الماهرين مِن مدينة جنديسابور في بلاد فارس لمعالجته اولاً ولترجمة كتب في الطب وطب العيون، كما انه اعتمد على مِنجمين بارعين مِن الهند فترجموا له كتباً في التنجيم والفلك.

٢- اتصال العرب بأمم مختلفة واطلاعهم على ثقافات وعلوم جديدة، فاتجهت نفوسهم إلى محاولة التعرف على نتاجات ألاجانب، فالترجمة أشبعت غرائزهم في المعرفة الانسانية.

٣- توسع أهتمامات الدولة العربية الإسلامية في الجوانب الاقتصادية والزراعية والادارية فظهرت الحاجة إلى علوم الرياضيات والهندسة والطب والى ضبط اوقات الصلاة وتعيين أشهر الصوم والحج، فتطلب ذلك معرفة علم الفلك والنجوم، كذلك ما احتاجه بيت مال المسلمين وجباة الضرائب وميزانية الدولة مِن علوم رياضية وفي مساحة الأرض وفي علم الزراعة.

٤- الرخاء والرفاهية الاجتماعية والاقتصادية وفرت الأموال وهذه بالضرورة أدت الى التسارع في تقدم العمران وفي بناء الجسور والسدود وشق الطرق ، فاحتاج العرب المسلمون إلى مبادئ في علم الهندسة.

فهذه العوامل وغيرها دفعت بالخلفاء والعلماء إلى ألاهتمام بترجمة نتاجات العلماء في الحضارات المختلفة، واغدق الخلفاء على المترجمين الاموال التشجيعية لترجمة الكتب المهمة والأساسية فظهر علماء متخصصون في الترجمة يعرفون اللغة اللاتينية واللغة السريانية واللغة الفارسية والهندية فشرعوا يترجمون أمهات الكتب ، وقد مرّت الترجمة بمرحلتين:

أ- مرحلة الترجمة الحرفية مِن اللاتينية إلى العربية، فكانت ترجمة صعبة وفي حالات لاتفي بالأمر بشكل مفيد.

ب - مرحلة النقل والترجمة مِن قبل علماء في نفس الحقول العلمية فمثلاً ترجم قسطا بن لوقا وكان فصيحاً باللغة اليونانية وجيداً باللغة العربية، ترجم كتباً في الطب والهندسة والاعداد والموسيقى والفلسفة، واشتهر حنين بن اسحاق وابنه اسحاق بن حنين وبن أخته حبيش بن الاعسم بترجمة كتب في طب العيون والفلسفة والمِنطق معتمدين على مِنهج علمي ، وقد قام هؤلاء العلماء بمراجعة الترجمات السابقة الحرفية مِن أجل تصحيحها وتهذيبها ومعالجة الأخطاء الواردة فيها.

وهكذا فقد أنصرف العلماء إلى معرفة النتائج العلمية التي وصلت اليها الحضارات اليونانية والرومانية والفارسية والهندية.

أهمية الترجمة:

ساعدت الترجمة على ازدهار الفكر وتطور العلوم في العصر العباسي وعلى نمو العلوم الطبيعية والرياضية عند العرب المسلمين، وقد طور العرب المسلمون المصطلحات العلمية بعد تعريبها ، وقد نقلت الكتب المترجمة للعربية فيما بعد الى اللغة اللاتينية فكانت مِن أهم الحوافز على حركة احياء التراث اليوناني والروماني في أوربا .

رابعاً - الفلسفة والعلوم الاجتماعية:

معنى الفلسفة:

في أصله اللغوي كلمة يونانية تتكون مِن مقطعين هما: (فيلو) وتعني (حب). و(سوفيا) وتعني (الحكمة)، وبذلك يكون المقصود مِن كلمة (الفلسفة) هو (حب الحكمة) ويصبح الفيلسوف (محب الحكمة)، اي الباحث عن المعرفة والذي يعشق الحقيقة، والفيلسوف اليوناني فيثاغورس هو أول مِن وضع هذا المصطلح .

وموضوعها البحث في الكون وطبيعة الانسان ومركزه في العالم وسلوكه الأخلاقي

وأداة الفلسفة للوصول الى المعرفة هي العقل وما اكتشفه مِن قوانين المِنطق وأساليب الجدل والبرهان والاستقراء.

أزدهرت الفلسفة مُنذ القرن السادس ق.م في بلاد اليونان ، وقد أهتم العرب المسلمون بالفلسفة اليونانية فترجموا كتبها الى اللغة العربية ودرسوها وشرحوها وفسروها ووضحوا غوامضها واختصروا مطولها واضافوا لها الكثير، وقد تعددت جوانب الفكر الفلسفي الإسلامي الذي أستند على دعوة القرآن الكريم للتفكر والتدبر بالكون والانسان قبل ان يتعرف على علوم الأوائل وفلسفتهم .



الفارابي

مِن أهم مباحث الفلسفة عند المسلمين: علم الكلام ، والتصوف ، والاخلاق وهذه الفروع جميعها تعنى بالوجود ، والمعرفة، والدين ، والاخلاق والتربية. وقد حاول فلاسفة المسلمين استخدام المِنهج العقلي للتوفيق بين الدين ومباحث ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا)اي بين الدين والفلسفة ومِن اشهر فلاسفة العرب المسلمين الكندي أبو يوسف يعقوب بن اسحاق المتوفى سنة (٢٥٧ هـ /٨٧٠ م) المولود في الكوفة مِن قبيلة كندة العربية فيلسوف العرب الذي ألَّف في الفلسفة والحساب والهندسة والفلك والتنجيم والموسيقى والطب والعلوم الطبيعية والفارابي ، ابو نصر محمد بن محمد المتوفى سنة (٣٣٩ هـ / ٩٥٠م) الذي ولد في فاراب في أواسط اسيا ودرس الفلسفة في بغداد ورحل الى حلب وقد سمي الفارابي (المعلم الثاني) ، لأنه جمع الفلسفة اليونانية ورتبها وشرحها ومِن اشهر كتبه (أراء أهل المدينة الفاضلة) .

وقد اشتهر مِن العرب المسلمين بن سينا المتوفى سنة (٤٢٨ هـ/ ١٠٢٦ م) الذي كان نابغة عصره، فضلاً عن بن رشد المتوفى سنة (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) وهو مِن أعظم فلاسفة المسلمين المتأخرين، و اشتهر في بلاد الاندلس ومِن اشهر مؤلفاته (تهافت التهافت) و(فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة مِن الاتصال).

علم الكلام:

وهو العلم الذي يبحث في العقيدة الاسلامية وتوضيح أسسها وأصولها والدفاع عنها بأساليب لم يعرفها العرب مِن قبل، وقد ولد في بيئة عربية إسلامية فكرياً وجغرافياً ، بعد اختلاط العرب بالأقوام الأخرى والاطلاع على عقائدها واديانها وانتشار الشعوبية والزندقة لذلك عمد فلاسفة العرب المسلمين استخدام الحجج المِنطقية وتعابير الفلسفة ووسائلها في حوار الآخر ومجادلته وهنا ظهر علم الكلام وسمي المشتغلون به (المتكلمون) ومِن اشهر متكلمي المسلمين المعتزلة وإمامهم واصل بن عطاء المتوفى سنة (١٣١ هـ/ ٧٤٨ م) الذي يعد مِن أوائل مِن أسس علم الكلام .

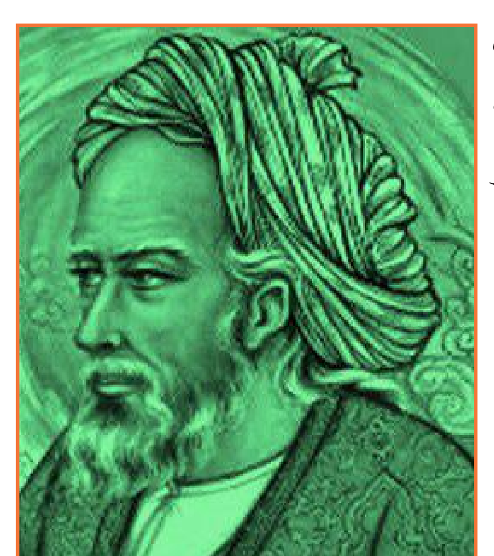


بشر بن المعتمر

ومِن أشهر رجالات المعتزلة بشر بن المعتمر المتوفى ببغداد سنة (٢٦٦ هـ/٨٢٥ م)، ويسمى المعتزلة أهل العدل والتوحيد ويُسمون أيضا بأصحاب حرية الارادة ويتفق المعتزلة على أصول مِنها : التوحيد والعدل ، الوعد والوعيد ويختلفون في فروع كثيرة، وممن اشتهر بالتأليف في علم الكلام بن بابويه القمي مِن أعلام القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وله في ذلك كتاب العلل.

علم الاخلاق:

هو العلم الذي يختص بقواعد الاخلاق والسلوك ومصدر الاخلاق عند الفلاسفة والمتصوفة المسلمين عموماً هو القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة ، والمعرفة والاخلاق متلازمة عند معظم فلاسفة المسلمين ، فالعالم لا يحصل على علومه ومعرفته الا بتنقية نفسه وعقله، إذ ان التحلي والالتزام بالأخلاق الإسلامية ينتج عنه صفاء الذهن والروح ، مما يعني الحصول على المعرفة الحقة ، إذ ان الابتعاد عن الشهوات يؤدي الى كمال الفضيلة ونيل السعادة .

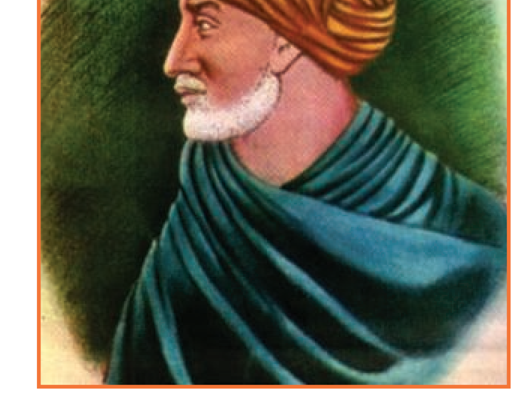


مسكويه

ومِن اشهر علماء المسلمين ومفكريهم ممِن عني بعلم الاخلاق مسكويه أبو علي أحمد بن محمد المتوفى سنة (٤٢١ هـ/١٠٢٠ م) الذي اشتهر بكونه طبيبا ومؤرخا وفيلسوفا ومِن أشهر مؤلفاته ((تهذيب الاخلاق وتطهيرالأعراق)) استهدف فيه توضيح معنى السعادة التي هي غاية الإنسان .

العلوم الاجتماعية:

١ـ علم الاجتماع:



ابن خلدون

وهو العلم الذي يعنى بدراسة أحوال المجتمع مِن حيث أساليب العيش والعادات والتقاليد وآثار البيئة و المكان في سلوك الانسان وقد عرف عن الجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥ هـ/٨٦٨ م) أهتمامه بهذا العلم، فضلاً عن المسعودي المؤرخ الجغرافي المتوفى سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م)، وقد عرض الرحالةُ والجغرافيون العرب المسلمون لكثير مِن عادات الشعوب التي زاروها وتقاليدها، ومِنهم ابن حوقل وبن بطوطة ومِن أشهر علماء الاجتماع العرب المسلمين بن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨ هـ/١٤٠٦م)، الذي وضع مقدمته المشهورة في طبائع الإنسان واحوال المجتمعات وأثر البيئة في سلوك الإنسان و بين أثر البداوة والتحضر في سلوك الإنسان .

٢- علم التاريخ:



ابن الأثير

التاريخ عند المسلمين علم نما وتطور مِن خلال الأهتمام بالسيرة والمغازي بعد الإسلام وانسابهم وأيامهم المشهورة قبل الإسلام ، فضلا عن الإشارات الواضحة في القرآن الكريم والتي تحوي أخباراً عن الأمم القديمة وأحوالها وتدعو للتدبر في شؤونها وما آلت إليه وأسباب تدهورها ونهايتها .

عرف عن العرب قوة الذاكرة فكانوا يتداولون أخبارهم شفاهاً ورواية الى أن جاء عصر التدوين مِنتصف القرن الثاني الهجري / الثامِن الميلادي وفيه بدأ التدوين عند العرب المسلمين بصورة واضحة .

دوَّن المسلمون تواريخهم بطرائق متعددة مِن أهمها تدوين الحوادث بحسب السنين وسمي هذا بالتدوين الحولي والطريقة الأخرى للتدوين جاءت تبعا لاماكن الاسر الحاكمة ودولها، ومِن اشهر مصنفات المسلمين في التاريخ تهذيب السيرة لابن هشام المتوفى سنة (٢١٨ هـ/٨٣٣ م)، الذي هذّب سيرة بن أسحاق المتوفى (١٥١ هـ/ ٧٦٨م)، وفتوح البلدان للبلاذري المتوفى سنة (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، وتاريخ اليعقوبي لأحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى سنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م)، وتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، والكامل في التاريخ لابن الاثير المتوفى سنة (٦٣٠هـ /١٢٣٢م) وغيرهم .

٣- علم الجغرافية:

نشأ علم الجغرافية عند العرب نشأة بسيطة ثم أخذ ينمو تدريجياً حتى أصبح مِن أهم العلوم العربية، وقد أسهمت عدة عوامل لأهتمام العرب المسلمين بهذا العلم ، مِنها : اتساع

رقعة الدولة العربية الإسلامية وحاجتها لمعرفة البلاد وضبط شؤونها ومعرفة أحوال سكانها وطرق المواصلات فيها وأطوالها ومسافتها والمراحل التي يقطعها البريد ، فضلاً عن الرحلات العلمية وفريضة الحج والرحلات التجارية .

أهتم المسلمون بالفلك وتحديد اتجاه القبلة وتعيين أوقات الصلاة ، الأمر الذي دعاهم للاهتمام بخطوط الطول والعرض وبالحسابات المتعلقة بذلك ومِن اشهر الجغرافيين العرب المسلمين البلاذري واليعقوبي وبن حوقل وابن خردا ذبة والاصطخري والمسعودي والمقدسي واشهر الكتب (مسالك الممالك) و(صورة الارض)، واشتهرت مصنفات الرحلات ومِنها رحلة بن فضلان الى مِنطقة نهر الفولغا سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ورحلة بن دلف الخزرجي سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢ م) الى تركستان الصين والهند وسجستان وبن جبير المتوفى سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧ م) وبن بطوطة المتوفى سنة (٧٧٩ هـ/١٣٧٧م).

المسعودي

يعرف التراث في اغلب الاحيان بأنة أرثنا في الماضي، وما نعيش بة في الحاضر وما ننقلهُ للأجيال القادمة ليتعلموا منه، ويعجبوا به ويستمتعوا به .



الرازي

خامساً - العلوم العقلية:

١- الطب:

يقصد بالطب مجموعة الآراء العلمية الطبية التي حوتها مؤلفات الأطباء العرب المسلمين، وتلك الآراء مستوحاة مِن الطب القديم ولاسيما اليوناني والهندي والفارسي والسرياني والعربي القديم، وقد جمع العرب علم الأولين وقدموه بطريقة سهلة الى العالم .

سبق الطب عند العرب المسلمين بنهضته عن غيرهم مِن ألامم وكانت البصرة والكوفة وبغداد ودمشق وقرطبة وجنديسابور في المشرق مدارس جامعة يقصدها الطلاب مِن الشرق والغرب، وقد أرسى الأطباء العرب علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة وكان العرب المسلمين أول مِن أفتتحوا الصيدليات المجانية .

وقد استمرت رسالة أبو بكر الرازي المتوفى سنة (٣١١ هـ / ٩٢٣ م) عن الحصبة والجدري تدرس في أوربا حتى القرن الثامِن عشر الميلادي ، وكان بن سينا أول مِن وضع تشخيصاً دقيقاً عن التهاب الأعضاء والرئة وخراج الكبد وبين عوارض المغص الكلوي

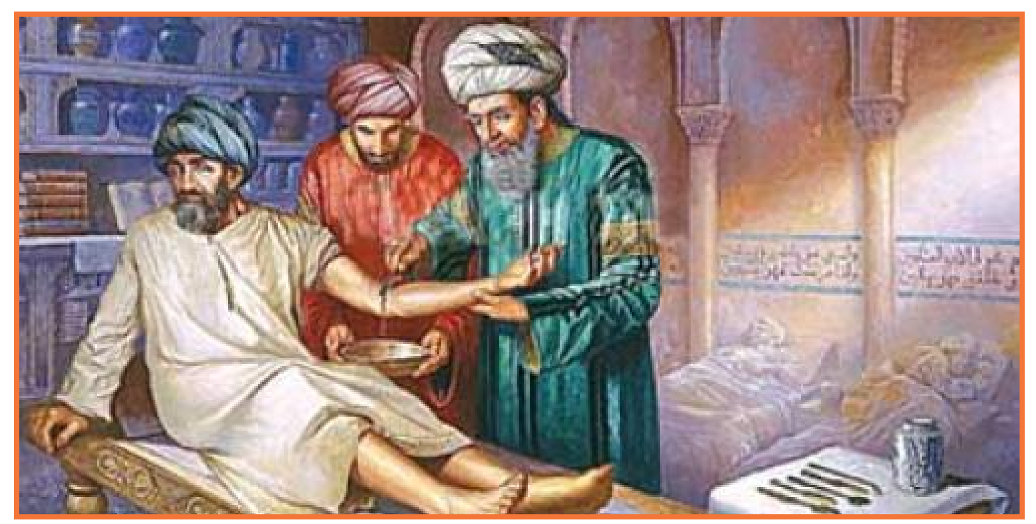
والمغص المعوي والتعرض لشلل الوجه وأسبابه، وأهم مؤلفات الرازي (الحاوي) أو الشامل في الطب .

اكتشف الطبيب علي بن ربن الطبري المتوفى سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١م) اللقاح الميكروبي لداء الحكة (الجرب) الذي عالجه الطبيب الاندلسي بن زُهر علاجاً شافياً، وهو أول مِن وصف أو شخص سريرياً التهاب (الجلد الخام)، وقد فرق التهابات (كيس القلب) عن امراض الرئة .

نبغ في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية عشرات مِن الاطباء والمؤلفين في الطب وأهمهم : بن النفيس الدمشقي المتوفى سنة (٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م)، وهو أول مِن اكتشف الدورة الدموية .

وممِن نبغ مِن أهل الاندلس في الطب أبو القاسم الزهراوي مِن أهل القرن الخامس الهجري وكان طبيباً جراحاً له عدة تصانيف، مِنها كتاب في امراض النساء وآخر في الجراحة وآخر في تركيب الادوية .

ونبغ جماعة مِن النساء مارسن الطب عند العرب مِنهم اخت الحفيد بن زهر الاندلسي وقبلها اشتهرت زينب طبيبة بني أود في الشام في عهد الامويين، وكانت جامعة بين الطب والجراحة ، وذكر الشيخ الرئيس بن سينا في طب العيون قطرة ركبتها له امرأة خبيرة بصناعة الطب .



الزهراوي

المستشفيات:

كانت مشافي العرب المسلمين ملاجئ للمرضى وأماكن لدراسة الطلاب وكان الطلاب يتلقون دروسهم في المشافي أكثر مما يتلقونها مِن الكتب وأنشأ العرب مشافي للمصابين ببعض الأمراض العقلية ، ولما عهد للرازي في اختيار أفضل مكان في بغداد لإقامة مشفى عليه علق قطعة لحم في كل حي مِن احياء العاصمة وأعلن أن افضل حي لإقامة المستشفى هو الحي الذي يتأخر فيه فساد قطعة اللحم المعلقة .

ويذكر اليعقوبي أن الوليد بن عبد الملك أول مِن أقام مستشفى (بيمارستان) للمرضى الا ان بعض المؤرخين يعتبرون الخيمة التي أمر الرسول محمد (ص) بنصبها في غزوة الخندق هي نواة المستشفيات (البيمارستانات) في الإسلام، وقد كانت رفيدة الاسلمية تداوي جرحى المسلمين فيها، وقد انشأ الرشيد بيمارستاناً في بغداد سماه باسمه تولاه ماسويه وتولاه جبريل بن بختيشوع ايضاً، وقد كان في جنديسابور بيمارستاناً ايضاً ومِن المستشفيات المشهورة في بغداد البيمارستان العضدي الذي بناه عضد الدولة البويهي عام (٣٧١هـ / ٩٨١ م) .

وكانت المستشفيات على نوعين : المتنقلة والثابتة الأولى مجهزة بجميع ما يحتاجه المرضى مِن الأدوية والأشربة والملابس والأطباء ينتقل مِن بلد الى آخر مِن البلدان النائية، أما المستشفيات الثابتة فقد كانت كثيرة ، ولم تخل بلدة صغيرة في العالم الإسلامي يومئذٍ مِن مستشفى فأكثر، حتى ان قرطبة وحدها كان فيها خمسون مستشفى .

كانت المستشفيات مجهزة بجميع ما يلزم المرضى مِن أدوات وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وكانت هنالك أقسام خاصة بالنساء .

وقد وضعت لتعليم مهنة الطب وممارسته قواعد مهنية واخلاقية وكان أصحاب المهنة انفسهم يرعونها، وكانت الدولة تراقب عن طريق المحتسب واعوانه الاطباء الكحالين اي اطباء العيون، والجراحين، والفصادين، والحجامين، والمجبرين، والبياطرة، والصيادلة، والعطارين .

أهتم العرب المسلمون بالصيدلة وقد افرد بن سينا جزءاً خاصاً مِن كتابه القانون للمادة الطبية والصيدلة، وأشار بن البيطار في كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) الى

مجموعة مِن الأدوية المستخلصة مِن النباتات والحيوانات والمعادن .

ومِن العلوم المرتبطة بالطب والصيدلة علم النبات ، إذ كانت معظم العقاقير المستخدمة في الطب مستخلصة مِن النباتات، ومِن اشهر الكتب كتاب (الفلاحة) الذي نقله مِن اللغة النبطية الى اللغة العربية بن وحشية الكلداني مِن أبناء القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي .

ومِن اشهر مِن صنف في النبات أبو حنيفة الدينوري مِن القرن الثالث الهجري مؤلف كتاب النبات، وعبد اللطيف البغدادي المتوفى (٥٧٢ هـ / ١١٧٦م) ومؤلفه المشهور (الإفادة والاعتبار في الأحوال والمشاهدة والأمور والحوادث المعاينة في أرض مصر).

وقد ارتبط علم الحيوان ايضا بمؤلفات النباتيين والعشابين الذين وصفوا انواع الحيوان فقد درس بن سينا في كتابه (الشفاء) أنواعاً مِن الطيور والحيوانات وقد وصف أعضاءها وصفاً دقيقاً .

٢- الرياضيات:

الخوارزمي

اتسع البحث في الرياضيات عند العرب ، فقد أخذوا مِن الهند الأرقام والصفر والمراتب العددية والكسورالعشرية وقد وحد العرب المسلمون الأرقام الهندية وبدأوا باستعمال الصفر،أمر الخليفة المِنصور بترجمة كتاب السند هند وهي طرق الحسابات الهندية للفلكي الهندي كانكا ، وقد برع العرب في علم الجبر وعزي اليهم اكتشافه واليهم يرجع الفضل في تطبيقه على الهندسة، وأول المؤلفين العرب المسلمين في هذا العلم محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في زمِن المأمون .

ألّف العرب المسلمون كتباً كثيرة في المساحات والحجوم وتحليل المسائل الهندسية واستخراج المسائل الحسابية بالتحليل الهندسي والتغيير العددي وغيرها مِن علوم الهندسة.

وقد وضع العرب المسلمون المثلثات بشكل علمي مِنظم مستقل عن علم الفلك، إذ استعملوا (الجيب) بدلاً مِن وتر ضعف القوس الذي كان يستعمله اليونان ولهذا أهمية كبيرة

في تسهيل حل الاعمال الرياضية وقد طوروا علم المثلثات وعملوا الجداول الرياضية للجيب واكتشفوا العلاقة بين الجيب والمماس والقاطع ونظائرها وقد نقل علماء الغرب مؤلفات المسلمين في المثلثات في القرن الخامس عشر الميلادي الى لغاتهم .

٣- علم الفلك:

سمى العرب علم الفلك بأسماء مختلفة، وهي علم النجوم وصناعة النجوم وعلم التنجيم وصناعة التنجيم وكانت تطلق قديماً على (علم الهيئة).



الاسطرلاب

ازدهر علم الفلك بعد ظهور الإسلام ازدهاراً عظيما، بسبب متطلبات الإسلام الخاصة بتحديد مواقيت الصلاة وتحديد القبلة للصلاة وتعيين الأهلة لشهر رمضان وغيره مِن الاشهر وقد أهتم الخليفة أبو جعفر المِنصور العباسي بالمُنجمين وقربهم وشجعهم، ومِن اشهر علماء الفلك ثابت بن قرة ، والبتاني ، والكندي ، والبيروني ، وبن الهيثم. نقل العرب المسلمون المؤلفات الفلكية للأمم التي سبقتهم وصححوا ونقحوا بعضها الآخر وزادوا عليه معلومات جديدة وقدموا لعلم الفلك الارصاد التي قاموا بها وقالوا بكروية الارض ورصد العلماء العرب المسلمون الاعتدالين الربيعي والخريفي ووصفوا جداول دقيقة لبعض النجوم والثوابت وهي مستعملة بلفظها العربي في اللغات الأوربية اليوم .

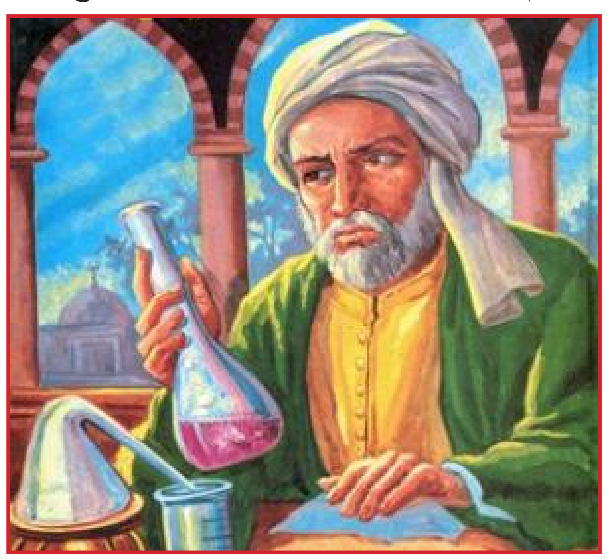


نصير الدين الطوسي

وقد بنى المأمون مرصدين في دمشق وبغداد وانشأ الفاطميون مرصداً على جبل المقطم بمصر عُرف بالمرصد الحاكمي، وقد أنتشرت المراصد في البلاد الإسلامية مِنها مرصد البتاني في الشام والبيروني في خوارزم ومرصد نصير الدين الطوسي في مراغة في المشرق، وممَنْ عمل في هذا المرصد قطب الدين الشيرازي تلميذ نصير الدين الطوسي .

٤- الكيمياء:

الكيمياء علم تحليل المواد وتركيبها وتشمل قواعد نظرية وصناعات عملية، وقد وضع العلماء العرب المسلمون الأسس العلمية والعملية لعلم الكيمياء الحديث، وكان العرب على اطلاع مباشر باستخدام المختبرات وتحضير العقاقير والاملاح والمعادن الثمينة .



جابر بن حيان

وكان الموضوع الرئيس في الكيمياء هو تحويل المعادن والمواد الأخرى مِن نوعها الى نوع آخر، وكان هدف الكيميائيين القدماء تحويل المعادن الرخيصة، ومِنها الرصاص والقصدير والنحاس والحديد الى المعدنين النادرين الفضة و الذهب وقد عُدَّ العرب المسلمون الزئبق والكبريت أساس كل عنصر .

وقد مهد العرب المسلمون الطريق لظهور علم الكيمياء الحديث بما قاموا به مِن تجارب واختبارات وما اكتشفوه مِن طرق علمية في التحليل والتركيب وما اخترعوه مِن أدوات وأجهزة .

واكتشفوا حامض الكبريتيك وحامض النتريك والكحول وكانوا أول مِن نشر تركيب الادوية والمستحضرات المعدنية .

مِن اشهر الكيميائيين العرب المسلمين خالد بن يزيد وجابر بن حيان الذي يعد المؤسس الحقيقي لهذا العلم والذي الف كتباً كثيرة فيه ، وقد سمي علم الكيمياء أو علم الصناعة بأسمه

وقد عاش في النصف الثاني مِن القرن الثاني الهجري / الثامِن الميلادي وكان فيلسوفاً وكيميائياً ومِن نافلة القول ان بن حيان تتلمذ على يد الأمام جعفر الصادق(ع) الذي تشير المصادر الى ان له رسالة في الكيمياء محفوظة في مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات مسجلة بأسمه .

ويعد جابر بن حيان الكوفي أول مِن حضر حامض الكبريتيك بتقطيره مِن الشب وسماه (زيت الزاج)، واستحضر حامض النتريك وكشف الصودا الكاوية واستحضر ماء الذهب وله كثير مِن المكتشفات في علم الكيمياء ، وقد افتخر أهل الغرب بجهود جابر العلمية وعدوه مِن أهم العقول العلمية في العالم ، وللرازي الطبيب والفيلسوف اثنا عشر كتاباً في الكيمياء ترجم كثير مِنها للغات الأوربية .

٥- الفيزياء:

استوعب العرب المسلمون معارفهم في علم الفيزياء مِن خلال اطلاعهم على مؤلفات اليونان المترجمة الى اللغة العربية ككتاب (الفيزكس) لأرسطو وكتب هيرون الاسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه وغيرها فأخذوا يبحثون بأنفسهم في هذه العلوم واكتشفوا قوانين طبيعية، وألفوا الكتب القيمة في مختلف فروع الفيزياء وصنعوا الآلات الكثيرة .

ومِن أهم العلوم الطبيعية التي أعتنى بها المسلمون علم الميكانيكا ويسمونه (علم الحيل) ويقسمه الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم الى قسمين :

القسم الأول في جر الاثقال بالقوة اليسيرة والآلات التي تقوم بذلك ويبحث القسم الثاني في آلات حركات الأواني العجيبة وصنعتها.

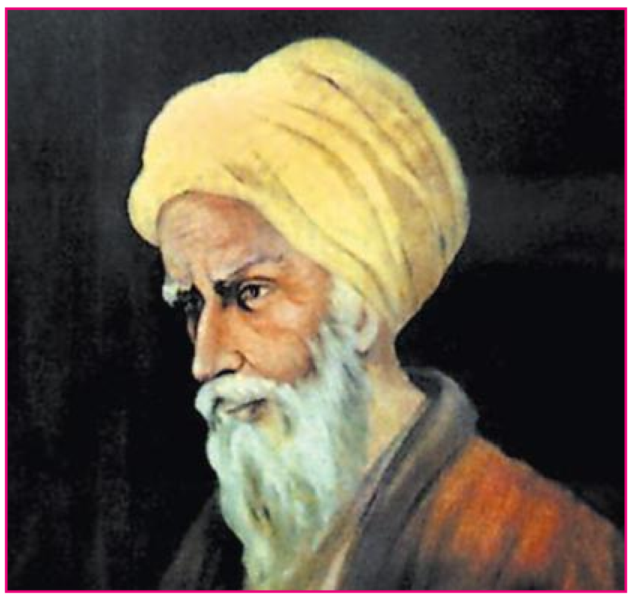
وقد أهتم العرب المسلمون أهتماماً بالغاً بالآلات الفلكية وقد طوروا ما كان لليونان مِنها مبتكرين آلات للمراقبة والقياسات .

وقد اشتهر كثير مِن العلماء العرب المسلمين بهذا العلم ومِنهم الأخوة محمد وأحمد وحسن أبناء موسى بن شاكر ولهم كتاب في الميكانيكا يحتوي على فئة تركيب ميكانيكي ، عشرون مِنها ذات قيمة عملية .

وقد برع العرب المسلمون في علم الصوت وعرفوا المعلومات الأساسية عنه وبينوا أن مِنشأ الصوت حركة الاجسام المصوتة وأن هذه الحركة تؤثر في الهواء الذي لشدة طاقته وسرعة حركة اجزائه يتخلل الاجسام كلها ، فإذا صدم جسم جسماً آخر انسل ذلك الهواء بينهما وتدافع وتموج الى جميع الجهات على شكل دائري وكلما أتسعت دائرة الصوت ضعفت حركته وتموجه الى ان يسكن ويضمحل .

وعرف العرب الموسيقى وعرفوا العلاقة بين اهتزاز الوتر وغلظة توتره وقوته ، وشدة النقر مِن جهة ونوع الصوت الذي يحدثه مِن جهة أخرى وممِن الف في الموسيقى الكندي والفارابي وبن سينا .

وقد تقدم علم الضوء أو علم البصريات تقدماً عظيماً عند العرب المسلمين وكان أعظم علمائهم الحسن بن الهيثم الذي توفي في القاهرة سنة (٤٣١ هـ / ١٠٢٩ م)، والذي درس في العراق والشام ومصر وهو مكتشف القسم الثاني مِن قانون الأنعكاس الذي وضع قسمه الأول اليونانيون مِن قبل .



الحسن بن الهيثم

وكتب بن الهيثم في العين وأقسامها ورسمها بوضوح تام، كما وله معرفة بخاصية العدسات اللّامة والمرايا المحركة وكانت بحوثه في هذا المجال دقيقة ومميزة .

اسئلة الفصل السابع

س١) ما دور الإسلام في ازدهار الحركة الفكرية عند العرب المسلمين ؟

س٢) ما اهم مراكز الحركة العلمية في الدولة العربية الإسلامية ؟

س٣) تكلم عن أثر المسجد في تطور الحركة الفكرية والحياة العلمية عند العرب المسلمين .

س٤) تكلم عن نشأة المدارس ودور العلم والمكتبات .

س٥) أين ومتى تأسست المدارس التالية ؟

المدرَسة النظامية .

المدرَسة المستنصرية .

س٦) بَّين أثر القرآن الكريم وعلومه في تطور الفكر العربي الإسلامي .

س٧) بَّين أثر اللغة العربية في وحدة العرب المسلمين وتطور حضارتهم.

س٨) ما عوامل ازدهار الترجمة ؟ ومَنْ أبرز روادها ؟

س٩) بين دور الكنائس والاديرة في اشاعة العلم والمعرفة والتسامح الديني في البلاد العربية الإسلامية .

س١٠) عرف ما يأتي: علم التفسير، علم الحديث ، الجرح والتعديل ، الفقه ، علم الكلام .

س١١) بين أسباب أهتمام المسلمين بعلم الفلك .

نشاط

- يقوم الطلبة وبأشراف المدرس / المدُرّسة بزيارة بيت الحكمة المعاصر في باب المعظم والاطلاع على أبرز أقسامه ومقارنتها ببيت الحكمة العباسي.
- زيارة أحدى الكنائس في المدينة .
- يقوم الطلبة بجمع عملات تمثل عملات العرب المسلمين وتعليقها في لوحة جدارية مع كتابة بحثٍ موجزٍ عن كل عملة .
- يقوم الطلبة بزيارة المكتبة المدرسية للاطلاع على كتب تبحث عن علوم تخص الكيمياء، الطب، الفلسفة، الفلك، وكتابة بحثٍ موجزٍ عنها .

تفاعل الحضارة العربية الإسلامية مع الحضارات الإنسانية وتأثيرها فيها.

الحضارة العربية الإسلامية ترفعت عن التقليد واتجهت بقواها واستعدادها الذهني الى الأبداع والأبتكار والتجديد والأتقان في كل حقل مِن حقول المعرفة فافادت وأستفادات وبهذا تكون حضارة متجددة ومتوثبة.

تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحضارات الإنسانية :

أثرت الحضارة العربية الإسلامية في الإنسانية وذلك مِن المسلمات التي يعترف بها مؤرخو الحضارات .

فالحضارة العربية الإسلامية، قامت بربط الماضي بالحاضر ثم بالمستقبل، وكأنها نظرت الى الحضارة بأنها سلسلة متواصلة مترابطة وانقاذها مِن العنصرية الدينية المغلقة.

فالعرب المسلمين قبضوا بأيديهم مشعل النور العقلي ولعدة قرون وتمثلوا جميع المعارف البشرية التي لها مساس بالفلسفة والفلك والكيمياء والطب والعلوم الآخرى، فاصبح العرب المسلمون مبدعين ومخترعين، وذلك بما احرزوه مِن أساليب العلم التي أستخدموها، وقد أفادت أوربا كثيراً من حضارة العرب المسلمين إذ درسَّت في جامعاتها كتباً ودراسات للفيلسوف الطبيب بن رشد، وكذلك استفادوا مِن مقالة علي بن عيسى المعنونة باسم (مذكرة موجهة لأطباء العيون)، واكتشاف بن النفيس للدورة الدموية وغيرها من العلوم والمكتشفات.

إذاً صحح أطباء المسلمين ما وقع فيه غيرهم مِن الاخطاء، ومؤلفات علماء المسلمين الطبيعية والتاريخية تشكل جزءاً مهماً مِن التراث الطبي الضخم الذي خلفه المسلمون وهو تراث لازالت أهميته مستمرة وتأثيره واضحاً، فالطب كان عند المسلمين وقائياً يقصد لحفظ الصحة، وعلاجياً يقصد الى شفاء المرضى .

وفي الرياضيات اكتشف العلماء المسلمون الكثير مِن المبادئ الأساسية للحساب والجبر والمقابلة والمثلثات وصححوا كثيراً مِن الافكار اليونانية، وفي علم الكيمياء كان لمؤلفات

جابر بن حيان تأثير مهم على تطور علم الكيمياء عند الغربيين فقد تُرجمتْ مؤلفاته الى الغرب.

أما علم الفلك، فكان له ألاثر الواضح في دراسة علم الفلك لدى الأوربيين، ومِن المراجع الاولية لدارسي الفلك في أوربا في القرون الوسطى.

والدين الإسلامي عندما أبطل علم التنجيم، قد أنقذ علم الفلك مِن الخرافة، فقد حول علماء المسلمين علم الفلك الى علم تجريبي رياضي، يعتمد على الملاحظة الحسية ويستعمل المراصد لتعليل حركات الاجرام السماوية وتفسير الظواهر الكونية وعلى هذا المِنهج صححوا الكثير مِن الاخطاء.

وهنالك جوانب كثيرة في الحضارة العربية الإسلامية أَثرت تأثيراً كبيراً في الحضارة الغربية، مِنها الفن المعماري الذي ظهر على قصور ومعابد أوربا، يضاف لذلك الزخرفة والتصوير وصياغة العملات والقطع النسيجية وغير ذلك الكثير.

وفضلا عن ذلك سنذكر مجالات التأثير وهي متنوعة فمِنها :

أولاً- العقيدة:

ظهر تأثير العقيدة الإسلامية على الأوربيين بدخول سكان الاندلس في الإسلام بنطاق واسع، كما يظهر التأثير الإسلامي على العقائد المسيحية عندما ظهرت حركات الاصلاح الديني التي قادها كل مِن الراهبين المعلمين كالفن ولوثر، الذين حاولا تطهير الديانة المسيحية مِن الغلوا وعبادة الصور، وكذلك برزت أفكار عديدة تدعو الى السماح بالطلاق بين الزوجين إذا تعذر استمرار الحياة الزوجية.

ثانياً - اللغة والأدب:

انتشرت اللغة العربية بين سكان اسبانيا بعد الفتح، وفرضت نفسها على الثقافة المحلية، وكان شباب الطائفة المسيحية يستخدم الشعر العربي ودراسة العربية، وظهر أثر ذلك على الشعر البروفنسي وشعر التربادور فضلاً عن تأثر اللغة العربية في اللغة القشتالية (اللغة الاسبانية) اذ توجد أكثر مِن (٤٢٠٠) كلمة اسبانية مِن أصل عربي .

ثالثاً - العلوم:

حقق العرب المسلمين بالفعل انجازات رائعة في ميدان العلوم، فقد علّموا أوربا استخدام الأرقام العربية، رغم أنهم لم يتركوها، وبهذا أصبحوا مؤسسي الحساب المستخدم في الحياة اليومية، وقد جعلوا مِن الجبر علماً دقيقاً وطووره تطويراً عظيماً، ووضع العرب المسلمين أسس الهندسة التحليلية مع تأسيسهم علم المثلثات المستوي والكروي، الذي لم يكن معروفاً لدى الإغريق، وبهذه النقلات عرفت أوربا حركة فكرية قوية قادرة على ان تمثل كل ما تعلمه العرب المسلمون في ميادين العلوم.

رابعاً - الطب:

كان تأثير علم الطب العربي الإسلامي على الأوربيين واضحاً مِن خلال ما وصل إليهم مِن مؤلفات المسلمين في الطب وقد أستفادوا مِنها كثيراً، وكان تأثرهم بعلم التشريح والجراحة كبيراً وأسسوا المستشفيات، لكنها كانت أدنى مِن المستشفيات العربية، وبدأوا بتدريب الطلبة في المستشفيات مستخدمين الاساليب العربية، واما الطب الأوربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر إلا امتداد للطب العربي الإسلامي.

خامساً - الكيمياء:

كان أثر الحضارة العربية الإسلامية على الأوربيين في علم الكيمياء واضحاً، وفي لغات أوربا كلمات عديدة تطلق على المواد والأوزان الكيميائية أصولها تعود الى العالم جابر بن حيان الذي بلغ درجة عالية مِن الدقة في قياس الثقل النوعي لمواد عديدة.

سادساً- المِنهج العلمي:

أبرز التأثيرات التي انتقلت مِن الحضارة العربية الإسلامية الى الأوربيين المِنهج العلمي التجريبي، فهذا المِنهج قد وضع المسلمون أساسه وتطبيقاته في شتى العلوم، فأثمر هذا المِنهج التقدم العلمي الواسع في المجالات المختلفة.

سابعاً- التجارة والملاحة البحرية:

أقتبس الأوربيون عن العرب المسلمين نشاطهم الصناعي فانتقلت المواد المصنوعة الى الاندلس وصقلية ومِنها الى أوربا الغربية والجنوبية، فتجاوز العرب المسلمون نقل هذه المواد بأساطيلهم المهيمِنة على التجارة في البحر المتوسط ، وكذلك تفننوا في صناعة السفن ذات الشراع المثلث التي كان بإمكانها الابحار عكس أتجاه الريح.

فأخذ الاوربيون ذلك عنهم وطوروه مما مكنهم مِن استخدامه في رحلات الاستكشاف الجغرافي.

واخترع العرب البوصلة ورسموا الخرائط البحرية التي أستفاد مِنها الملاحون الاوربيون فيما بعد، كما ساهموا في اتساع معارف الاوربيين الجغرافية.

ثامِناً - الزراعة والري والتعدين:

أدخل العرب المسلمون تنظيم الري وتوسعوا فيه وذلك على أساس خبرتهم في المشرق وخصوصاً وسائل خزن المياه وتوزيعها، ومِن أعظم انجازاتهم طريقة الارواء في جنة العريف في غرناطة .

وأدخلوا الى أوربا زراعة نباتية جديدة مثل قصب السكر والارز والبرتقال والليمون والمشمش والقطن.

وقد ازدهرت صناعة التعدين، واشتهر عنهم استخراج الحديد والنحاس والزئبق والذهب والفضة والقصدير والرصاص والاحجار الكريمة مِن الأراضي الاندلسية.

تاسعاً - الصناعة:

اشتهر المسلمون في الاندلس بصناعة الانسجة مِن الصوف والكتان والحرير واستعمال أنواع الفراء في الملابس وصنعوا الأواني الجميلة والحلي والجواهر، مع وجود أشكال عديدة للصناعات الجلدية المزركشة وتجليد الكتب.

وأنشأت المباني العظيمة ذات الطراز المغربي ، وكثر فيها استعمال الأقواس التي تشبه حذوة الحصان، وعرف العرب المسلمون صناعة الورق ونقلوه الى الاندلس فأخذه الاوربيون حيث أسس أول مصنع للورق في المانيا وإيطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي.

إذاً كان للتربية المتواصلة والتعليم المستمر الأثر الواضح في التقدم والرقي العربي الاسلامي لإنشاء حضارة امتدت أجنحتها لتشمل مشرق الأرض ومغربها ، فاقتبس عنها جيرانها فاضاءوا دولتهم بعد أن كانت في ظلام دامس.

قنوات أنتقال الحضارة العربية الإسلامية:

أنتقلت الحضارة العربية الإسلامية الى اوربا عبر مسالك وقنوات عديدة،فحولت ظلامها الى نور، وتخلفها الى تقدم وحضارة، ومِن هذه القنوات :

١- الأندلس:

تعدّ الأندلس معبر الحضارة الإسلامية الرئيسي، والجسر الأهم في عملية انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا، وذلك في شتى المجالات، وقد بقيت الأندلس ولمدة ثمان قرون مِنبر إشعاع حضاري خلال وجود المسلمين فيها وحتى أثناء ضعفها السياسي، وذلك بوساطة جامعاتها ومدارسها ومكتباتها ومصانعها وقصورها، وحدائقها، وعلمائها وأدبائها، حتى غدت محطة أنظار الأوربيين التي كانت على صلات وثيقة ومستمرة.

إن فتح العرب المسلمين لأسبانيا لم يكن احتلالاً عسكرياً كما يزعم البعض، بل كان حدثاً حضارياً هاماً وحركة تحرير للشعوب الأسبانية، فقد امتزجت حضارة القوطيين مع حضارة المسلمين ونتج مزيج مزدهر أثر في حياة أوربا، فترك أثاراً عميقة ما زالت تتراءى مظاهره بوضوح حتى اليوم .

كان لدخول العرب المسلمين إلى الأندلس الأثر في ظهور طبقة اجتماعية جديدة عرفت بالمولدين والمستعربين، وذلك عن طريق اختلاطهم بالعناصر الأسبانية كالقوط والرومان، والذين أسلموا فسموا بالمسالمة، وهناك جنس أخر عرفوا بالصقالبة وهم الرقيق الأبيض جلبوا مِن أوربا وهم صغاراً فربوا تربية عسكرية إسلامية، فصاروا في الجيش وفي وظائف القصر مما جعلهم قوة لها نفوذها في الدولة الأموية في الأندلس.

ومِن صور الوفاء الإسلامي ولا سيما مع المسيحيين، أنهم تسامحوا مع هذه الشعوب تسامحاً كريماً صادراً عن إيمان برسالة إنسانية، كان لها أثرها الكبير في اجتذابهم إلى الإسلام وإقناعهم بعدالة الدولة الإسلامية، وهذا سر دخول أعداد كبيرة مِنهم إلى الدين



خريطة فتح الاندلس

الإسلامي واعتناقه، هذه الأخلاق الإسلامية أثرت في أخلاق الشعوب المسيحية فقد تعلموا مِن المسلمين التسامح الذي هو أثمِن صفات الإنسان، ووصل أمر التسامح مع المسيحيين مبلغاً عظيماً فكانوا يسمحون لرجال الدين المسيحي بعقد المؤتمرات الدينية، هذه الأجواء التسامحية مهدت لاستقرار البلاد سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، فغدت الأندلس أكبر قوة سياسية في أوربا آنذاك.

فالفتح العربي الإسلامي لأسبانيا أَثَرَ حضارياً، فقد كانت أسبانيا لا تختلف كثيراً عن بقية بلدان غرب أوربا قبل الفتح مِن حيث انتشار الجهل العلمي والاجتماعي، فالبلاد كانت تمر بنزاعات داخلية وفتن مذهبية، لربما أن هذه النزاعات ما بين أمراء أسبانيا المعارضة الاسبانية كانت سبباً مساعداً لذلك الفتح العظيم.

وهناك حقيقة واضحة أن الأندلسيين لم يدخروا وسعاً في تحصيل العلوم العربية الإسلامية، وكان للعلماء الذين وفدوا مِن الشرق الأثر الأبرز، فكان مجيئهم له الدور البارز في إيجاد قاعدة مجتمع متحضر، ففي النصف الثاني مِن القرن العاشر الميلادي، أصبحت قرطبة أعظم مدن العالم المتحضر، ومِن مظاهر مدنيتها أنه كان فيها أكثر مِن مائة ألف مِنزل يقطنها ما يقارب مليون نسمة، سكانها يتجولون فيها بعد غروب الشمس وشوارعها مُنارة بضوء المصابيح العامة والشرطة تتجول لحماية ممتلكات السكان .

كانت شوراع قرطبة عام (٩٥٠م) تزدان بثمانية الآف متجر وتضاء ليلاً بقناديل تثبت على جدران المِنازل، مع وجود عمليات تنظيف ليلي للشوارع عن طريق العربات لاسيما للقمامة تجرها الثيران، وبعد مضي قرنين مِن الزمِن أتخذت باريس سنة (١١٨٥م) مِن قرطبة مثالاً وقدوة لها، فرصفت شوارعها ونظفتها، كان ذلك عن طريق زوار الأندلس مِن الأوربيين الذين أعجبوا بتلك الحضارة، فنقلوا مظاهرها ومعالمها إلى مِنازلهم وشوارع مدنهم.

ومما ساعد على التطور الحضاري أن أقبل المستعربون الأسبان على تلقي العلوم وتعلم اللغة العربية، هؤلاء المستعربون أصبحوا رسلاً جُدداً للحضارة العربية الإسلامية، لأنهم أتقنوا اللغة العربية مع إتقانهم للغتهم اللاتينية، فاستطاعوا نقل العلوم إلى الأوربيين، فأصبح إقبال الغربيين على تعلم العلوم العربية مِن الأمور اللافتة للنظر.

هذه التطورات التي حدثت بالمجتمع الأندلسي ولا سيما إقبال المسيحيين على تعلم اللغة العربية والعلوم العربية.

علماً أن العرب المسلمين حرصوا على تعلم اللغة اللاتينية لا سيما لغة جيرانهم القشتالية والارغوانيين للاستفادة مِنها والتعامل مع مستخدميها، مِن كل هذا نستخلص أنه قد حدث نوع مِن المؤثرات والتمازج الحضاري بين المشرق والمغرب مِن خلال الأندلس.

إذاً أن التراث العربي الإسلامي في النواحي العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية قد انتشر سياسياً وحضارياً وحربياً في جنوب أوربا وغربها، وأسس المسلمون مراكز لحضارتهم فيها، وقد نبغ في هذه المراكز مترجمون نقلوا جوانب مهمة مِن التراث العربي الإسلامي إلى لغاتهم، وبذلك يكون للحضارة العربية الإسلامية الفضل الكبير على أوربا إن لم تكن عاملاً مهماً في نهضتها، وهكذا كانت الأندلس مركزاً حضارياً مهماً مِن مراكز الحضارة العربية الإسلامية، وكانت مِن أهم معابر انتقالها إلى أوربا.

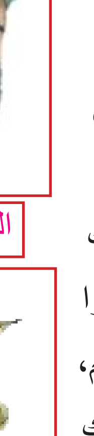
٢- جزيرة صقلية :

إن جزيرة صقلية في البحر المتوسط، والتي فتحها العرب المسلمون الأغالبة مِن أهم معابر الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا وجنوب إيطاليا، فقد فتحت مدينة بالرمو عاصمة صقلية سنة (٢١٢هـ / ٨٢٧م) وأستمر الحكم العربي الإسلامي فيها حتى سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) أي لمدة زمنية قاربت (٢٦٠) سنة طبعت فيها الحياة بالطابع العربي الإسلامي، فأهتم الفاتحون المسلمون بالعمران وإدخال مظاهر الحضارة وبناء المساجد والقصور والحمامات والمستشفيات، والأسواق، والقلاع الحربية على سواحل الجزيرة، والمدارس كانت مِن ضمِن المساجد وأدخلوا إليها الصناعات المهمة كصناعة الورق والحرير والسفن لحماية الجزيرة مِن الاعتداءات الخارجية، واستخرجوا المعادن، وبهذا تقدمت العلوم والفنون في صقلية، ولما رأى الأوربيون هذه النهضة أرسلوا وفوداً مِن أوربا إليها لغرض طلب العلم، فتحولت بعد ذلك إلى مركزٍ علميٍّ مهمٍ انتقلت مِنه العلوم والتراث الإسلامي إلى أوربا، مع ظهور حركة ترجمة قوية مِن اللغة العربية إلى

اللغة اللاتينية، لا تقل أهمية عن تلك التي قامت في الأندلس، وعلى الرغم مِن نهاية الحكم العربي الإسلامي للجزيرة في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إلا أن الحضارة الإسلامية فيها استمرت في ظل رعاية خلفائهم النورمان الذين عاشوا في كنفهم العديد مِن العلماء المسلمين أبرزهم الشريف الأدريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق في أختراق الآفاق) أيام الملك (روجر الثاني)، وكان حكام صقلية مِن النورمان قد أتخذوا مستشارين وموظفين مِن العرب والمسلمين في دوائر دولتهم، وكان علماء مِن بغداد ودمشق قد أنضموا إلى لواء أولئك الموظفين، ومِن ملوكهم فردريك الثاني الذي توج أمبراطوراً للامبراطورية الرومانية المقدسة سنة (١٢٢٠م)، ولكنه بقي في صقلية ولم يغادرها، وكان ملكاً مولعاً ومهتماً بالعلوم، العربية وغيرها، وقد شجع المُناقشات العلمية والفلسفية وهو الذي أسس جامعة نابولي سنة (١٢٢٤م) وحول إليها عدد مِن المخطوطات العربية فانتشرت الثقافة العربية الإسلامية في جامعات أوربا، بما في ذلك جامعات باريس واكسفورد، وترجمت الكثير مِن الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية.



الشريف الإدريسي



روجر الثاني

إن صقلية كانت مهيأة لنقل الفكر القديم والمعاصر، فقد كانت تحت حكم الامبراطورية البيزنطية ثم الحكم العربي بعدها إلى حكم النورمان، فامتزجت هذه الحضارات الثلاث، وكانت بذلك ميداناً لتلاقي اللغات اليونانية واللاتينية والعربية مع ما أكتسبته مِن معارفهم، وكان نتيجة ذلك نشوء ثقافة مختلطة كان لها نصيب كبير في نقل أحسن ما في المدينة الإسلامية إلى أوربا عن طريق إيطاليا، وأصبحتا طليطلة الأسبانية وبالرمو الصقلية أكبر مركزين وأعظمهما للترجمة ونقل الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية.

وهكذا كانت صقلية وجنوب إيطاليا معبراً ثانياً مهماً مِن معابر أنتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا.

٣- التجارة :

يُعد التبادل التجاري بين اوربا والمشرق العربي عاملاً هاماً في نقل الحضارة العربية الإسلامية، وبعد ان احتل المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وطمسوا معالم الحضارة فيها وتوقفت التجارة، فكان التجار الاوربيون يفدون الى مصر (التي كانت آنذاك تسيطر على مسالك التجارة بين الشرق والغرب) لشراء السلع الشرقية، فساهم هذا الاحتكاك بين الشرق العربي في نقل الحضارة العربية الإسلامية .

وهكذا أخذت العلوم والفنون تتسرب الى اوربا، فنقل الغربيون صناعة الورق والحرير والسكر، وتعلموا انشاء المستشفيات والجامعات، اذ ان جامعة كامبريدج هي طبق الاصل لمظهرجامعة الازهرفي مصر.

٤- حروب الفرنجة (الصليبية) :

هي الحروب التي قادها ملوك وأمراء أوربا ضد المسلمين في المشرق، وتحديداً في بلاد الشام ومصر، واستمرت قرابة قرنين مِن الزمِن بدايتها القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (٤٩٠هـ/١٠٩٧م)، وحتى طردهم مِن مدينة عكا آخر معاقل الفرنجة (الصليبيين) على يد المماليك سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، وهذه المدة الزمنية مِن أهم نقاط الاتصال أو التأثير والنقل والاقتباس، بالرغم مِن أن هدف الصليبيين الفرنجة كان عند قدومهم الى المشرق الإسلامي طلاب حرب لا طلاب علم، إلا أنهم تأثروا بحضارة المسلمين ونقلوا ما استطاعوا نقله مِن إنجازات العرب المسلمين الى أوربا التي كانت تعاني مِن تخلف وانحطاط.

إذاً هذه الحرب التي استمرت لقرنين كان لها أسباب وأهداف متنوعة ما بين دينية وسياسية واجتماعية، أبرزها أسباب دينية كرد فعل قام بها الفرنجة لمقاومة الإسلام بعد أن رأوا انتشاره الواسع في آسيا وإفريقيا وأوربا (إسبانيا) والانتصار الساحق الذي حققه السلاجقة على البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م .

وقد أنشأ الفرنجة (الصليبيون) عدة مستعمرات داخل أراضينا في بلاد الشام، ولكن حين ننظر الى هذه الحروب نجد أن أوربا قد فشلت في تحقيق كل الأغراض والأطماع التي

كانت تريدها مِن وراء هذه الحروب، فلا هي حققت النصر العسكري على المسلمين، ولا هي استطاعت أن تحتفظ بالأراضي التي استولت عليها، ولا نجحت في أخذ بيت المقدس مِن يد العرب المسلمين، كل هذه الاهداف التي زعموها لم يتحقق مِنها شيئ .

حقق الفرنجة مِن تلك الحروب نتائج حضارية لم تكن في بال أولئك المحتلين عندما قاموا بغزو العالم الإسلامي، مما يعطي انطباعاً أن النزاع بين الشرق والغرب في حقيقيته صراع حضاري. حين جاء الفرنجة الى المشرق كانوا يتصورون أن بلاد المسلمين يسودها الجهل والظلم ولا يوجد فيها أثر حضاري، وسيكون أولئك الغزاة رسل أوربا لبث حضارة العرب في تلك البلاد، وإنقاذ المسيحيين مِن الاضطهاد، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أنهم مخدوعون وأفاقوا على الحقيقة، فقد رأوا حضارة لم تعرفها بلادهم، وعرفوا الإسلام على حقيقته، وعاد الكثير مِنهم الى بلاده وأهله يبدي لهم إعجابه بالاسلام وحضارة المسلمين.

فالفرنجة استفادوا مِن تلك الحروب انتعاشاً اقتصادياً وحضارياً قابله فشل في الميادين العسكرية والدينية والسياسية، يضاف الى فائدة الانتعاش الاقتصادي فائدة أخرى جنوه مِن وقوفهم على حضارة العرب المسلمين .



المنجنيق

ففي مجال البناء عرفوا عن المسلمين بناء القلاع والحصون واستفادوا مِن الأسلحة التي كان يستعملها المسلمون في حروبهم كالمِنجنيق والكباش الهادمة والقسي والدروع التي استخدمها المسلمون لحماية الفرس والفارس مِن ضربات الاعداء،وكذلك أخذوا عن المسلمين استخدام الحمام الزاجل في نقل الرسائل أثناء الحرب.

ويعترف الأوربيون في إنهم نقلوا عن المسلمين العلامات واللون أو مايسمى الرنوك، ومِن نتائج هذه الحروب عرفوا النباتات والحاصلات الزراعية كالسمسم والذرة والارز والليمون والبطيخ والمشمش وغيرها الكثير.

كما عرفوا الصناعات عن المسلمين كصناعة الاقمشة والملابس والسجاد والبسط

والتوابل والعطور، وتأثروا بفنون الأداب العربية الإسلامية، وكان لها أثراً عميقاً.

وكانت للفرنجة عناية بالدراسات الشرقية واستخدموها كأسلوب مِن أساليب الحرب الفرنجية الموجهة ضد الإسلام. وبتأثير هذه الحروب نشطت دراسة علم التاريخ عند الأوربيين ووضعوا دراسات علم التاريخ ولاسيما مِنطقة بلاد الشام خدمة لأغراضهم العسكرية.

وبكلمة موجزة لا ينكر أن دخول الأندلس وصقيلة وجنوب إيطاليا ضمِن العالم الإسلامي جعلها مراكز حضارية راقية للفكر العربي الاسلامي، فعن طريق هذه المعابر، خلال العصر الإسلامي وبعده، أثر الفكر الاسلامي بالفكر الأوربي وذلك للقرب الجغرافي ما بينهما وبين أوربا، فالأندلس لا يفصلها عن أوربا إلا جبال البرتات، مع العلم إن المسلمين عبروا جبال البرتات وفتحوا مِناطق في جنوب فرنسا كانت تخضع لحكم العرب المسلمين في الأندلس ولمدة مِن الزمِن، كما أن صقيلة وجنوب إيطاليا مرتبطة ارتباطاً مباشراً ببقية شبة الجزيرة الإيطالية. فضلاً عن الاتصال والاحتكاك العسكري الحضاري الذي كان سائداً بين بلاد أوربا وبين هذه الواحات الفكرية العربية القريبة مِنها أو اتصالها بالمشرق الإسلامي عن طريق هذه الحروب، إذن أوربا كانت جادة بأنها إذا أرادت التقدم والتطوير عليها أن تتصل بمراكز الفكر والحضارة العربية، ولهذا كان أثر الفكر العربي في الفكر الأوربي واضحاً.

وكي تنكر أوربا كل هذا الكسب الذي أخذته عن حضارة العرب المسلمين بدأت مِنذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بعصر الاستقلال الفكري والانطلاق الأوربي ، وذلك بظهور طائفة مِن العلماء اللاتينيين استطاعت ابتكاراتهم العلمية أن تبدأ عصراً علمياً جديداً في أوربا طابعه الابتكاروالتجديد



ليوناردو دافنشي

ومِن هؤلاء العلماء (كوبر نيكوس) و(ليوناردو دافنشي) و(بارسيلوس) وغيرهم .

ومِن الملاحظ أن أوربا في بداية عصر النهضة اتخذت موقفاً معادياً لعلوم العرب المسلمين، وبدأت تظهر بواكير حركة هجرة المؤلفات العربية الإسلامية، إلا إنها سرعان ما عادت مرة ثانية بداية القرن الثامِن عشر الميلادي الى علوم العرب بعد أن أدركت خطأ رجوعها الى علوم اليونان، أو استقلالها العلمي، ولكن بطريقة استقلالية لتكمل النقص الذي لا زالت ثغراته في حاجة الى سدها مِن علوم العرب.

عوامل تراجع الحضارة العربية الإسلامية :

إن عوامل تراجع الحضارة العربية الإسلامية يعود لعدة أسباب سنحاول تحديدها وبيان الضعف الذي أصابها بشيء مِن التفصيل لينكشف أصل الداء وأبعاده ومدى خطره ، تمهيداً لمحاولة رصد التحديات التي تواجه الحضارة الإسلامية.

فإذا طرحنا سؤالاً : لماذا تدهورت الحضارة العربية الإسلامية ؟

نجد أن الشعوب الإسلامية لم تدرك أبعاد وعمق حالة الضعف والتدهور والوهن التي عاشوها حتى أوآخر القرن الثامَنْ عشر الميلادي، ولم يفطن أعداءهم مِن الأوربيين لذلك حتى القرن السابع عشر الميلادي، نجد أن حالة الضعف والتدهور كانت قد بلغت الى عمق الكيان السياسي والاجتماعي بدرجة لا يمكن أن تخطئها عين المختص، فمِن المستحيل تحديد تاريخاً دقيقاً لبدء مرحلة الضعف، لانها لا تظهر فجأة، ولا يحدث التغيير بين عشية وضحاها، وإنما هي عملية متدرجة تحكمها وتؤثر فيها عوامل متعددة، بل إن العناصر المسببة للضعف قد تكون مستترة داخل الجسم القوي المعافى الذي تبدو عليه كل مظاهر الصحة والنشاط.

إن أسباب ضعف أو تراجع الحضارة العربية الإسلامية داخلية وخارجية، وقد ظهرت بعض **الأسباب الداخلية:** في وقت مبكر، لكن حيوية الأمة وفتوتها، وحرارة العقيدة الحية في النفوس، كل ذلك مكنها مِن التغلب على أسباب الضعف، وحصر تأثيرها السلبي، وفيما يلي أسباب التراجع أو الضعف:

١- الانحراف السياسي :

كان النزاع السياسي الذي انفجر في مرحلة مبكرة مِن تطور الحضارة العربية الإسلامية، في القرن الأول الهجري، انحرافاً عن القواعد والمبادئ التي وضعها الإسلام، إذ تجاوز الطامعون في الحكم مبدأ الشورى وحق المجتمع في أختيار الحاكم ومراقبته ومحاسبته وعزله إن ظهر أنه غير صالح للحكم، وتحت ضغط الخوف مِن تجدد الحرب الأهلية واستمرارها رضخ المجتمع أمام رغبات الطامعين بالسلطة، التي تحولت عند الامويين والعباسيين الى ملك وراثي وفي مقدمتهم الامويين بعيداً عن مبدأ الشورى الذي أوجده الاسلام.

بالرغم مِن ذلك بقيت قيم الاسلام ومبادئه حية في النفوس، وكانت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تلهب المشاعر وتحفز الهمم الى الحد الذي أبقى كيان الامة العربية الإسلامية قوياً ومتماسكاً، فخفيت عوامل الضعف على الناس، ولم يقدر الكثيرون مدى خطورتها وما كان يمكن أن تقود مِن ضعف.

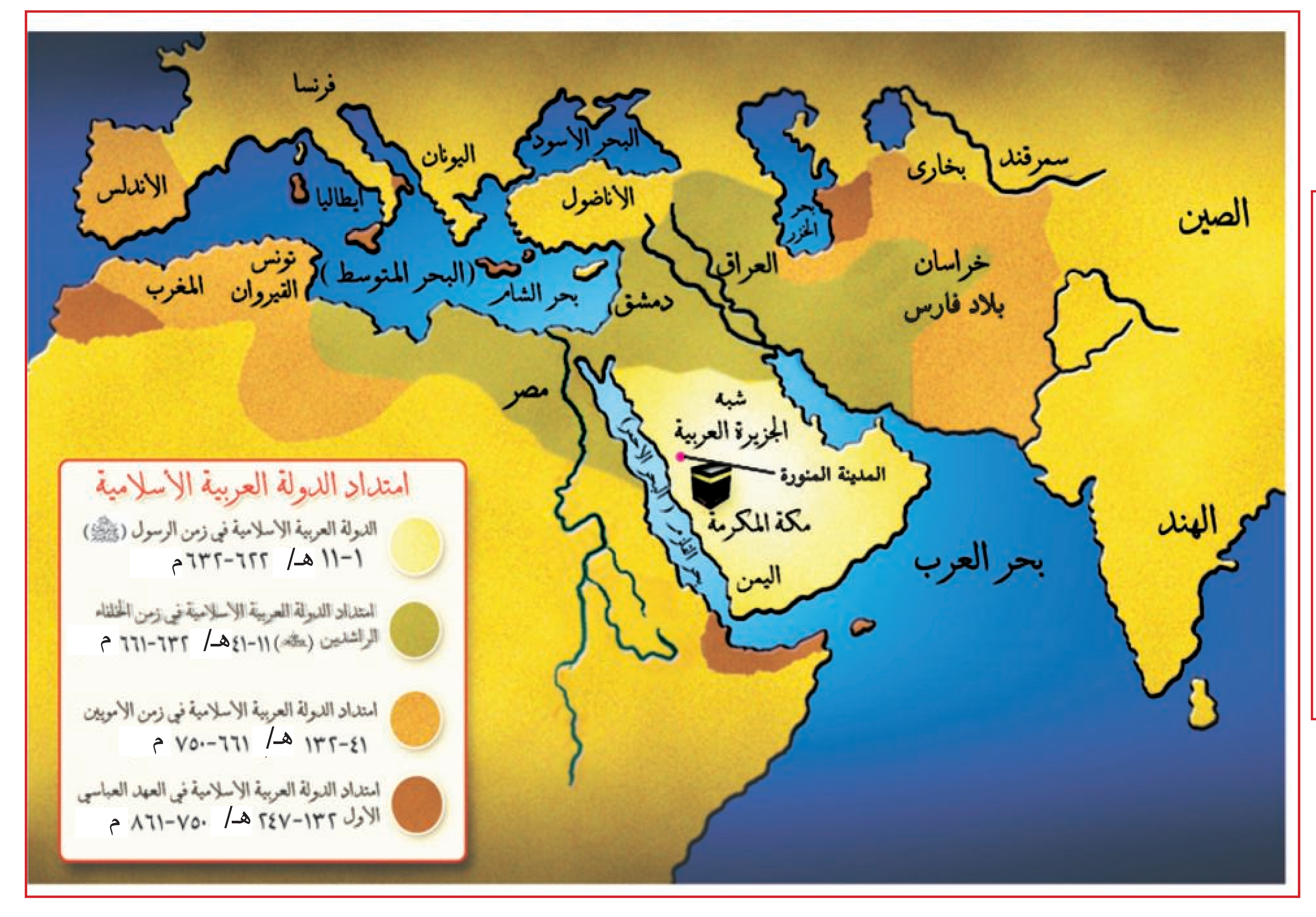
٢- التوسع العسكري والبشري السريع:

شهد المجتمع الإسلامي توسعاً سريعاً مِن الناحيتين الجغرافية والبشرية أدى الى انضمام أعداد كبيرة مِن الناس الى المجتمع الجديد، فبدايات الإسلام ودولته كانت في المدينة النبوية، ثم انضمت اليها مدينة مكة المكرمة، وفي أقل مِن سنتين بعد فتحها انضمت شبة الجزيرة العربية بأكملها تحت راية دولة الإسلام، وبعد مدة وجيزة انضمت بلاد الشام والعراق ومصر، ثم تبعها بلاد فارس وشمال افريقيا ووسط آسيا حتى وصلت حدود الدولة العربية الإسلامية الى حدود الصين، فكان هذا التوسع السريع عاملاً مِن عوامل عدم أخذ الفرصة الكافية للتربية والتوجيه والتعليم بحيث أحدث تغييراً في مفاهيم الناس، وعقلياتهم وطباعهم ففقد المجتمع تجانسه وانسجامه.

المادة (٣٢)

ترعى الدولة المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة، وتكفل تأهيلهم بغية دمجهم في المجتمع، وينظم ذلك بقانون.

دستور جمهورية العراق



خريطة امتداد الدولة العربية الاسلامية

٣- الضغط السياسي :

ما دام الحكام أقاموا حكمهم على أساس اغتصاب السلطة فإنهم مهيأون لاتخاذ أي إجراء يحفظ لهم السلطة ويبقيها في أيديهم، ومهما كانت قوة الحاكم فإنه لابد وأن يحاول اقناع الناس بأن مركزه شرعي، لذا فقد حاول الحكام الحصول على الشرعية، وعلى اقناع الشعب بأن بقائهم في السلطة يمثل الشرعية، وتعرض علماء الدين لشتى أنواع الضغوط ، لِمنعهم مِن الجهر باستنكار الانحرافات أو كحملهم على إعلان التأييد لهذا الحاكم أو إعلان العداء لحاكم آخر مِنافس له، وبجانب ذلك فقد عاش الكثير مِن علماء الدين قلقاً شديداً لخوفهم على الأمة مِن الحروب الداخلية الناجمة عن صراع القوى الطامعة في السلطة، وقد أطلقوا على هذا النوع مِن الحروب أسم الفتنة.

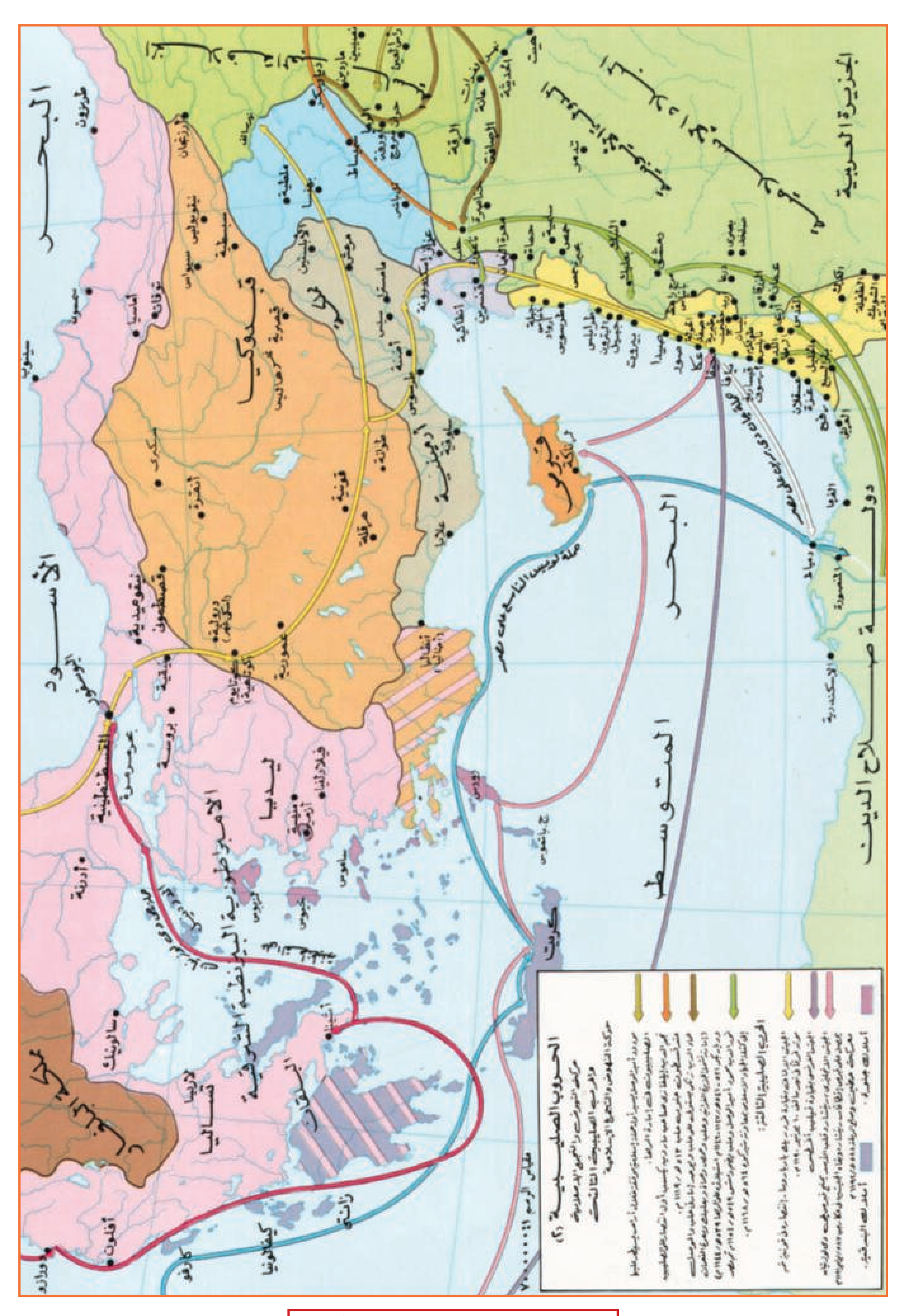
٤- الموروث القديم :

بعد أن فتحت البلاد المحيطة بشبه الجزيرة العربية والتي كانت قبل ذلك تعيش تحت ظل الثقافة الإغريقية الرومانية، والتي كانت لها مراكز عديدة في مصر وفلسطين وسوريا، استمرت تحت ظل الدولة العربية الإسلامية بعد الفتح، وهكذا أخذ التراث أو الموروث القديم ينتقل الى المسلمين مِن خلال الترجمة، أو مِن خلال معتنقي الإسلام مِن سكان البلاد الأصليين، وقد بلغت حركة الترجمة أوج نشاطها في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ولاسيما في عهد الخليفة العباسي المأمون، أن بعض مِن الموروث القديم كان نافعاً مثل كتب الطب والصيدلة والرياضيات والهندسة وبعض كتب الفلسفة.

المادة (٨)

الاعلان العالمي لحقوق الانسان

لكل شخص الحق في ان يلجأ الى المحاكم لأنصافه عن اعمال فيها اعتداء على الحقوق الاساسيه التي يمنحها القانون .



خريطة الحروب الصليبية

أما الأسباب الخارجية لعوامل تراجع الحضارة العربية الإسلامية:

١- حروب الفرنجة (الصليبية) :

أثرت هذه الحروب التي قادها ملوك وأمراء أوربا، وكانت على عدة حملات، تمكنوا خلالها مِن الاستيلاء على بعض المِناطق وأقاموا فيها ممالك الى أن تم طردهم مِنها نهائياً، كما تحدثنا سابقاً، هؤلاء الغزاة بدل أن يفيدونا استفادوا مِن حضارتنا التي كانت على درجة أعلى وأرقى، لكنهم تركوا آثاراً سلبية مدمرة بين ضعف السلطات الإسلامية، فالخلافة مسلوبة الإرادة والسلطات لم تكن على درجة عالية مِن المسؤولية لا في بداية هذه الحملات، ولا في آخرها ألا ما كان أيام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، فخلفاء صلاح الدين كانوا مُنهمكين بصراعات أسرية مريرة حول السلطة أطلقت يد الفرنجة، وكانوا سبباً لصراعات ما بين بلاد الشام والديار المصرية.

٢- الاجتياح المغولي :

جاءت مِن شرق آسيا في النصف الأول مِن القرن الثالث عشر الميلادي جموع مِن المغول تحت قيادة جنكيز خان وفي النصف الثاني مِن هذا القرن احتلت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية وجعلتها خراباً بعد أن كانت مِنارة مضيئة يهتدي بنور علمائها الوافدون، فتمكن المغول من احتلال بغداد بقيادة هولاكو مُنذ سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٣- حرب الاسترداد (الاستغلاب) الاسبانية :

تجمعت فلول مِن سكان الاسبان بعد فتح العرب المسلمين لشبه الجزيرة الإيبيرية وتقوقعت في أقصى الطرف الشمالي الغربي لتلك البلاد، وكانت مِناطق فقيرة جرداء، لم يأبه بها الفاتحون لأنهم نظروا إليها على أنها لا تستحق العناء لفتحها، فلما بدأت علائم العنف تلوح في الأفق على الدولة العربية الإسلامية، أخذت تلك الفلول تتحرك، واستمر تحركهم وغاراتهم بضع مئات مِن السنين إلى أن تم لهم القضاء على آخر معقل للمسلمين وإسقاط مملكة غرناطة سنة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م)، ليبدأوا بعد ذلك بمهاجمة بلدان شمال إفريقيا الإسلامية.

تلك هي أهم أسباب الضعف، ذكرناها لنبين كيف تدهورت الحضارة الإسلامية، وكيف بدأت عوامل الضعف تدب في جسم الدولة العربية الإسلامية.

اسئلة الفصل الثامن

س١) هناك مجالات تأثير الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الغربية. عددها . مع شرح أثنين مِنها .

س٢) ما مسالك أنتشار الحضارة العربية الإسلامية الى أوربا ؟ تكلم عن واحدة مِنها .

س٣) ما مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في صقلية؟

س٤) ما الذي حققه الفرنجة (الصليبيون) مِن حروبهم خلال قرنين على العالم الاسلامي مِن ٤٩٠هـ/٦٩٠هـ ؟

س٥) لماذا تدهورت الحضارة العربية الإسلامية؟

س٦) ما الاسباب الخارجية التي أدت الى تراجع الحضارة العربية الإسلامية عن ركب التقدم العالمي؟

س٧) تعد التجارة بين اوربا والمشرق العربي عاملا مهما في نقل الحضارة العربية الإسلامية . ناقش ذلك .

س٨) ماذا تعني حركة الاسترداد (الاستغلاب) الاسبانية ؟

س٩) ماذا تعني لك المصطلحات الاتية ؟ الموالي، المستعربون، الصقالبة ، الاسالمة المولدون .

نشاط

- اجمع صوراً تمثل العلماء المسلمين العرب الذين لعبوا دوراً في تطور الحضارة الغربية. وعلقها في جدارية مع كتابة بحثٍ عنها.
- يقوم الطلبة بزيارة المكتبة المدرسية وبأشراف المدرس/ المدرَسة بكتابة بحثٍ عن تدهور الحضارة العربية الإسلامية .
- ارسم خريطة تمثل الطرق التجارية بين اوربا والمشرق العربي مؤشراً عليها ابرز المراكز الحضارية التي انتقلت بواسطتها الحضارة العربية الإسلامية الى اوربا وعلقها في جدارية.

المحتويات